

الباب الرابع

المرحلة المدنية

الفصل الأول

الأحداث والوقائع من قدوم النبي المدينة إلى غزوة بدر

المبحث الأول: قدوم النبي صلى الله عليه وسلم - المدينة

١٦٩- من حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير: « أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله وأبا بكر ثياب بياض ، ويسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يقدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانطلقوا أيضاً بعدما أطلوا انتظارهم .

فلما آووا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله وأصحابه مبضين، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فشار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ ، يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك .

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتييمين في حجر أسعد بن زرارة .

فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل ، ثم دعا

رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمريد ليتخذ مسجداً ، فقالا: لا ، بل نهيه لك يا رسول الله ثم بناء مسجداً ، وطلق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللين في بنيانه ، ويقول - وهو ينقل اللين:

هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأطهر ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة
فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي « . قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الآيات ^(١) .

المبحث الثاني: نزوله بفناء أبي أيوب وبناء المسجد

١٧٠- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة ، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى ملا بني النجار ، قال: فجاءوا متقلدي سيوفهم ، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملا بني النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مراض الغنم .

قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملا بني النجار فجاءوا . فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخيل .

فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطعت ، قال: فصفوا النخل قبله المسجد ، قال وجعلوا عضادتيه حجارة ، وجعلوا ينقلون الصخر، وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ^(٢)

(١) قد جاء جزء منه حديث رقم: ١٦٥ وحديث رقم: ١٦٨ ، فانظر تخريجه هناك - وقد جاء من حديث عبدالرحمن بن عويم بن ساعدة عند ابن هشام في السيرة بإسناد رجاله ثقات نحو هذا: ٤٩٢/١

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه إلى المدينة رقم: ٣٩٣٢ فتح الباري: ٢٦٥/٧ ، وفي المساجد باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ، وفي فضائل المدينة باب

المبحث الثالث

فرح أهل المدينة بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم

١- خروج الناس لاستقبال الرسول عليه السلام حين قدم المدينة

١٧١- من حديث البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة فقال: (فقدمنا المدينة ليلاً ، فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ فقال: (أنزل على بني النجار ، أخوال عبدالمطلب ، أكرمهم بذلك) فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد ! يا رسول الله ! يا محمد ! يا رسول الله « ^(١) .

٢- إضاءة المدينة لمقدمه صلى الله عليه وسلم وإظلامها لوفاته

١٧٢- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « فما رأيت يوماً قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة ، وشهدت وفاته فما رأيت يوماً قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله ﷺ فيه « ^(٢) .

٣- لعب الحبشة بحرابها فرحاً بالرسول صلى الله عليه وسلم

١٧٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً لقدمه « ^(٣) .

حرم المدينة ، وفي البيوع باب صاحب السلعة أحق بالسوم ، ومسلم في المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ رقم: ٥٢٤ - أبو داود في الصلاة باب بناء المسجد: ٤٥٤ ، النسائي في المساجد باب نبش القبور واتخاذ أراضيتها مساجد: ٣٩/٢ - ٤٠ ، ابن ماجه في المساجد باب أين يجوز بناء المساجد: ٧٤٢ ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٦٥/٢١ ، ابن سعد في الطبقات: ٢٣٩/١ - ٢٤١ ، البيهقي في الدلائل: ٥٣٩/٢ - ٥٤٠ ، الطيالسي في المسند في منحة المعبود: ٩٤/٢ - ٩٥ .

(١) أخرجه البخاري في مناقب الصحابة باب مناقب المهاجرين: ٣٦٥٢ فتح الباري: ٨/٧ ، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي الأشربة باب شرب اللبن ، وفي اللقطة: باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان ، ومسلم: ٢٠٠٩ ، ٢٣٠٩/٤ في الزهد والرقائق: باب في حديث الهجرة .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١٢٢/٣ ، والدارمي: ٤١/١ في المقدمة وإسناده صحيح ، والحاكم في المستدرک: ١٢/٣ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي وقال الهيثمي في المجمع: ٦٠٥٩/٦ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب في الغناء: ٤٩٢٣ ، الفتح الرباني: ٢٩٠/٢٠ - ٢٩١ وسنده صحيح ورجاله رجال الصحيح .

المبحث الرابع: مسائل عبدالله بن سلام حبر اليهود وإسلامه

١٧٤- من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ نزل عليه ، فنزل النبي في السفلى وأبو أيوب في العلو . قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ، فتنحوا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ . فقال النبي ﷺ (السفلى أرفق) فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفلى . فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً . فإذا جاء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتبع موضع أصابعه ، فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ ، فقيل له: لم يأكل ففزع وصعد إليه . فقال: أحرام هو ؟ فقال النبي ﷺ: (لا ولكني أكرهه) قال: فلإني أكره ما تكره ، أو ما كرهت ، قال: وكان النبي ﷺ يؤتى؟! » ^(١) .

١٧٥- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن عبدالله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد يتزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال: أخبرني به جبريل آنفاً . قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، قال: أما أول أشرط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الرجل نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه . قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود . فقال النبي ﷺ: أي رجل عبدالله بن سلام فيكم ؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا ، فقال النبي ﷺ: أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام ؟ قالوا: أعاده الله من ذلك . فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبدالله . فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا: شربنا وابن شربنا ، وتنقصوه ، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه رقم: ٢٠٥٣ - الترمذي كتاب الاطعمة باب كراهة أكل الثوم: ١٨٠٧ ، أحمد في المسند: ٩٤/٥ - ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، البيهقي في الدلائل: ٥٠٩/١٠ - ٥١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه رقم: ٣٩٣٨ فتح الباري: ٢٧٢/٧ ، وكتاب مناقب الأنصار باب الهجرة رقم: ٣٩١١ فتح الباري: ٢٤٩/٧ - ٢٥٠ .

المبحث الخامس

أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حديث ابن إسحاق قال: « نزل رسول الله ﷺ بقاء على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ، ويقال بل نزل على سعد بن خيثم ، فأقام في بني عمرو بن عوف وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلى الجمعة الكبرى في المسجد بيطن الوادي ، قال ابن إسحاق: ثم نزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب ، وأمر رسول الله ﷺ ببناء مسجده في تلك السنة » ^(١) .

المبحث السادس: متى دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة

١٧٦- من حديث عاصم بن عدي رضي الله عنه قال: « قدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فأقام بالمدينة عشر سنين » ^(٢) .

المبحث السابع: المشاركة في بناء المسجد

١٧٧- من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: « لما بنى رسول الله ﷺ المسجد ، جاء أبو بكر رضي الله عنه بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ: (هؤلاء ولاية الأمر من بعدي) » ^(٣) .

١٧٨- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرأه النبي ﷺ ، فينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) . قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن » ^(٤) .

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦٢/٦ - ٦٣ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وانظر السيرة النبوية بتعليق الخشن: ١٥٩/٢ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦٣/٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات ، الطبراني في الكبير: ١٧٢/١٧

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک: ١٣/٣ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال صحيح .

(٤) أخرجه البخاري في الصلاة باب التعاون في بناء المسجد رقم: ٤٤٧ فتح الباري: ٥٤١/١ ورقم: ٢٨١٢ في الجهاد . وانظر الفتوح الرباني: ٢٧٤/٢٣ - مسلم في الفتن رقم: ٢٩١٥ - أحمد في المسند: ٥/٣ البيهقي في الدلائل: ٥٤٨/٢ .

١٧٩- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل » فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج^(١) .

المبحث الثامن: ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة

١٨٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « قدمنا المدينة وهي وبئة ، فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: (اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حبت مكة أو أشد وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة)^(٢) .

١٨١- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت: فدخلت عليهما ، فقلت: يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت: فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله
وكان بلال إذا اقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بواد وحولي أذخر وجيل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها ،

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب ببيان المسجد رقم: ٤٤٦ فتح الباري: ٥٤٠/١ ، وانظر الفتح الرباني: ٢٧٦/٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه المدينة رقم: ٣٩٢٦ فتح الباري: ٢٦٢/٧ وفي الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع ، وفي فضائل المدينة باب حدثنا مسدد عن يحيى عن عبيد الله بن عمر ، وفي المرضى باب عيادة النساء الرجال ، وباب من دعا برفع الوباء والحمى ، ومسلم في صحيحه الحج باب الترغيب في سكنى المدينة رقم: ١٣٧٦ ، والفتح الرباني: ١٢/٢١ - ١٣ .

فاجعلها بالجحفة) .

وفي رواية للبخاري: « أن بلالاً قال بعد شعره « اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا ، وانقل حماها إلى الجحفة) . قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله ، قالت: فكان بطحان يجري نجلاً ، تعني ماء آجناً » ^(١) .

١٨٢- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت كان امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة ، حتى قامت بهيعة وهي الجحفة ، فأولت أن وباء المدينة نقل إليها) ^(٢) .

مرض عائشة بالحمى:

١٨٣- من حديث البراء عن أبي بكر رضي الله عنهما قال البراء: « فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى ، فرأيت أباهما يقبل خدها ، وقال: كيف أنت يا بنية » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة باب حدثنا مسدد عن يحيى عن عبيد الله بن عمر رقم: ١٨٨٩ وانظر التعليق السابق .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كوة وأسكنها موضعاً آخر ، وباب المرأة السوداء: ٤٢٥/١٢ - ٤٢٦ ، رقم ٧٠٣٨ ، ٧٠٣٩ ، ٧٠٤٠ ، والترمذي كتاب الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي الميزان والدلو رقم: ٢٢٩٠ وقال حسن صحيح غريب ، وابن ماجه في التعبير باب تعبير الرؤيا رقم: ٣٩٢٤ .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه رقم: ٣٩١٨ فتح الباري: ٢٥٥/٧ .

المبحث التاسع : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال السهيلي: « آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل الموارث ، وجعل المؤمنين كلهم إخوة ، وأنزل ﴿ وإِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعني في التوادد وشمول الدعوة ، واختلفوا في ابتدائها: فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل: بتسعة ، وقيل: وهو بيني المسجد ^(١) .

١٨٤- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري » ^(٢) .

١٨٥- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « كتب النبي ﷺ على كل بطن عقوله ثم كتب (أنه لا يحل لمسلم أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه) ثم أخبر أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك ^(٣) .

١٨٦- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ: « كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف ، والإصلاح بين المسلمين » ^(٤) .

١٨٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ ولكل جعلنا موالى ﴾ قال: ورثة ﴿ والذين عاقدت أيمانكم ﴾ قال: كان المهاجرين لما قدموا على النبي ﷺ المدينة ورث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه ، للأخوة التي آخى النبي ﷺ

(١) فتح الباري: ٢٧٠/٧

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة ، باب قوله تعالى: ﴿ والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، رقم: ٢٢٩٤ ، وجاء أيضاً بأرقام: ٦٠٨٣ ، ٧٣٤٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي بين أصحابه رقم: ٢٥٢٨

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العتق باب تحرير تولى العتيق غير مواليه رقم: ١٥٠٧ ، النسائي في القسامة باب صفة شبه العمد: ٥٢/٨ ، أحمد في المسند: ٣/٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ،
★ معاقلهم: المعقل: الديات ، العاني: الأسير ، عقوله: العقول: الديات ، والهاء ضمير البطن .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٢٧١/١ ، ٢٠٤/٢ ، الفتح الرباني: ١٠/٢١ ، وقال الساعاتي: لم أفق عليه لغیر الإمام أحمد وسنده صحيح ، وأورده الحافظ في تاريخه وقال: تفرد به أحمد ، السيرة ابن كثير: ٣٢٠/٢ قلت: فيه حجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ يدلس فالحديث إذن ليس كما قال الشيخ الساعاتي وإنما هو يشاهده عن جابر حسن . وأحاديث عمرو بن شعيب جلها حسنة إذا صح الإسناد إليه .

ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿ ولكل جعلنا موالى ﴾ نسخت. ثم قال: ﴿ والذي عاقدت أيمانكم ﴾ إلا النصر والرفادة والتّصيحة - وقد ذهب الميراث - ويوصي له^(١).

١٨٨- من حديث أنس رضي الله عنه: قال: « قالت المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذاً من كثير ، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة ، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال: فقال رسول الله ﷺ: (كلا ما أثبتتم عليهم به ، ودعوتم الله - عزّ وجلّ - لهم)^(٢) .

١٨٩- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخيل ، قال: (لا) . قال: يكفوننا المشونة ، ويشركوننا في الثمر ، قالوا: سمعنا وأطعنا »^(٣) .

١٩٠- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قدم عبدالرحمن بن عوف فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق ، فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبي ﷺ: (مهيم يا عبدالرحمن ؟) قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ، قال: (فما سقت فيها ؟) فقال: وزن نواة من ذهب . فقال النبي ﷺ: (أولم ولو بشاة) »^(٤) .

(١) أخرجه البخاري الكفالة باب قوله تعالى ﴿ والذي عاقدت أيمانكم ﴾ رقم: ٢٢٩٢ وأرقام: ٤٥٨٠ ، ٦٧٤٧

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢٠٤/٣ وهو من ثلاثياته وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه الترمذي في صفة القيامة برقم: ٢٤٨٧ ، وأبو داود في الأدب باب في شكر المعروف: ٤٨١٢ ، والبيهقي في السنن: ١٨٣/٦ ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار رقم: ٣٧٨٢ .

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار رقم: ٣٧٨١ ، وباب كيف آخى النبي بين أصحابه رقم: ٣٩٣٧ ، مسلم النكاح رقم: ١٤٢٧ ، أبو داود في النكاح باب قلة المهر: ٢١٠٩ ، الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في مواساة الأخ: ١٩٣٤ ، والنسائي في النكاح باب الهدية لمن عرس: ١٣٧/٦ ، والبيهقي في السنن: ٢٣٦/٧ ، ٢٣٧ ، وعبدالرزاق: ١٠٤١٠ ، وابن ماجه في النكاح باب الوليمة: ١٩٠٧ ، والدارمي: ١٤٣/٢ ، والحميدي: ١٢١٨ . أحمد في المسند: ١٥٢/٣ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ ، وقد جاء من حديث إبراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عند البخاري رقم: ٣٧٨٠ باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار .

١٩١- من حديث أنس قال: « آخى النبي بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة »^(١).

١٩٢- « آخى النبي سلمان وأبي الدرداء » من حديث أبي جحيفة^(٢).

١٩٣- ومن حديث الزبير بن العوام قال: أنزل الله - عز وجل - فينا خاصة معشر قريش والأنصار ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فواخيناهم ، ووارثناهم ، فأخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وآخى عمر رضي الله عنه فلانا ، وآخى عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق بن سعد الزرقي ، ويقول بعض الناس غيره ، قال الزبير رضي الله عنه: وآخيت أنا كعب بن مالك ، فجنته فابتعلته ، فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى فوالله ، يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى موارثنا »^(٣).

المبحث العاشر: الوثيقة التي كتبها النبي في المدينة

لقد نظم النبي ﷺ العلاقات بين سكان المدينة ، وكتب في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية ، واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة ، وتحديد الحقوق والواجبات ، وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب أو الصحيفة ، وأطلقت عليها الأبحاث الحديثة لفظ الدستور والوثيقة.

أ- طرق ورود الوثيقة « الصحيفة » .

ونظراً لأهمية الوثيقة التشريعية إلى جانب أهميتها التاريخية ، فلا بد من تحكيم مقاييس أهل الحديث فيها لبيان درجة قوتها أو ضعفها ، وما ينبغي أن يتساهل فيها كما يفعل مع الروايات والأخبار التاريخية الأخرى .

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب مواخاة النبي بين أصحابه رقم: ٢٥٢٨ - وأحمد في المسند: ١٥٢/٣ ، وأبو يعلى: ٣٣٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع رقم: ١٩٦٨ ، وفي الأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف: ٦١٣٩ ، والترمذي في الزهد باب أعط كل ذي حق حقه: ٢٤١٥ ، وأبو يعلى: ٨٩٨ .

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٣ في سورة الأحزاب آية: ٦ عن ابن أبي حاتم بسنده إلى الزبير وإسناده حسن.

ان أقدم من أورد نص الوثيقة كاملاً هو محمد بن إسحاق لكنه أورها دون إسناده ، ونقلها عنه ابن كثير وابن سيد الناس ، وقد ذكر البيهقي إسناده ابن إسحاق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون البنود التي تتعلق باليهود ، لذلك لا يمكن الجزم بأنه أخذها من نفس الطريق أيضاً .

وقد ذكر ابن سيد الناس أن ابن أبي خيثمة أورد الكتاب (الوثيقة) ، فأسنده بهذا الإسناد ، وحدثنا أحمد بن خباب أبو الوليد ، حدثنا عيسى بن يوسف ، حدثنا كثير بن عبدالله بن عمرو المزني ، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار فذكر بنحوه - أي بنحو الكتاب الذي أورده ابن إسحاق ، ولكن يبدو أن الوثيقة وردت في القسم المفقود من تاريخ ابن أبي خيثمة إذ لا وجود لها فيما وصل إلينا منه .

كذلك وردت الوثيقة في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام بإسناده آخر هو حدثني يحيى بن عبدالله بن بكير ، وعبدالله بن صالح ، قالوا: حدثنا الليث ابن سعد ، قال: حدثنا عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن رسول الله ﷺ كتب هذا الكتاب ..) وسرده .

كما وردت الوثيقة في كتاب الأموال لابن زنجويه من طريق الزهري أيضاً.

هذه هي الطرق التي وردت منها الوثيقة بنصها الكامل ، والتطابق الكبير بين سائر الروايات سوى بعض التقديم والتأخير في العبارات ، أو اختلاف بعض المفردات ، أو زيادة بنود قليلة ، ولا يؤثر هذا الاختلاف على مضمونها العام .

ب - مدى صحة الوثيقة:

اعتمد عدد من الباحثين المعاصرين على الوثيقة فبنوا عليها دراساتهم ، في حين ذهب الأستاذ يوسف العش إلى أن الوثيقة موضوعة فهو يقول: إنها لم ترد في كتب الفقه والحديث الصحيح رغم أهميتها التشريعية ، بل رواها ابن إسحاق بدون إسناده ، ونقلها عنه ابن سيد الناس ، وأضاف أن كثير بن عبدالله بن عمرو والمزني روى هذا الكتاب عن أبيه عن جده ، وقد ذكر ابن حبان البستي: أن كثير المزني روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ، ولا الرواية عنها إلا على جهة التعجب « ويرى العش أن ابن إسحاق اعتمد على رواية كثير لكنه تعمد حذف الإسناد .

لقد ذهب الأستاذ العش إلى ذلك لأنه تصور أن الوثيقة لم يروها غير ابن إسحاق ، ولم يعثر على إسناد لها سوى ما ذكر ابن سيد الناس من رواية ابن أبي خيثمة لها من طريق كثير المزني .

لكن أبا عبيد القاسم بن سلام أورد الوثيقة من طريق الزهري وهي طريق مستقلة لا صلة لها بكثير المزني . ونظراً لكون ابن إسحاق من أبرز تلاميذ الزهري ، فإن ثمة احتمال لأن يكون أورد الوثيقة من طريقه ، لولا أن البيهقي ذكر إسناد ابن إسحاق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون أن تتناول البنود المتعلقة بيهود ، ولا يمكن الجزم بأن ابن إسحاق أخذ البنود المتعلقة بيهود من هذه الطريق أو من طريق أخرى .

قال البيهقي: « أخبرني أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال: حدثني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق قال: أخذت من آل عمر بن الخطاب هذا الكتاب كان مقرونا بكتاب الصدقة » .

والحديث بهذا الإسناد ضعيف ، لأن عثمان تحملها وجادة ، وفي الإسناد رجال فيهم ضعف مثل عثمان ، فهو صدوق له أوهام ، ويونس بن بكير يخطئ ، والطار ضعيف وتحمله للسيرة صحيح ، فالرواية على ضعفها صالحة للاعتبار وقد توبعت وأن هذا النص يهدم الأساس الذي بنى عليه الأستاذ العش رأيه . كما أنه لا يمكن الحكم على الوثيقة بأنها موضوعة لأن كتب الحديث لم ترو نصاً كاملاً !! فقد أوردت كتب الحديث مقتطفات كثيرة منها تغطي عدداً كبيراً من بنودها .

وبذلك يتبين أن الحكم بوضع الوثيقة مجازفة ، ولكن الوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة . فابن إسحاق في سيرته رواها دون إسناد مما يجعل روايته ضعيفه ، وأوردها البيهقي من طريق ابن إسحاق أيضاً بإسناد فيه سعد بن المنذر وهو مقبول فقط ، وابن أبي خيثمة أوردها من طريق كثير بن عبدالله المزني وهو يروي الموضوعات ، وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري ، وهو من صغار التابعين فلا يحتج بمراسيله » .

ولكن نصوصاً من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة وبعضها أوردها البخاري ومسلم ، فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح وقد احتج بها

الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم . كما أن بعضها ورد في مسند الإمام أحمد ، وسنن أبي داود ، وابن ماجه والترمذي ، وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة .

وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية ، سوى ما ورد منها من كتب الحديث الصحيح ، فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية ، خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة ، كما وأن الزهري علم كبير من الرواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية ، ثم إن أهم كتب السيرة والمصادر التاريخية ذكرت موادة النبي ﷺ لليهود ، وكتابته بينه وبينهم كتاباً ، كما ذكرت كتابته كتاباً بين المهاجرين والأنصار .

وقد جاء عند ابن كثير في البداية والنهاية: ١٠٣/٤ - ١٠٤ نقلاً عن موسى ابن عقبة: « وفيه أن بني قريظة مزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد » . والأثر موقوف عليه بدون إسناد ، ولكن مجموع الآثار يتقوى بعضها ببعض وتصل إلى درجة الحسن لغيره .

كذلك فإن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها ، فنصوصها مكونة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب ، ويكثر فيها التكرار ، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول عليه السلام ، ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة ، وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح ، أو تمدح فرداً ، أو جماعة ، أو تخص بالإطراء ، أو الذم ، لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصلية وغير مزورة ، ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة ، وأساليب كتب النبي ﷺ الأخرى يعطيها توثيقاً آخر ^(١) .

ميثاق التحالف الإسلامي :

وكما سبق ذكره تبين لنا أن رسول الله ﷺ قد عقد حلفاً بين المهاجرين والأنصار ، وسأذكر بنود هذا الحلف من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الحلف :

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم ضياء العمري من صفحة: ١٠٧- ١١٢ بتصرف قليل .

١٩٤- من حديث علي رضي الله عنه من روايات متعددة عنه من طرق عن عدد من التابعين وكل واحد منهم روى بعضها وكل ما ذكره وارد فيها « الوثيقة أو الحلف » .

من طريق إبراهيم التيمي ، عن أبيه يزيد التيمي عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: (المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل) وقال: (وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل)^(١) .

١٩٥- ومن طريق أبي جحيفة عن علي قال: فيها (الصحيفة) العقل وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر)^(٢) .

١٩٦- ومن طريق أبي حسان الأعرج « بعد أن ذكر الحديث زاد (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد بعهده) وزاد أحمد: (إن إبراهيم حرم مكة ، وإني أحرم ما بين حرتيها وحماها كله ، لا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها، ولا يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره، ولا يحمل فيها السلاح لقتال)^(٣) .

١٩٧- ومن طريق أبي الطفيل (لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثاً)^(٤) .

(١) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب حرم المدينة رقم: ١٨٧٠ ، ٣١٧٢ ، ٣١٧٦ ، ٦٧٥٥ ، ٧٣٠٠ ، ومسلم في الحج باب ضل المدينة: ١٣٧٠ ، أبو داود: المناسك باب في تحريم المدينة: ٢٠٣٤ ، والترمذي في الولاء باب ما جاء فيمن تولى غير مواليه: ٢١٢٨ وأحمد في المسند: ٨١/١ ، ١٢٦ .

(٢) أخرجه البخاري في العلم باب كتابة العلم: ١١١ ، الجهاد ، باب فكاك الأسير: ٣٠٤٧ ، الديات باب لا يقتل المسلم بالكافر: ٦٩١٥ ، ٦٧٥٥ الترمذي الديات باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر: ١٤١٢ ، وابن ماجه: في الديات: ٢٦٥٨ ، النسائي في القسامة باب سقوط القود من المسلم للكافر: ٢٤/٨ ، والحميدي رقم: ٤٠ ، وأحمد: ٧٩/١ ، والطحاوي شرح معاني الآثار: ١٩٢/٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ١١٩/١ ، والنسائي القسامة باب القود بين المالك والأحرار: ٢٠/٨ بدون قوله: إن إبراهيم) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله حديث رقم: ١٩٧٨ .

١٩٨- ومن طريق لإبراهيم التيمي قال: (فيها الجراحات وأسنان الإبل)^(١).

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

والجمع بين هذه الأخبار أن الصحيفة المذكورة كانت مشتملة على مجموع ما ذكره ، فنقل كل راو بعضها ، وأتمها سياقاً طريق أبي حسان كما ترى والله أعلم^(٢).

ومن الواضح أن هذه المقتطفات معظمها يطابق - نصاً - ما ورد في الوثيقة: كما أنها تغطي معظم بنود الوثيقة المتعلقة بالتزامات المسلمين من المهاجرين والأنصار بعضهم تجاه بعض ، ولكن ليس فيها إشارة إلى البنود المتعلقة بموادعة اليهود ، مما يرجح أن الوثيقة في الأصل وثيقتان ، وأن الصحيفة التي كانت معلقة بسيف رسول الله ﷺ ثم صارت عند علي رضي الله عنه هي نفس الكتاب بين المهاجرين والأنصار^(٣).

وهكذا يتبين أن الرسول عليه السلام قد حالف بين الأنصار والمهاجرين في وثيقة خاصة بهم ، ووادع اليهود في وثيقة أخرى ، الأولى بعد بدر حدد فيها التزاماتهم بعضهم تجاه بعض ، والثانية قبل أول قدوم النبي المدينة ، لكن المؤرخين جمعوا بين الوثيقتين «^(٤)».

وسأنقل نص الوثيقة كاملة وقد سبق التكلم عن صحتها وقوتها:

ج - نص الوثيقة:

- ١- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تابعهم فلحق بهم وجاهد معهم .
- ٢- إنهم أمة واحدة من دون الناس .
- ٣- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة رقم: ٣١٧٢

(٢) فتح الباري: ٨٥/٤

(٣) المجتمع المدني: ٨٥/٤

(٤) المصدر السابق: ص ١١٧ يعض التصرف

- ٤- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ٥- وبنو الحارث « بن الخزرج » على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف .
- ٦- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ٧- وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ٨- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ٩- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ١٠- بنو التبت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ١١- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
- ١٢- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً ^(١) بينهم أن يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل .
(١٢ ب) وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .
- ١٣- وأن المؤمنين المتقين (أيديهم) على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم ^(٢) ، أو إثماً ، أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليهم جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم .
- ١٤- ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .
- ١٥- وإن ذمة الله واحدة يجير أدنانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .
- ١٦- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين .

(١) المفرح: المثل بالدين وكثير العيال .

(٢) دسيعة ظلم: الدسيعة هي العظيمة وهي ما يخرج من خلق البعير إذا رغا ومعناه هنا: ما ينال منهم من ظلم .

عليهم .

١٧- وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

١٨- وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً .

١٩- وإن المؤمنين يبيء^(١) بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله .

٢٠- وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه

٢٠ ب - وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١- وإنه من اعتبط^(٢) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به ، إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل) ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

٢٢- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، وأن من نصره فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٢٣- وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد .

٢٤- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم لا يوتغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته .

٢٦- وإن يهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧- وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨- وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩- وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠- وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١- وإن ليهود بني ثعلبة ماليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .

٣٢- وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

(١) يبيء: يمنع ويكف .

(٢) اعتبط: قتل مؤمناً من غير شيء يوجب قتله .

(٣) يوتغ: يهلك

- ٣٣- وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الإثم .
- ٣٤- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم .
- ٣٥- وإن بطانة يهود كأنفسهم .
- ٣٦- وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد .
- ٣٦ب - وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا .
- ٣٧- وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والبر دون الإثم .
- ٣٧ب - وإنه لا يأثم أمر بحليفه وإن النصر للمظلوم .
- ٣٨- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .
- ٣٩- وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .
- ٤٠- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .
- ٤١- وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .
- ٤٢- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث ، أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .
- ٤٣- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .
- ٤٤- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب .
- ٤٥- وإذا دعوا إلى صلح يصلحون ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .
- ٤٥ب - على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .
- ٤٦- وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .
- ٤٧- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار عن بر وتقي ، ومحمد

رسول الله ^(١) .

ولقد حلل الأستاذ أكرم ضياء العمري حفظه الله هذه الوثيقة تحليلاً طيباً ، وكتب حولها بحثاً قيماً في كتابه المجتمع المدني نقلت جزءاً كبيراً منه لنفاسته وجودته ، والله الموفق .

المبحث الحادي عشر: عبدالله بن الزبير « أول مولود بعد الهجرة »

١٩٩- من حديث أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبدالله بن الزبير ، قالت: فخرجت وأنا متم ، فأتيت المدينة ، فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعت في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام ^(٢) .

دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها

٢٠٠- من حديث عائشة رضي الله عنها: « تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعري ، فوفي جميمة ، فأتني أمي أم رومان - وإني لفي أرجوحة ومعني صواحب لي ، فصرخت بي فأتيتها ، لا أدري ما تريد بي ، فأخذت يدي حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن: على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن ، فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين ^(٣) » .

٢٠١- وقد دخل النبي في شوال كما جاء ذلك عنها ^(٤) .

(١) المجتمع المدني: ص ١١٩ - ١٢٢

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه رقم: ٣٩٠٩ ، ومسلم في الأدب باب استحباب تحنك المولود عند ولادته حديث: ٢١٤٦ وقد جاء أيضاً من حديث عائشة عند البخاري رقم: ٣٩١٠ ومسلم: ٢١٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب تزويج النبي عائشة رقم: ٣٨٩٤ وجاء بأرقام: ٣٨٩٦ ، ٥١٣٣ ، ٥١٣٤ ، ٥١٥٦ ، ٥١٥٨ ، ٥١٦٠ ، ومسلم في النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة: ١٤٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم في النكاح باب استحباب التزويج في شوال: ١٤٢٣ ، الترمذي النكاح باب ما جاء في

المبحث الثاني عشر

قصة الأذان ومشروعيته

٢٠٢- من حديث عبدالله بن زيد قال: « لما أمر رسول الله وسلم بالناقوس ليضرب به للناس لجمع الصلاة ، طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً: فقلت: يا عبدالله أتبيع الناقوس ؟ فقال: وما تصنع به ؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة . قال: أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت: بلى فقال: تقول الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت ، فقال: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال ، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك) .

وزاد أحمد في رواية « فقامت مع بلال ، فجعلت ألقيه عليه ، ويؤذن به ، قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى ، فقال رسول الله ﷺ: (فله الحمد)^(١) .

الأوقات التي يستحب فيها النكاح رقم: ١٠٩٣ ، وابن ماجه النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء: ١٩٩٠ .

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب كيف الأذان: ٤٩٩ الدارمي: ٢٦٩/١ ، الصلاة باب في بدء الأذان ، ابن ماجه الأذان باب بدء الأذان رقم: ٧٠٦ ، البيهقي ٣٩١/١ ، أحمد في المسند: ٤٣/٤ ، الترمذي في الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان رقم: ١٨٩ وقال حسن صحيح ، والبخاري في خلق أفعال العباد ص: ٣٤ - ٣٥ ، وابن الجارود: ١٥٨ ، والدارقطني: ٣٤١/١ ، والسيرة النبوية لابن هشام: ١٧٧/٢ ، ١٧٨ ، وابن خزيمة: ٣٧١ ، وعبدالرزاق: ١٧٨٧ . وقد صححه جماعة من الأئمة كالبخاري والذهبي والنووي وغيرهم - انظر نصب الراية: ٢٥٩/١ - ٢٦٠ .

المبحث الثالث عشر

عبدالله بن أبي وإيذاؤه للنبي صلى الله عليه وسلم

٢٠٣- من حديث أسامة بن زيد قال: « إن النبي ﷺ ركب حماراً ، عليه إكاف تحته قطيفة فذكيه ، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج . وذاك قبل وقعة بدر ، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، فيهم عبدالله بن أبي ، وفي المجلس عبدالله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا .

فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن . فقال عبدالله بن أبي: أيها المرء ! لا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقاً ، فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك فممن جاءك فاقصص عليه .

فقال عبدالله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا ، فإننا نحب ذلك ، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، حتى هموا أن يتواثبوا . فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال: (أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب ؟) - ويريد عبدالله بن أبي - (قال كذا وكذا) قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح . فوالله ! لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه ، فيعصبوه بالعصابة ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه ، شوق بذلك ، فذلك فعل به ما رأيت ، فعفا عنه النبي ﷺ^(١) .

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ... رقم: ٤٥٦٦ ، ومسلم في

الجهاد والسير باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين رقم: ١٧٩٨ .

★ أكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس ، قطيفة: دثار مخمل .

★ عجاجة الدابة: ما ارتفع من غبار حوافرها . خمر أنفه: غطاه . يخفضهم: يسكنهم ويسهل الأمر بينهم شوق بذلك: غص ومعناه حسد النبي .

المبحث الرابع عشر: الإذن بالقتال

٢٠٤- قال الزهري أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ ^(١) .

٢٠٥- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ ^(٢) وهي أول آية نزلت في القتال » ^(٣) .

المبحث الخامس عشر: غزوة الأبواء

قال البخاري رحمه الله: « قال ابن إسحاق أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة » ^(٤) .

الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً ^(٥) .
أو ودان: قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع ^(٦) . والأبواء وودان: مكانان متقاربان ليس بينهما إلا ستة أميال أو ثمانية أميال .
وكان خروجه عليه السلام إلى الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره ^(٧) .

وقبل هذ الغزوة كان رسول الله ﷺ قد أرسل بعض السرايا وهي:

(١) فتح الباري: ٢٨٠/٧ ، وقال أخرجه النسائي وإسناده صحيح ، انظر السنن الكبرى ، للنسائي التفسير باب قوله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ رقم: ١١٣٤٦ .

(٢) سورة الحج: ٣٩

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب سورة الحج رقم: ٣١٧٠ ، والنسائي الجهاد باب وجوب الجهاد: ٢/٦ ، وفي الكبرى رقم: ١١٣٤٥ ، أحمد في المسند: ٢١٦/١ ، الحاكم في المستدرک: ٦٦/٢ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة العشيرة أو العسيرة: ٣٩٤٩ من ضمن الترجمة للباب .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي: ٩/٣

(٦) السيرة النبوية ابن هشام: ٥٩١/١ .

(٧) السيرة ابن هشام: ٥٩١/١

١- سرية حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر من جهينه ، فلقوا أبا جهل بن هشام فحجز بينهم مخشي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين ^(١) .

٢- سرية عبيدة بن الحارث حتى بلغ ثنية المرة ، فوجد هناك جمعاً للمشركون ، ولم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي في الإسلام ، وفي هذه السرية فر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو ، وعتبة بن غزوان وكانا قد حبسا من قبل المشركين ^(٢) .

واختلف أهل السير: أي البعثين كان أول: أبعث حمزة ، أو بعث عبيدة. فقال ابن إسحاق أول راية عقدها رسول الله ﷺ وأول سرية بعثها عبيدة بن الحارث ^(٣) ، قال ابن إسحاق: وبعض الناس يزعمون أن راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ ^(٤) .

وقال المدائني « أول سرية بعثها رسول الله ﷺ: حمزة بن عبدالمطلب في ربيع الأول من سنة اثنتين إلى سيف البحر من أرض جهينة » ^(٥) .

ويقول ابن إسحاق: « ويقول بعض الناس: كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشب ذلك على الناس » ^(٦) .

(١) ابن هشام: ٥٩٥/١ ، ابن سعد: ٦/٢ ، الطبري: ٢٥٩/٢ ، ٢٦٠ ، ابن كثير: ٣٣٨/٢ ابن سيد الناس: ٢٢٤/١ .

(٢) ابن هشام: ٥٩١/١ ابن سعد: ٧/٢ ابن كثير: ٣٣٨/٢ ، ٣٣٩ ، ابن جرير: ٢٦١/٢

(٣) أخرجه ابن هشام: ٥٩١/١

(٤) ابن هشام: ٥٩٥/١ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي: ١٠/٣ نقلاً عن المدائني ، ابن هشام: ٢٢٨/٢ - ٢٣٠ ، بينما هي في المغازي في رمضان من السنة الأولى للهجرة: مغازي الواقدي: ٢/١ البيهقي الدلائل: ١٥/٣

(٦) أخرجه ابن هشام: ٥٩٥/١ - ٥٩٦ .

المبحث السادس عشر: غزوة بواط

٢٠٧- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

« سرنا مع رسول ﷺ في غزوة بطن بواط ، وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني ، وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة ، فدار عقبة رجل من الأنصار على ناضح له ، فاناخه فركبه ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن ، فقال له: شأ لعنك الله . فقال رسول الله ﷺ: (من هذا اللاعن بعيره) فقال: أنا يا رسول الله . قال: (أنزل عنه ، فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء ، فيستجيب لكم) ^(١) .

وهي على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره .

المبحث السابع عشر: غزوة العشيرة

٢٠٨- عن أبي إسحاق قال: « كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، ف قيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة ؟ قال: تسع عشرة ، قال: كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة . قلت فأيهم كان أول ؟ قال: العشير أو العشيرة ، فذكرت ذلك لقتادة فقال العشيرة » ^(٢) .

وعند الإمام أحمد لفظ آخر « عن أبي إسحاق قال: سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه كم غزا النبي ﷺ قال: تسع عشرة غزوة وغزوت معه سبع عشرة وسبقني بغزوتين » ^(٣) .

قال الحافظ في الفتح: ٢٨٠-٢٨١/٧: كذا قال ، ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل ، لكن روى أبو يعلى من طريق أبي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل رقم: ٣٠٠٩ .

★ بطن بواط: قال القاضي رحمه الله قال أهل اللغة وهو بالضم وهي رواية أكثر المحدثين ، وهو جبل من جبال جهينة ، الناضح: البعير الذي يستقي عليه . يعقبه: يركبه . التلدن: التوقف التلكا . شأ: كلمة زجر للبعير .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي: باب غزوة العشيرة أو العسيرة: رقم: ٣٩٤٩ ، ومسلم: ١٢٥٤ في الجهاد والسيرة باب غزوات النبي ﷺ .

(٣) الفتح الرباني: ٢٢/٢١ وقال الساعتي أخرجه الشيخان وغيرهما .

الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون ، وأصله في مسلم: ١٨١٣ ، فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلهما الأبواء وبواط ، وكان ذلك خفي عليه لصغره ، ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم يلفظ « قلت ما أول غزوة غزاها ؟ قال: ذات العشير أو العشيرة » والعشيرة كما تقدم هي الثالثة .

وأما قول ابن التين: يحمل قول زيد بن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو أي زيد بن أرقم ، والتقدير: فقلت: ما أول غزوة غزاها أي وأنت معه ؟ قال: العشير فهو محتمل أيضاً ، ويكون قد خفي عليه ثنتان مما بعد ذلك ، أو عد الغزوتين واحدة ، فقد قال موسى بن عقبة: قاتل رسول الله ﷺ بنفسه في ثمان: بدر ، ثم أحد ثم الأحزاب ، ثم المصطلق ، ثم خيبر ، ثم مكة ، ثم حنين ، ثم الطائف وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب ، فكونها كانت في إثرها وأفردا غير لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب ، وكذا وقع لغيره عن الطائف وحنين واحدة لتقاربهما ، فيجتمع على هذا أقوال زيد بن أرقم وقول جابر .

المبحث الثامن عشر: سرية عبدالله بن جحش

٢٠٩- عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه: « عن النبي ﷺ أنه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة فلما ذهب لينطلق بكى صباية إلى رسول الله ﷺ ، فجلس ، فبعث عليهم عبدالله بن جحش مكانه ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال: (لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك) .

فلما قرأ الكتاب ، استرجع وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، فخيرهم الخبر ، وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلاً ، ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى ، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾ الآية ، فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر فأنزل الله - عز وجل - ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ (١) .

(١) أخرجه البيهقي: ١١/٩ - ١٢ والطبري في التفسير: ٣٤٩/٢ - ٣٥٠ ، وأبو يعلى: ١٥٣٤ والطبراني في الكبير: ١٦٧٠ ، وقال البيهقي: سنده صحيح إن كان الحضرمي هو ابن لاحق . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٩٨/٦ ، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

المبحث التاسع عشر

حادثة تحويل القبلة

٢١٠- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: « أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل من صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة ، فداروا - كما هم - قبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك » .

قال زهير ، حدثنا إسحاق عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ ^(١) .

٢١١- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف ياخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ الآية » ^(٢) .

٢١٢- ومن حديث أنس قال: أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس ، فنزلت: ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول

وقد جاء من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه ابن أبي شيبة: ٣٥١/١٤ وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ٢٥/٢١ - ٢٦ ، وقال أبو زرعة: فيه زياد بن علاقة لم يسمع من سعد بن أبي وقاص شيئاً كما في المراسيل: ٥٧ فيكون سند أحمد منقطعاً ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ١٧/٣ - ٢١ مره من طريق ابن إسحاق مراسلاً عن عروة وقد صرح بالسماع ، ومره عن الزهري مراسلاً عن عروة أيضاً وأخرجه في السنن: ٥٥/٩ - ٥٩ وابن سعد في الطبقات: ١٠/٢ - ١١

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب الصلاة من الإيمان حديث رقم: ٤٠ ، وجاء بأرقام: ٣٩٩ ، ٤٤٨٦ ، ٤٤٩٢ ، ٧٢٥٢ ، الترمذي حديث: ٢٩٦٢ وقال حسن صحيح ، ابن ماجه: ١٠١٠ ، أحمد: ٢٧٤/٤ أبو داود والطيالسي: ٨٥/١ ، مسلم في الصحيح كتاب المساجد باب تحويل القبلة رقم: ٥٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة حديث: ٢٩٦٤ ، وقال حسن صحيح ، الطيالسي: ١٩٤٤ ، والحاكم: ٢٦٩/٢ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

وجهك شطر المسجد الحرام ﴿^(١) فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة: فنادى ألا إن القبلة قد حولت. فمالوا كما هم نحو القبلة﴾^(٢).

٢١٣- ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة ، وقد أمر أن يستقبل القبلة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة »^(٣).

(١) سورة البقرة: ١٤٤

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة رقم: ٥٢٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب تحويل القبلة رقم: ٥٢٦ ، قلت: والظاهر أن القول والتحويل قد تكرر من عده رجال كما جاء من مجموع هذه الأحاديث .

الفصل الثاني

غزوة بدر الكبرى

المبحث الأول: تاريخ الغزوة وأسبابها

٢١٤- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « التمسوها (يعني ليلة القدر) في سبع عشرة ، وتلا هذه الآية (يوم التقى الجمعان) يوم بدر ، قال: أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين » ^(١) .

٢١٥- ومن حديث ابن مسعود أيضاً: قال في ليلة القدر (تحروها لإحدى عشرة ييقن صبيحتها يوم بدر) .

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « أما غزوة بدر فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم ، واتفقوا على أنها كانت في رمضان ، قال ابن عساكر: والمحفوظ أنها كانت في يوم الجمعة ، وروي أنها كانت في يوم الاثنين وهو شاذ ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة ، وقيل ثاني عشرة ، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة » ^(٢) .

قلت: وخلاصة الأمر كما جاء في قول ابن حجر أن الخروج كان في الثاني عشر ، والسابع عشر يوم الوقفة ، والتاسع عشر كما في قول ابن مسعود الثاني هو انتهاء الغزوة وخاصة أن الرسول عليه السلام كان يقيم في عرصة أي قوم يغزوهم ثلاثاً ، وكذا فعل في بدر كما سيأتي بيانه .

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب من روى أنها ليلة سبع عشرة: ١٣٨٤ والبيهقي: ٣١٠/٤ وابن أبي شيبه: ٧٥/٣ - ٧٦ ، والطبراني في الكبير: ٩٠٧٤: ٩٥٧٩ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٧٦٩٧ والطحاوي: ٥٤/٢ ، وابن نصر المروزي في مختصر قيام رمضان ص: ١٠٨ ، والحاكم في المستدرک ٢١-٢٠/٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قال ، وأخرجه الطبري في التاريخ: ٢٦٦/٢ بإسناد صحيح ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٧٦/٦ ، إلى سعيد بن منصور وابن مردويه .

(٢) التلخيص الحبير: ٨٩/٤ رقم الحديث: ١٨٢٦ .

المبحث الثاني

مرحلة ما قبل المعركة

١- إرسال العيون للتجسس على قوافل قریش

٢١٦- من حديث أنس: قال: « بعث رسول الله ﷺ بسبسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله (قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: (إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا) فجعل رجال يستأذنونهم في ظهرانهم في علو المدينة فقال: (لا إلا من كان ظهره حاضراً)^(١) .

٢- المشاورة الأولى من الرسول لأصحابه في المدينة

٢١٧- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عباد ، فقال: إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، قال: فندب رسول الله الناس فانطلقوا .. (الحديث)^(٢) .

٣- دعوة الرسول عليه السلام الناس للخروج

٢١٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام: ندب المسلمين إليهم وقال: (هذه عير قریش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان خوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الإمامة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ١٩٠١ أحمد في المسند: ١٣٦/٣ .

* يعني الخيل أي لو أمرتنا بإدخال خيولنا في البحر وغشيتنا أياها فيه لفعلنا .

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة بدر رقم: ١٧٧٩ وأحمد في المسند: ١٨٨/٣ ، ١٠٠/٣ ، ٢٢٨/٤ ، ٢٩/٦

فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة^(١) .

٤- قلة المراكب من الجمال والخيول

٢١٩- من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وقال: وكانت عقبه رسول الله ﷺ قال: فقالا: نحن نمشي عنك .

فقال: (ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما)^(٢) .

٢٢٠- ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

« قال: لقد أتينا ليلة بدر وما فينا إلا نائم إلا النبي ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو ، وما كان فينا فارس إلا المقداد »^(٣) .

٥- عدد المسلمين في غزوة بدر

٢٢١- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة »^(٤) .

٢٢٢- ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « كان عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر »^(٥) .

٢٢٣- ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: « خرج

(١) أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق: ٦٠٧-٦٠٦/٢ ، بسند صحيح فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤١١/١ ، طبعة لبنان رقم: ٣٩٠١ ، طبعة أحمد شاكر ، ابن حبان: ١٦٨٨ ، والحاكم: ٢٠/٣ ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦٩/٦ ، رواه أحمد والبخاري وفيه عاصم بن بهدلة وحديث حسن وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح ، وحسنه الشيخ أحمد شاكر .

(٣) الفتح الرباني: ٣٦/٢١ والطالسي: ٢٣٤٢ وأبو يعلى والحديث سنده صحيح .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب عدة أصحاب بدر رقم: ٣٩٥٨ ، الترمذي في السير باب ما جاء في عدة أصحاب بدر رقم: ١٥٩٨ وقال حديث حسن صحيح .

(٥) كشف الاستار عن زوائد البزار رقم: ١٧٨٤ وقال الهيثمي: ٩٣/٦ رواه البزار ورجاله ثقات .

رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه .. فذكر الحديث «^(١)» .

وهذه الرواية لا تنافي التي قبلها لاحتمال أن تكون هذه الرواية لم يعد فيها النبي ﷺ ولا الرجل الذي لحق بهم .

٦- عدم السماح لمن لم يبلغ بالخروج

٢٢٤- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين^(٢) » .

٢٢٥- ومن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ نظر إلى عمير بن أبي وقاص ، فاستصغره حين خرج إلى بدر ، ثم أجازته قال سعد: فيقال: أنه خانته سيفه قال عبدالله بن جعفر قتل يوم بدر «^(٣)» .

٧- رفضه الاستعانة بالمشركين

٢٢٦- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « خرج رسول الله ﷺ قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه ، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله ﷺ: (تؤمن بالله ورسوله ؟) . قال: لا: قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك) .

قالت: ثم مضى ، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل . فقال له كما قال أول مرة ، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة: قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك) قال: ثم رجعت فأدركه بالبيداء . فقال له كما قال أول مرة: (تؤمن بالله ورسوله)

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في نفل السرية تخرج من العسكر رقم: ٢٧٤٧ ، والحاكم: ١٤٥/٢ وقال صحيح على شرط مسلم ، والبيهقي: ٥٧/٩ ، وحسنه الحافظ في الفتح: ٢٩٢/٧ والحديث حسن والله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب عدة أصحاب بدر رقم: ٣٩٥٦ .

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٧٧٠ قال الهيثمي في المجمع: ٦٩/٦ ، رواه البزار ورجاله ثقات .

قال: نعم . فقال له رسول الله ﷺ: (فانطلق)^(١) .

٨- رؤيا عاتكة وإنذار ضمضم لقريش

سبق وأن ذكرت في حديث ابن عباس رقم: ٢١٨ ، أن أبا سفيان كان يتحسس الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه ، وأنه كان يخاف أن يقوم النبي ﷺ وأصحابه بقطع الطريق على قافلته ، وسلب ما معه من أموال قريش .

فلما سمع من بعض الركبان بخروج رسول الله وأصحابه لاعتراض القافلة ، استأجر رجلاً من بني غفار واسمه ضمضم بن عمرو الغفاري لينذر قريشاً من أجل أن تخرج لحماية قافلته ، وقبل أن يصل النذير مكة رأت عاتكة بنت عبدالمطلب رؤيا أولت بأن مصاباً سيحل في مكة ، سيؤدي إلى قتل عدد من زعماء قريش ، مما أثار حفيظة بعض زعماء الشرك ، ولتترك المجال لراوي الحدث ليخبرنا بالتفصيلات:

٢٢٧- قال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان^(٢) عن عروة بن الزبير قال: «وقد رأت عاتكة بنت عبدالمطلب رضي الله عنها قبل قدوم ضمضم (الغفاري) مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعته ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب ، فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاکتم عني ما أحدثك به ، فقال لها: وما رأيت ؟

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا بالغدر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب كراهة الاستعانة في الغزو بالكافر رقم: ١٨١٧ ، أبو داود في الجهاد والسير باب في المشرك يسهم له: ٢٧٣٢ ، والترمذي في السير ما جاء في أهل الذمة يفزون مع المسلمين هل يسهم لهم: ١٥٥٨ ، وقال حسن غريب ، والدارمي: ٢٣٣/٢ وأحمد: ٦٧/٦ ، ٤٩ .
يحتمل أن عائشة كانت مع المودعين فرأت ذلك ، ويحتمل أنها أرادت بقولها: كنا ، كان المسلمون ، كذا قال النووي في شرح مسلم: ١٩٨/١٢ - ١٩٩ .

(٢) يزيد بن رومان ثقة من الخامسة ، تقريب: ٣٦٤/٢

دخلتها منها فلقه ، قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنت فاكتميهما ، ولا تذكريهما لأحد . ثم خرج العباس ، فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدث به قريش في أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبیت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رأي أبي جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا .

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساءكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أنني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً قال : ثم تفرقنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتنني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير شيء مما سمعت ! ، قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وأيم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لا كفيئتكته .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أنني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشدد . قال : فقلت في نفسي ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقاً مني أن أشاتم !

قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدد بعيره ، وحول رحله ، وشق

قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تتركوها ، الغوث الغوث: قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر «^(١) .

٩- إجارة الشيطان قريشاً

٢٢٨- قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال: « لما أجمعت قريش المسير ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك يشيئهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً »^(٢) .

١٠- تخوف بعض أئمة الكفر من الخروج

أمية بن خلف وقصته مع سعد بن معاذ .

٢٢٩- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حدث عن سعد بن معاذ أنه قال: « كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً ، فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية: انظرني ساعة خلوة لعلني أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك ؟

فقال: هذا سعد . فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أوتيت الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم . أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٦٠٧/١ ، وسنده صحيح إلا أنه مرسل ، وقد جاءت حادثة عاتكة من طرق متعددة - من حديث ابن عباس عند الحاكم: ١٩/٣ إلا أن سنده ضعيف ، ورواه الطبراني بإسنادين أحدهما مرسل ، والآخر مرفوع من حديث مصعب بن عبدالله وفيهما ابن لهيعة وحديث حسن كما قال الهيثمي في الجمع: ٧٣٢/٦ ، وله سند آخر عند ابن إسحاق عن ابن عباس ولكنه ضعيف ، وأورده ابن منده بسنده عن عاتكة بنت عبدالمطلب وسنده ضعيف كما قال ابن حجر في الإصابة: ٣٤٧/٤ وبهذه الطرق يتقوى الحديث فيرتفع الحديث إلى درجة الحسن لغيره والله أعلم .

★ أظفعتني: اشتدت علي .

★ يا لغدر: يا أهل غدر ، يا آل غدر ، مثل به: قام به ، أرفضت: تفتت ، جدع بعيره: قطع أنفه ، اللطيمة: الإبل التي تحمل البر والطيب .

(٢) ابن هشام في السيرة: ٦١٢/١ ، وسنده صحيح لكنه مرسل ، ابن كثير من طريقه: ٤٣٢/٢ .

رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة ، فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنهم قاتلوك) . قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً . فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أم صفوان ، ألم تري ما قال لي سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي . فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذا غلبتني فوالله لأشتري أجود بعير بمكة . ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزيني . فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك الشريبي ؟ قال : لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً . فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره . فلم يزل بذلك حتى قتله الله - عز وجل - بيد ^(١) .

١١- عدد المشركين في بدر

٢٣٠- من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو تنمة لما جاء في حديث المشورة رقم : ٢١٧ : قال : « فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ ، ووردت عليهم روايا قریش ، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فأخذوه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه : فيقول : ما لي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف ، فإذا قال ذلك ضربه ، فقال : نعم : أنا أخبركم هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه فقال : ما لي بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف في أناس ، فإذا قال هذا أيضاً ضربه ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف وقال : والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم ، وتركوه إذا كذبكم » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ذكر النبي من يقتل بيد رقم : ٣٩٥٠ ، وأحمد في المسند : (١/٤٠٠) انظر الفتح الرباني : (٢١/٤٢) .

(٢) انظر حديث : ٢١٧ ، وتخريجه هناك .

٢٣١- ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: « لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتوينها ، فأصابنا بها وعك ، فكان النبي ﷺ يتخبر عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر ، وبدر بئر ، فسبقنا المشركون إليها ، فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فانفلت ، وأما مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له: كم القوم ؟ فيقول: هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربه ، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال: له النبي ﷺ: (كم القوم ؟) ، فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم ، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى ، ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر ؟ قال: عشر لكل يوم ، فقال رسول الله ﷺ: (القوم ألف كل جزور لمائة ونيفها)^(١) .

١٢- تحديد مصارع القوم

٢٣٢- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترأينا الهلال » ... إلى أن قال: « ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله) قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ »^(٢) .

١٣- الاستشارة الثانية من الرسول عليه السلام لأصحابه

وقد استشار الرسول ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم المرة الثانية لبيان للأمة الإسلامية أهمية مبدأ الشورى في الإسلام ، ولأن الأنصار رضوان الله عليهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من جيشه ﷺ ، وبذلك يبنى القرار الذي يتخذ على رأيهم وأكثريتهم ، ولأنهم أصحاب الأرض التي انطلقت منها القوة المؤمنة فلا بد

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١١٧/١ ، وأبو داود: ٢٦٦٥ ، في الجهاد باب في المبارزة من حديث علي وإسناده صحيح ، وأخرجه الحاكم: ١٨٧/٣ - ١٨٨ ، عن ابن عباس وسنده حسن وقال الهيثمي في حديث علي: ٧٦/٦ أحمد والبزار وأحمد رجال الصحيح غير حارثه بن مضرب وهو ثقة وانظر كشف الأستار: ١٧٦١ .

★ اجتوينها: أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم: ٢٨٧٣ ، وأحمد في المسند: ٢٦/١ ، والنسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين: ١٠٨/٤ .

من أخذ رأيهم وسأقل وصف مشهد المشاورة كما وصفها الصحابة رضوان الله عليهم .

٢٣٣- من طريق ابن إسحاق بسنده الصحيح إلى ابن عباس في رواية أحداث بدر يقول ابن عباس رضي الله عنهما: « ... وأتاه الخبر عن قریش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ، فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قریش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله ، امضي لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله خيراً ، ودعا له به .

ثم قال رسول الله ﷺ: (أشيروا علي أيها الناس) ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا ، فممنعنا مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا بمن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال: (أجل) . قال: فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال: (سيروا وابدؤوا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم)^(١) .

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٦١٤/١ - ٦١٥ ، بإسناد صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وأخرجه الطبراني وإسناده حسن كما في المجمع: ٧٣/٦ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٣٢/٣ ، وقال ابن

٢٣٤- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً ، لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلقك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسر . يعني قوله « ^(١) » .

ويقول الحافظ في فتح الباري: « ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان ، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه « أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان والثانية كانت بعد أن خرج » ^(٢) » .

١٤- الانشقاق في صفوف المشركين حين وصولهم بدر

٢٣٥- ومن حديث علي كرم الله وجهه في تكملة حديث رقم: ٢٣١ قال رضي الله عنه:

« فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر ، يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ: (يا علي ناد حمزة) ، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم ، ثم قال رسول الله ﷺ: (إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر) ، قال: هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم: يا قوم: إني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم ، وفيكم خير ، يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنني لست بأجبنكم ، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا ، والله لو غيرك يقول لأعضضته ، قد ملأت رثك جوفك

كثير في البداية: ٢٦٢/٣ - ٢٦٣ هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله ، وله شواهد من وجوه كثيرة من ذلك رواية البخاري والنسائي وأحمد .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قوله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ رقم: ٣٩٥٢ ، أحمد في المسند: ٣٩٠ - ٤٢٨ ، الحاكم في المستدرك: ٣٤٩/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

وقد جاء مثل هذا القول دون ذكر اسم المقداد من حديث عتبة بن عبد السلمي قال الهيثمي في المجمع: ٧٥/٦ ، رواه أحمد ورجاله ثقات ، وجاء أيضاً من حديث أبي أيوب الأنصاري عند الطبراني بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع: ٧٣/٦ - ٧٤ .

(٢) فتح الباري: ٢٨٨/٧

ربعاً ، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر إسته ، ستعلم اليوم أينما الجبان «^(١) .

٢٣٦- وقد جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما نزل المسلمون وأقبل المشركون ، نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: (إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا) وهو يقول:

« يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم ، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه ، وقاتل أبيه ، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا ، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ولو قد التقينا ، فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه ، أما والله إنني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً ، أما ترون كان رؤسهم الأفاعي، وكان وجوههم السيوف ، ثم دعا أخاه وابنه ، فخرج يمشي بينهما ودعا بالمبارزة «^(٢) .

١٥- مناجاة ودعاء ، ومطر ونقاء

٢٣٧- من حديث علي السابق الذكر رقم: ٢٣١: قال: « أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: (اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد) قال: فلما تطلع الفجر نادى: (الصلاة عباد الله) فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله وحض على القتال «^(٣) .

٢٣٨- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « لما كان يوم بدر نظر رسول الله إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام

(١) انظر تخريج الحديث رقم: ٢٣١

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٧٦/٦ رواه البزار ورجاله ثقات ، وانظر كشف الاستار: ١٧٦٢ ، والحاكم: ١٨٨، ١٨٧/٣ ، وسنده حسن .

★ الطش: المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ ، الجحقة: الترس الصغير .

(٣) انظر التخريج حديث رقم: ٢٣١

★ يهتف بربه: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء .

لا تعبد في الأرض) ، فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه .

فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : « يا نبي الله ، كفك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمُ بِالْفِئَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ^(١) فأمد الله بالملائكة » ^(٢) .

٢٣٨- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قال النبي ﷺ يوم بدر (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) فأخذ أبو بكر بيده ، فقال حسبك فخرج وهو يقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) » ^(٣) .

٢٣٩- ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه ، فلما انتهى إليها قال (اللهم إنهم جياع فأشبعهم ، اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم) ففتح الله له يوم بدر ، فانقلبوا حين انقلبوا ، وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا » ^(٤) .

١٦- استفتاح أبي جهل ودعاؤه يوم بدر

٢٤٠- أ - من حديث عبدالله بن ثعلبة بن صعيبر قال : « كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال : اللهم " أقطعنا للرحم وأتانا بما لم يُعرف فأحنه الغداة " فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم ، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال : (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتمر بعمامته ، أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع ، أتاك نصر الله وعدته) » ^(٥) .

(١) سورة الأنفال : ٩

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر رقم : ١٧٦٣ ، وأحمد في المسند : ٣٠/١ - ٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب : (إذ تستغيثون ربكم ...) رقم : ٣٩٥٣ .

(٤) انظر تخريج الحديث رقم : ٢٢٣ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند : ٤٣١/٥ ، الحاكم في المستدرک : ٣٢٨/٢ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، ابن كثير في السيرة : ٤٣٤/٢ وسنده حسن ، وفي التفسير : ٢٩٦/

٢٤٠- ب - من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت ^(١): ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ^(٢) ^(٣) .

١٧- نزول جبريل عليه السلام يوم بدر

٢٤١- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) ^(٤) .

١٨- أسلوب القتال

٢٤٢- من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: « غشنا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر » ^(٥) .

وهذا المبدأ « قتال الصف » قرره الإسلام وحث عليه في قول الله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ ^(٦) .

فأسلوب القتال هذا الذي ذكره القرآن يعطي القائد القدرة الفائقة للسيطرة على الجند .

٢ وعزاه للنسائي ، وانظر سيرة ابن هشام: ١/٦٢٦-٦٢٧ ، البيهقي في الدلائل: ٣/٧٤ .

(١) الآية: ٣٢ سورة الأنفال

(٢) سورة الأنفال آية: ٣٣

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنفال باب وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم رقم: ٤٦٤٩ فتح الباري: ٣٠٩٨ ، مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب قوله تعالى: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ ، الآية حديث رقم: ٢٧٩٦ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدرأ رقم: ٣٩٩٥ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند الفتح الرباني: ٤٣/٢١ ، وإسناده صحيح كما قال شاعر في تحقيقه للمسند: ٣٩/٤ حديث رقم: ٢١٩٧ - ٢١٩٨ ورجال هذا الإسناد ثقات ، وقد جاء أيضاً من حديث أبي أسيد الساعدي أخرجه أبو داود: ٢٦٦٣ بسند حسن .

(٦) سورة الصف: ٤

١٩- تسويته الصفوف وقصته مع سواد:

٢٤٣- من حديث محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر: « أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري فقال: « يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني » ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: (استقد) قال: فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال: (ما حملك على هذا يا سواد ؟) .

قال يا رسول الله: « حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يحس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً »^(١) .

٢٠- عريش القيادة النبوية يوم بدر

ثبت أن النبي ﷺ كان له عريش يدير منه المعركة يوم بدر ، وقد شارك أيضاً صلوات الله عليه في الحرب والمعركة ونزل إلى ساحة القتال.

٢٤٤- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر .. وذكر دعاء النبي ﷺ »^(٢) .

٢٤٥- ومن طريق ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب ، وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ، ومعهم السيوف خشية أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ^(٣) .

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٩٥/٢ ، وسنده حسن إلا أنه مرسل ، ويسنده ما جاء عن عبدالله بن جبير الخزاعي في مجمع الزوائد: ٢٨٩/٦ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبدالله بن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب: ١٦٨/٥ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ تستغيثون ربكم ... رقم: ٣٩٥٣ من طرق متعددة .

(٣) البداية والنهاية: ٢٨٤/٣ ، وانظر سيرة ابن هشام: ٦٢٠/١ ، والطبري في التاريخ: ٤٤٠/٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٤٤/٣ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق من مرسل عبدالله بن أبي بكر .

المبحث الثالث: المرحلة الثانية: أحداث المعركة

١- المبارزة بين المسلمين والمشركين

٢٤٦- من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « أنا أول من يجشو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر ، حمزة ، وعلي ، وعبيدة ، أو أبو عبيدة بن الحارث ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة » ^(١) .

٢٤٧- ومن طريق ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال:

« ثم خرج عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ، ومعوذ ، أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال: هو عبدالله بن رواحة فقالوا: من أنتم ؟ فقالوا: رهط من الأنصار . قالوا: ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم: يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .

فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم .

قالوا: من أنتم ؟ قال عبيدة: عبيدة ، وقال حمزة: حمزة ، وقال علي: علي ، قالوا: نعم ، أكفاء كرام .

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم ، عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة .

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: ٣٩٦٥ ، وقد جاء هذا الحديث أيضا من طريق أبي ذر رضي الله عنه عند البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل رقم: ٣٩٦٦ ، ومسلم بشرح النووي: ١٦٦/١٨ ، وابن ماجه برقم: ٢٨٣٥ ، الطيالسي: ٢١/٢ ، والطبراني في الكبير: ١٦٤/٣ ، وقال الحاكم: ٣٨٦/٢ عن حديث علي: لقد صح الحديث بهذه الروايات من طريق علي ، كما صح من طريق أبي ذر .

بأسيا فهما على عتبة فذفقا عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه ^(١) .

٢٤٨- من حديث علي بن أبي طالب قال: « تقدم يعني عتبة بن ربيعة ، وتبعه ابنه وأخوه ، فنادی من يبارز فانتدب له شباب من الأنصار ، فقال: من أنتم ؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم ، إنما أردنا بني عمنا ، فقال رسول الله ﷺ: (قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيدة بن الحارث) فأقبل حمزه إلى عتبة ، وأقبلت إلى شيبه ، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فائخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد فقتلناه ، واحتملنا عبيدة » ^(٢) .

وقد وافقت رواية حديث علي هذه بأنه قتل شيبه وحمزة قتل عتبة ثم أعانا عبيدة على الوليد ما رواه الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: « أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة ، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا » ^(٣) .

وقال ابن حجر (بعد أن ذكر حديث علي الذي رواه أبو داود): وهذا أصح الروايات ، لكن الذي في السير أن الذي بارز علي هو الوليد ، وهو المشهور ، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبه كانا شيخين كعتبة وحمزة ، بخلاف الوليد وعلي فكانا شابين ^(٤) .

ولمن أراد زيادة تفصيل في هذا الأمر فليراجع كتاب مرويّات غزوة بدر ومناقشة الأقوال في بيان من بارز كل واحد من الثلاثة من المشركين الثلاثة أيضاً ، والأظهر والله أعلم ما جاء في حديث أبي داود عن علي كرم الله وجهه ، لأنه أصح الروايات كما قال ابن حجر رحمه الله تعالى .

٢- أوامر القائد الأعلى بالنضج بالنبل

٢٤٩- من حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: « قال لنا رسول الله

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة بإسناد حسن عن ابن إسحاق: ٦٢٥/١ ولكنه مرسل ، وفتح الباري: ٢٩٨/٧ ، وقد أخرجه الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر: ١٩٣/٢ من حديث علي وإسناده صحيح .
★ فذفقا: أسرعا قتله

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المبارزة رقم: ٢٦٦٥ وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري: ٢٩٨/٧ ، وأحمد: ١١٧/١ ، وأخرجه الحاكم: ١٨٧/٣ - ١٨٨ ، عن ابن عباس وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) فتح الباري: ٢٩٨/٧ .

(٤) فتح الباري: ٢٩٨/٧ .

ﷺ يوم بدر: (إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم) «^(١) .

وفي رواية أبي داود زيادة (إذا اكثبوكم فارموهم بالنبل ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم »^(٢) .

٣- وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

٢٥٠- من حديث ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ لعلي: (ناولني كفاً من حصي) فناوله ، فرمى بها وجوه القوم ، فما بقى أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء ، فزلت ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾^(٣) .

٢٥١- ومن حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: « لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى ، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: (شاهدت الوجوه) فانهزمنا فأنزل الله - عز وجل - ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾^(٤) .

٤- مشاهد وأحداث من المعركة

أ- عمير بن الحمام والتمرات

٢٥٢- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « ... فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ (لا يقدمن أحد منكم إلى شيء ، حتى أكون أنا دونه) فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) .

قال: يقول عمير ابن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال: « نعم » قال: بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قولك بخ بخ ؟) قال: لا . والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب من شهد بدرأ رقم: ٣٩٨٤ ، ٣٩٨٥ أحمد انظر الفتح الرباني: ٤٢/٢١ . والبيهقي في الدلائل: ٧٠/٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن طبعة الساعاتي: ٤٨/٢ وسكت عنه المنذري والإسناد ضعيف والله أعلم ، وفي إسناده إسحاق بن نجيح قال في التقريب: ٦١/١ ، مجهول ، ومالك بن حمزة بن أبي اسيد: التقريب: ٢٢٤/٢ ، مقبول ، ولكنه أخرجه بإسناد آخر وهو سند حسن في نفس الصفحة .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٨٤/٦ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر الطبراني: ١١٧٥٠ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٨٤/٦ رواه الطبراني وسنده حسن ، انظر الطبراني في الكبير: ٣١٢٧ ، ٣١٢٨ ، ورواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين: ٢٣٧ .

أهلها، قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ، قال: فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل^(١).

ب - مصرع أبي جهل لعنه الله :

٢٥٣- من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: قال: « بينما أنا واقف في الصف يوم بدر ، نظرت عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قال: قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده ، حتى يموت الأعجل منا . قال: فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال مثلها .

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس فقلت: ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسالان عنه ، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه ، فقال: (أيكما قتله ؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتلته ، فقال: (هل مسحتما سيفيكما ؟) قالا: لا: فنظر في السيفين فقال: (كلاكما قتله) ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء^(٢).

٢٥٤- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (من ينظر ما صنع أبو جهل ؟) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه « أبناء عفراء حتى برد ، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل ، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه »^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإمامة باب ثبوت الجثة للشهيد: رقم: ١٩٠١ ، أحمد في المسند: ١٣٦/٣ - ١٣٧ ، والحاكم في المستدرک: ٤٢٦/٣ - وابن سعد في الطبقات: ٢٥/٢ ، والبيهقي في السنن: ٤٣/٩ .
★ بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير
قرنه: جمعة الشباب .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ رقم: ٣٩٨٨ ، ومسلم في الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتل: ١٧٥٢ ، الحاكم: ٤٢٥/٣ - والطبري في التاريخ: ٤٥٤/٢ - ٤٥٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٨٣/٣ - ٨٥ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل رقم: ٣٩٦٣ ، مسلم في الجهاد ، باب قتل أبي جهل

٢٥٥- ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً ، فقلت: أي عدو الله قد أخزأك الله ؟

قال: وبما أخزاني: من رجل قتلتموه ، ومعى سيف لي ، فجعلت أضربه ولا يحثك فيه شيء ، ومعى سيف له جيد ، فضربت يده فوق سيف من يده فأخذته ، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال: (الله الذي لا إله إلا هو) .

قلت: الله الذي لا إله إلا هو .

قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر ، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته .

فقال رسول الله ﷺ: (انطلق) فانطلقت معه فأريته ، فلما وقف عليه ﷺ قال: (هذا فرعون هذه الأمة) ^(١) .

ج - مصرع أمية بن خلف:

٢٥٦- من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: « كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي ^(٢) بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت « الرحمن » قال: لا أعرف الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية ، فكاتبته (عبد عمرو) .

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزَه حين نام الناس ، فأبصره بلال ، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار ، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية ، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ، ثم أبوا حتى يتبعونا - وكان رجلاً ثقيلاً

رقم: ١٨٠٠ ، أبو داود في الجهاد باب خصه في السلاح يقاتل به في المعركة رقم: ٢٧٠٩ ، أحمد في المسند: ١١٥/٣ ، ١٢٩ ، ٢٣٦ .

(١) أخرجه الهيثمي في المجمع: ٧٩/٦ وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة ، قال عنه في التقريب: ٢١٦/٢ ، صدوق من العاشرة فيكون الحديث حسناً والله أعلم ، وانظر الطبراني من حديث: ٨٤٦٨ - ٨٤٧٦ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/٢٦١-٢٦٢ ، والبزار كما في الكشف: ٢٨٨/١ - أحمد كما في الفتح الرباني: ٣٨/٢١ .

(٢) الصاغية: صاغية الرجل: ما ميل إليه ، ويطلق على الأهل والمال .

- فلما أدركونا قلت له: ابرك ، فبرك ، فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتجملوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه ، وكان عبدالرحمن ابن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه «^(١) .

٢٥٧- ومن حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: « كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك ؟ قال: فأقول: نعم .

قال: فأني لا أعرف الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تحبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ! .

قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه ، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت ، قال: فانت عبد الإله ، قال: قلت نعم .

قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجبتة فأحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه علي ، وهو آخذ بيده قال: ومعني أذراع لي قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلما رأيته قال: يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال: يا عبد الإله ، فقلت: نعم ، قال: هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال: قلت: نعم ها الله ؟

قال: فطرح الأذراع من يدي ، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كالיום قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن «^(٢) .

د - مصرع عبيد بن سعيد بن العاص على يد الزبير .

٢٥٨- من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « لقيت يوم بدر عبيد ابن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل المسلم حريباً في دار الحرب رقم: ٢٣٠١ ، فتح الباري: ٤/ ٤٨٠ ، ابن هشام في السيرة ، ٦٣٢/١ ، بإسناد حسن والطبري في التاريخ: ٤٥١/٢-٤٥٣ ، مسلم برقم: ١٧٥٢ .

(٢) السيرة النبوية ابن هشام: ٦٣١/١ ، وسنده صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث .

الكرش ، فقال: أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه فطعته في عينه فمات » .
قال هشام ، فأخبرت أن الزبير قال: « لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان
الجهد أن نزعتها وقد اثنتى طرفاها » .

قال عروة: « فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه ، فلما قبض رسول الله ﷺ
أخذها ، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه ، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه
إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل
عثمان وقعت عند آل علي ، فطلبها عبدالله بن الزبير ، فكانت عنده حتى قتل »^(١) .

هـ - استشهاد حارثة بن سراقة :

٢٥٩- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « أصيب حارثة يوم بدر
وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ، قد عرفت منزلة
حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى تر ما
أصنع ؟ . فقال: (ويحك - أوهبت - أوجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ،
وإنه في جنة الفردوس) »^(٢) .

و - عوف بن الحارث وسؤاله: ما يضحك الرب من عبده :

٢٦٠- قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: « أن عوف بن مالك
وهو الحارث بن عفراء ، قال: يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال:
(غمسه يده في العدو حاسراً) ، فتزع درعاً كانت عليه فقفدها ، ثم أخذ سيفه
فقاتل القوم حتى قتل »^(٣) .

ز - شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

٢٦١- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

« قال: لقد رأيتنا يوم بدر ، ونحن برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب شهود الملائكة بدرأ حديث رقم: ٣٩٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ حديث رقم: ٣٩٨٢ .

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٦٢٧/١ - ٦٢٨ والبيهقي في السنن: ٩٩/٦ - ١٠٠ ، الطبري في التاريخ:
٤٤٨/٢ - ٤٤٩ من طريق ابن إسحاق وصرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده حسن ولكنه مرسل .

وكان من أشد الناس يومئذ بأساً « (١) .

٢٦٢- ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: « فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يقوم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ...) فذكر الحديث وفيه قصة عمير بن الحمام (٢) .

ح - مشاركة الملائكة يوم بدر:

٢٦٣- من حديث ابن عباس قال: « بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم . فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة) (٣) .

٢٦٤- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: « إن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) (٤) .

٢٦٥- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبدالمطلب أسيراً ، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلع من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: (اسكت فقد أيدك الله بملك كريم) (٥) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٨٦/١ ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ: ص: ٥٧ ، من طريق وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب به ، وهذا إسناد صحيح فقد صحح الشيخان رواية إسرائيل عن جده ، وانظر مجمع الزوائد: ١٢/٩ ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ٢٢٨/٢ ، وبشده له حديث البراء عند مسلم: ١٧٧٦ ، الجهاد باب في غزوة حنين

(٢) انظر تخريج الحديث: ٢٥٢ ، فإنه قطعة منه .

★ خطم: الخطم الأثر على الأنف . حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك .

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد باب الإمداد بالملائكة من حديث عمر الذي حدثه ابن عمر رقم: ١٧٦٣ . انظر شرح مسلم للنووي: ٨٦٨٥/١٢ .

(٤) رواه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ رقم: ٣٩٩٥ .

(٥) تقدم تخريجه حديث رقم: ٢٤٨ .

٢٦٦- ومن حديث أبي داود المازني: قال: « إنني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري»^(١) .

٢٦٧- ومن حديث البراء قال: « جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره ، فقال العباس، يا رسول الله ليس هذا من أسرني ، أسرني رجل من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: (قد آزرك الله بملك كريم)^(٢) .

٢٦٨- ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر يوم بدر (مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، أو يكون في الصف)^(٣) .

قال الحافظ في الفتح: « قال الشيخ تقي الدين السبكي:

« سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ؟

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي وأصحابه ، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده ، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم »^(٤) .

ط - قتال سعد بن أبي وقاص

٢٦٩- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر ، قتال الفارس والراجل »^(٥) .

(١) أخرجه ابن هشام: ٦٣٣/١ ، وأحمد في المسند: ٤٥٠/٥ من طريق ابن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني وسنده حسن - والبيهقي في الدلائل: ٥٦/٣ ، والطبري في التاريخ: ٤٥١/٢

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨٣/٦ ، رواه أحمد وفيه رجل لم يسم .

(٢) قال الهيثمي: ٨٥/٦ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٨٢/٦ ، رواه أحمد بنحوه والبزار واللفظ له ورجالهما رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى « كشف الاستار رقم: ١٤٦٧ ، ١٧٦٢ ، أحمد: ١٤٧/١ ، أبو يعلى رقم: ٣٤٠ ، إلحاکم: ١٣٤/٣ ، وصححه إلحاکم ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح .

(٤) فتح الباري: ٣١٣/٧ ، في التعليق على حديث رقم: ٣٩٩٥ .

(٥) كشف الاستار: ١٧٦٨-١٧٦٩ ، وكان الهيثمي في المجمع: ٨٢/٦ ، رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل والآخر مرسل ورجالهما ثقات .

ك - شدة بأس علي بن أبي طالب يوم بدر

٢٧٠- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « كنت على بشر فكنت يوم بدر أُمّيح وأمتح منه ، فجاءت ريح شديدة ، ثم جاءت ريح شديدة ، فلم أر ريحاً أشد منها إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة ، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي ﷺ ، والثانية إسرئيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي ﷺ ، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة ، وكان أبو بكر عن يمينه ، وكنت عن يساره ، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله ﷺ على فرسه ، فلما استويت عليه حمل بي ، فصرت على عنقه فدعوت الله فثبتني عليه ، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطي » ^(١) .

ل - الريح العقيم التي أرسلت على المشركين يوم بدر

٢٧١- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أخذتهم ريح عقيم يوم بدر » ^(٢) .

م - قذف قتلى أئمة الكفر في القليب

٢٧٢- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن أبي طلحة رضي الله عنه: « أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان بيوم الثالث: أمر براجلته فشدت عليها رحلها ، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفى الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: (يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) .

قال: فقال: عمر يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها .

فقال: رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول

★ منح الدلو جذبها متسقيا لها .

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٧٧/٦ ، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٧٨/٦ رواه البزار ورجاله ثقات ، وانظر كشف الاستار رقم: ١٧٨٢ .

منهم) .

قال قتادة . « أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توييخا وتصغيراً ونقيمة وحسرة
وندماً » ^(١) .

٢٧٣- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « وقف النبي ﷺ على
قلب بدر فقال: (هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟) ثم قال: (إنهم الآن
يسمعون) ، فذكر لعائشة ، فقالت: إنما قال النبي ﷺ: (إنهم الآن ليعلمون أن
الذي كنت أقول لهم هو الحق) . ثم قرأت ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَتْنَ ﴾ حتى قرأت
الآية .. ^(٢) .

٢٧٤- ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ ترك
قتلى بدر ثلاثاً ، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام !
يا أمية بن خلف ! يا عتبة بن ربيعة ! يا شيبة بن ربيعة ! أليس قد وجدتم ما
وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فسمع عمر قول النبي
ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبوا وقد جيفوا قال: (والذي
نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا) ثم
أمر بهم فسحبوا فالتقوا في قلب بدر » ^(٣) .

ولمن أراد التوسع في هذه المسألة والآراء المعروضة فيها فليراجع فتح الباري
وأقوال الحفاظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تعليقه على حديث ابن عمر رضي
الله عنهما السابق وقول ابن كثير رحمه الله في التفسير: (٤٣٨/٣) فإن في ذلك
فائدة جيدة والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: ٣٩٧٦ ، مسلم في الجنة باب عرض
مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم: ٢٨٧٤-٢٨٧٥ ، والنسائي: ١٠٩/٤ - ١١٠ ، وأحمد في المسند:
١٨٢-١٠٤/٣ من طريق حميد به .
الركي: البثر .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: ٣٩٨٠-٣٩٨١ ، النسائي: ١١١/٤ ، أحمد
في المسند: ١٣١/٢ ، ورجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٩١/٦ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم: ٢٨٧٤ ، وأحمد في المسند: ٢٨٧/٣
★ جيفوا: انتنوا وصاروا جيفاً .

ن - أسرى بني عبدالمطلب وخروجهم كرهاً:

٢٧٤- من حديث علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (إن استطعتم أن تأسروا من بني عبدالمطلب فإنهم خرجوا كرهاً) ^(١).

س - إقامة الرسول عليه السلام في بدر ثلاثاً

وقد ثبت في الصحيح أنه مكث ثلاثة أيام في بدر .

من حديث أنس رقم: ٢٧٢ ، وهو في الصحيح « أنه ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال .. » .

٢٧٥- ومن حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بعرضتهم ثلاثاً » ^(٢).

ع - عدد القتلى من المشركين والشهداء من المسلمين:

٢٧٦- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبدالله بن جبير ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر ، والحرب سجال » ^(٣).

٢٧٧- من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « إن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة ، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم اطلاعة فقال: يا عبادي ماذا تشتهون ؟ ، فقالوا: يا ربنا هل فوق هذا شيء ؟ قال: فيقول: عبادي ماذا تشتهون ؟ ، فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا » ^(٤).

(١) تقدم تخريجه رقم: ٢٤٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في السير باب في البيات والغارات وقال حسن صحيح رقم: ١٥٥١

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب: حديث رقم: ٣٩٨٦ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٩٠/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وانظر الطبراني في الكبير: ١٠٤٦٦ .

المبحث الرابع: أحداث ما بعد المعركة

١- الغنائم:

٢٧٨- من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: « خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرأ ، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، فأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا ، نفينا العدو وهزمناهم ، وقال الذي أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ فقسمها رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين » ^(١) .

٢٧٩- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن النبي ﷺ قال: (من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ، أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا) ، فتسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم ، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله تعالى ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ ^(٢) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٢٤/٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٩٢/٦ رجاله ثقات ، وفي: ٢٦/٧ ، قال رجال الطريقين ثقات وابن حبان رقم: ١٦٩٣ ، موارد ، وابن جرير في التفسير: ١٧٢/٩ ، والحاكم: ٢/١٣٥، ١٣٦، ٣٢٦ ، وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي في الموضعين ، والبيهقي في السنن: ٢٩٢/٦ ، وهذا لفظ أحمد . وقال الساعدي: ٧٣/١٤ ، قال الترمذي هذا حديث صحيح ، ثم قال: وأورده الهيثمي وقال رجال أحمد ثقات ، ورواه الحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن الجهاد باب في النفل رقم: ٢٧٣٧ ، وابن حبان في الموارد رقم: ١٧٤٣ ، والحاكم في المستدرک: ٢/١٣٢، ٢٢١، ٣٢٦ ، وصححه في المواضع الثلاث ووافقه الذهبي ، وابن جرير: ١٣/٣٦٧، ٣٦٨ ، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه الكتاب ، والبيهقي: ٣١٥/٦ وابن كثير في التفسير: ٢/٢٨٤ ، وزاد نسبه إلى النسائي وابن مردويه .

٢٨٠- ومن حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جثت بسيف فقلت: يا رسول الله ﷺ إن الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا ، هب لي هذا السيف فقال: (هذا ليس لي ولا لك) ، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لم يلبي بلائي ، فجاءني رسول الله ﷺ ، فقال: (إنك سألتني وليس لي ، وإنه قد صار لي وهو لك) قال: فنزلت ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ الآية ^(١).

٢٨١- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ: (إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم) وكان النبي وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فآكلتها، فأنزل الله هذه الآية ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ إلى آخر الآيتين » ^(٢).

٢ - الاختلاف في الأسرى:

٢٨٢- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال:

فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر وعلي وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟

فقال أبو بكر: يا نبي الله ! هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام .

فقال رسول الله : ما ترى يا ابن الخطاب ؟

قال: لا والله ، يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علينا من غليل فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الأنفال رقم: ١٧٤٨ ، وأبو داود الطيالسي في مسنده: ٢٣٩٢٣٨/١ رقم: ٢٠٦٦ ، والحاكم: ١٣٢/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأحمد في المسند: ١٨٦، ١٨١/١ ، وأبو نعيم: ٣١٢/٨ ، والبيهقي: ٢٢٩/٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير تفسير سورة الأنفال رقم: ٣٠٨٥ ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وأبو داود الطيالسي في مسنده: ١٩/٢ ، وابن حبان في الموارد: ١٦٦٨ ، والبيهقي: ٢٩٠/٦ وهو كما قال الترمذي .

(نسيباً لعمر) فاضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

فهو رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان .

قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تابكيت لبكائكما .

فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) - شجرة قريبة من النبي ﷺ وأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله: ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ فأحل الله الغنمة لهم^(١) .

٢٨٣- ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم ، فاستشار عمر فقال: اقتلهم ، قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله: ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ ، قال: فلقني النبي ﷺ عمر قال: (كاد أن يصيبنا بلاء في خلافتك)^(٢) .

٢٨٤- وقد جاء من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح ببعض زيادة في وصف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما الذي وصفهما به رسول الله ﷺ فمن أحب الزيادة فلينظر الحديث في مكانه^(٣) .

٣- زيد يحمل بشارة النصر إلى المدينة المنورة:

٢٨٥- من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ خلف

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة حديث رقم: ١٧٦٣ ، أحمد في المسند: ٣٠/١ ، والطبري في التفسير: ٤٤/١٠ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٢٩/٢ ، وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي قلت: على شرط مسلم .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الجهاد باب في المسورة: ٢١٣/٤ ، وفي تفسير سورة الأنفال رقم: ٣٠٨٤ ، ٢٧١/٥ ، وفي مسند أحمد: ٣٨٣/١ ، والحاكم في المستدرک: ٢٢/٣ ، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر في الإصابة: ٩١/٢ معلقاً عليه: رواه الطبراني بإسناد صحيح عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود ، وسبب إرساله ان أبا عبيدة بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه . وقال شاكر إسناده منقطع: ٢٢٩/٥ ، حديث رقم: ٣٦٣٤ .

عثمان بن عفان ، وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة قال أسامة: فسمعت الهيعة ، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى وضرب رسول الله ﷺ لعثمان سهمه ^(١) .

٢٨٦- ومن حديث عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة رضي الله عنهما: قال: «قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة ، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفرأ في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفرأ ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب .

قالت سودة: فوالله إني لعندهم إذ أتينا ، فقليل هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجره ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل ، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: «أبا يزيد أعطيتم بأيديكم إلا متم كراماً» .

فما انتبهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: (يا سودة على الله وعلى رسوله) ، فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت ^(٢) .

٤- قتل عقبة بن أبي معيط في الطريق إلى المدينة:

٢٨٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فأدى رسول الله ﷺ أسارى بدر ، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف ، وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبراً ، قال: من للصبية يا رسول الله؟ قال: (النار) ^(٣) » .

(١) أخرجه البيهقي: ١٧٤/٩ ، بسند صحيح ، والحاكم في المستدرک: ٢١٧/٣ ، ٢١٨ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل: ١٣٠-١٣١ ، والطبري في التاريخ: ٤٥٨/٢ ، وقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٦٨/١٤ ، مرسلاً عن عروة ، والحاكم: ٤٨/٣ ، عن الزهري مرسلاً ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام: ٦٤٢/١ .
★ الهيعة: الصوت الذي تفرع منه وتخاف .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٢/٣ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وابن جرير في التاريخ: ٤٦٠/٢ ، وابن هشام في السيرة: ٦٤٥/١ ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه الهيثمي في المجمع: ٨٩/٦ ، وقال رواه الطبراني في الكبير: ١٢١٥٢ ورجاله رجال الصحيح وانظر عبدالرزاق في المصنف: ٩٣٩٤ .

٢٨٨- وعن مسروق أنه قال: - لابن أبي معيط - حدثنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وكان غير كذاب: « إن رسول الله ﷺ أمر بعنق أيك أن تضرب صبراً ، ثم مر به فقال: من للصبية بعدي ؟ قال: (لهم النار) ، حسبك ما رضي لك رسول الله ﷺ » (١) .

٥ - كيف تلقت قريش نبأ الهزيمة

٢٨٩- وقال ابن إسحاق رحمه الله قال:

وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله الخزاعي فقالوا له: ما وراءك ؟

قال: قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميرة ابن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البحتري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه علي ؟

فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية ؟

قال: هو ذاك جالس في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا^(٢) .

٦ - عمير يريد قتل الرسول فيكشف الرسول سرّه فيسلم

٢٩٠- من حديث عروة بن الزبير مرسلًا قال: « جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر ، بعد مصاب أهل بدر ييسر وكان عمير ابن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان: « والله إن في العيش بعدهم خير » .

قال له عمير: صدقت ، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال

(١) أخرجه أبو داود في سنة الجهاد باب في قبل الأسير صبراً رقم: ٢٦٨٦ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٥٩/٦ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . وسند أبي داود حسن .

(٢) إن كان أخرجه ابن إسحاق بسنده الصحيح الوارد في بداية غزوة بدر فالحادثة صحيحة والله أعلم وإلا فالحادثة بلا سند انظر سنده (ابن هشام في السيرة: ٦٠٦/١ .

أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة
ابني أسير في أيديهم .

قال : فاغتنمها صفوان بن أمية فقال :

عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني
شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكم علي شاني وشانك .

قال : سأفعل .

قال : ثم أمر عمير سيفه ، فشحذ وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما
عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم
الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ
راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن
وهب ، ما جاء إلا لشرّ وهو الذي حرش بيننا ، وحزرنّا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن
وهب قد جاء متوشحاً سيفه .

قال : فادخله علي ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه
بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ،
واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة
سيفه في عنقه قال : (أرسله يا عمر ، ادن يا عمير) .

فدنا ثم قال : انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول
الله (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة) .

فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .

قال : (فما جاء بك يا عمير ؟) قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم
فأحسنوا فيه .

قال : (فما بال السيف في عنقك ؟) قال : قبحها الله من سيوف ! وهل
أغنت عنا شيئاً ؟

قال: (اصدقني ، ما الذي جئت له ؟) قال: ما جئت إلا لذلك .

قال: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك) .

قال عمير: أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله ﷺ: (فقهوا أحكام في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره ففعلوا) .

ثم قال: يارسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله - عزَّ وجلَّ - ، وأنا أحب أن تاذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . قال: فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة .

وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب ، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً ^(١) .

٧ - عمليات الافتداء للأسرى

٢٩١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « فآدى رسول الله ﷺ أسارى بدر ، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف » ^(٢) .

(١) ابن هشام في السيرة: ٦٦١/١-٦٦٣ عن ابن إسحاق بسند صحيح مرسل ، وقال ابن حجر في الإصابة: ٣٦/٣ قال موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب مرسل وذكر قصة عمير ، وقد أخرجه ابن منده من وجه آخر موصولاً ، من طريق أبي الأزهر عن عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره واسناد ابن مندة ظاهره أنه حسن .

(٢) مجمع الزوائد: ٩٠/٦ ، وقال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

٢٩٢- من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: « كانت قريش ناحت قتلها ثم ندمت ، وقالوا: لا تنوحوا عليهم ، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، وكان في الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمي فقال رسول الله ﷺ: (إن له بمكة ابنأ تاجراً كيساً ، ذا مال ، كأنكم قد جاءكم في فداء أبيه) فلما قالت قريش في الفداء ما قالت: قال المطلب: صدقتم والله لئن صدقتم ليثابرن عليكم ، ثم انسل في الليل ، فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم »^(١).

٨ - أبو العاص بن الربيع وعفو الرسول عنه وإطلاقه:

٢٩٣- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لحديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قال: فلما رآها رسول الله ﷺ . رق لها رقعة شديدة وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا) ، فقالوا: « نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليها الذي لها » .

وهذا لفظ أحمد وفي رواية أبي داود زيادة نوردها فيما يلي:

« وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه ، أو وعده ، أن يخلي سبيل زينب إليه ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: (كونا ببطن ياجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتيا بها) »^(٢).

٩- تكليف من لا يجد فداء بتعليم أبناء المسلمين

٢٩٤- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

« كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال: فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه فقال: ما شأنك ؟

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٩٠/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣٧٦/٦ ، وأبو داود في الجهاد باب في فداء الأسير بالمال: ٢٦٩٢ ، الحاكم في المستدرک: ٣٣٦/٣ ، وسكت عليه الحاكم والذهبي ، وابن هشام في السيرة: ٦٥٣/١ وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات ، وابن إسحاق صرح بالتحديث ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ١٠٠/١٤ ، أخرجه ابن إسحاق في سيرته وإسناده جيد .

قال: ضربني معلمي «

قال: الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبداً «^(١).

١٠- حفظ النبي لجوار المطعم بن عدي في الأسرى:

٢٩٥- من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لأسارى بدر: (لو كان مطعم بن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء التني لأطلقتهم له)^(٢).

١١- العباس وقصته في الفداء:

٢٩٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلتترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال: (والله لا تذكرون منه درهما)^(٣) .

٢٩٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال العباس: في نزلت: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي ، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذت معي ، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم قد تاجر بمال في يده ، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى «^(٤).

١٢ - منزلة من شهد بدرأ من الصحابة رضوان الله عليهم:

٢٩٨- من حديث رفاعة بن رافع الزرقني رضي الله عنه قال: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال: (من أفضل المسلمين) -

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤٧/٤ ، تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح وقال البنا في الفتح الرباني: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفي إسناده علي بن عاصم فيه كلام لكن وثقه الإمام أحمد ، ذحل بدر: ثار بدر.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب المن على الأسير رقم: ٢٦٨٩ ، وإسناده صحيح البخاري في المغازي باب: ١٢ حديث رقم: ٤٠٢٤ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٢ ، حديث رقم: ٤٠١٨ .

(٤) المطالب العالمة: ٤٣٠٠ وقال ابن حجر: هذا إسناده صحيح ، رواه ابن مردويه في التفسير والمسند ، عن أحمد بن الحسن عن عبد الله بن محمد عن ابن إسحاق هكذا ، وأخرجه الطبراني من حديث يزيد بن هارون عن ابن إسحاق ، وقال البوصيري: رواه ابن راهويه بسند صحيح ، وابن مردويه في تفسيره ، والطبراني « قلت: وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: ٧٣/١٤ ، تحقيق أحمد شاكر ، وإسناده هذا الحديث صحيح ، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٨/٧ ، رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

وكلمة نحوها - قال: (وكذلك ما شهد بدرأ من الملائكة)^(١).

٢٩٩- من حديث علي بن أبي طالب الطويل في قصة حاطب بن بلتعة قال فيه رسول الله ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم «^(٢).

٣٠٠- من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يدخل النار رجل شهد بدرأ أو الحديبية)^(٣).

١٣ - أسماء من شهد بدرأ من الصحابة:

قال الحافظ في الفتح: قلت فجملة من ذكر من أهل بدر هنا أربعة وأربعون رجلاً ، وقد سبق البخاري إلى ترتيب أهل بدر على حروف المعجم وهو أ ضبط لاستيعاب أسمائهم ، ولكنه اقتصر على ما وقع عنده منهم ، واستوعبهم الحافظ ضياء الدين المقدسي في (كتاب الأحكام) ، وبين اختلاف أهل السير في بعضهم اختلاف غير فاحش ، وأورد ابن سيد الناس أسماءهم في (عيون الأثر) ، لكن على القبائل كما صنع ابن إسحاق وغيره ، واستوعب ما وقع له من ذلك فزادوا - على ثلاثمائة وثلاثة عشر - خمسين رجلاً قال: وسبب الزيادة الاختلاف في بعض الأسماء . قلت: ولولا خشية التطويل لسردت أسماءهم مفصلاً مبيناً للراجع ، لكن في هذه الإشارة كفاية والله المستعان «^(٤).

قلت: وانظر أيضاً سيرة ابن كثير رحمه الله فقد أورد أسماءهم هناك^(٥).

وذكرهم الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد: (٩٣/٦ - ١٠٦) وبين مواضع ذكرهم وأسانيده في ذلك مرتباً لتلك الأسانيد من صفحة: (٩٣-٩٧) بإسناد واحد إلى ابن شهاب الزهري ورجاله رجال الصحيح .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدرأ رقم: ٣٩٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ رقم: ٣٩٨٣ .

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب حديث: ٣٨٦٤ ، ٦٩٧/٥ ، وقال حسن صحيح ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب أهل الشجرة رقم: ٢٤٩٦ ، وابن ماجه رقم: ٤٢٨١ .

(٤) فتح الباري: ٣٢٩-٣٢٨/٧ في التعليق على الباب الثالث عشر من المغازي باب تسمية من سمى من أهل بدر .

(٥) سيرة ابن كثير ٤٨٩/٢ .

الفصل الثالث

الأحداث ما بين بدر وأحد

المبحث الأول

زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بحفصة بنت عمر

٣٠١- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « حين تأميت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي في المدينة ، فقال عمر « أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر ، قال: فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة ، فقال: سأنظر في أمري ، فلبث ليالٍ ، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا .

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضي الله عنه فلم يرجع إليّ شيئاً ، فكنت عليه أوجد مني على عثمان .

فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فانكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال عمر: نعم ، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي ، إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها « ^(١) .

المبحث الثاني: زواج علي وفاطمة رضوان الله عليهما

٣٠٢- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي ﷺ أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ، واعدت رجلاً صواغاً في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر ، فأردت أن أبيع

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب عرض الإنسان ابنته أو اخته على أهل الخير الحديث: ٥١٢٢ ، فتح الباري: ١٧٥/٩ ، النسائي: ٧٥/٢ - ٧٦ - ٧٧ ، وأحمد في المسند رقم: ٧٤ ، تحقيق أحمد شاکر .

من الصواغين فنستعين به في وليمة عرسي ، فبينما أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفاي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنتهما ، وبقرت خواصرهما ، واخذت من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر قلت: من فعل هذا . قالوا: حمزة بن عبدالمطلب ... » فذكر الحديث ^(١) .

٣٠٣- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت: لا ، قالت: فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت: وعندي شيء أتزوج به ! فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ فزوجك .

قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهية .

فقال رسول الله ﷺ: (ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟) فسكت ، فقال: (لعلك جئت تخطب فاطمة ؟) فقلت: نعم ، فقال: (وهل عندك من شيء تستحلها به ؟) فقلت: لا والله يا رسول الله . فقال: (ما فعلت درع سلحتكها؟)

فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت: عندي . فقال: (قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها) فإن كانت لصدوق فاطمة بنت رسول الله ﷺ ^(٢) .

جهاز فاطمة عليها رضوان الله عليها

٣٠٤- من حديث علي كرم الله وجهه قال: « جهز رسول الله ﷺ فاطمة في

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٢ حديث رقم: ٤٠٠٣ ، مسلم في أول كتاب الاشربة حديث رقم: ١٩٧٩ ، والفتح الرباني: ٤٧-٤٥/٣١ .

★ الشارف: الناقة .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل: ١٦٠/٣ ، وإسناده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، سيرة ابن كثير: ٥٤٤/٢ .

خميل وقربة ووسادة آدم حشوها إذخر ^(١) .

وقد روى البيهقي عن ابن منده في كتاب المعرفة « أن علياً تزوج فاطمة بالمدينة بعد سنة من الهجرة ، وابتنى بها بعد ذلك بنحو من سنة ، وولدت لعلّي الحسن ، والحسين ، ومحسناً ، وأم كلثوم الكبرى ، وزينب الكبرى ^(٢) .

وعلق على ذلك ابن كثير رحمه الله فقال: « قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياقه حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه في آخر السنة الثانية والله أعلم ^(٣) .

المبحث الثالث: إجلاء بني قينقاع

٣٠٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

ثم قال ابن عباس: فأنزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية في فتنتين التقتا فقتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ ^{(٤) (٥)} .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٤/١ ، ابن ماجه في السنن والزهد باب ضجاع آل محمد رقم: ٤١٥٢ ، البيهقي في الدلائل: ١٦١/٣ ، والحديث إسناده صحيح .

★ خميل: القטיפه: الأدم: الجلد . الأذخر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل: ١٦٢/٣ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: ٥٤٥/٢ .

(٤) آل عمران آية: ١٢-١٣ .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة رقم: ٣٠٠١ ، وابن هشام في السيرة: ٤٧/٢ ، بسند ابن إسحاق ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٣٣٢/٧ .

المبحث الرابع: موقف عبدالله بن أبي زعيم المنافقين من أوليائه اليهود

من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: « أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام عبدالله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين أمكنه الله تعالى منهم ، فقال: يا محمد ، أحسن في موالي) فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : (أرسلني) وغضب حتى روي لوجه رسول الله ﷺ ظلال، فقال له: (ويحك أرسلني) . فقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، أي والله إنني لامرؤ أخشى الدوائر فقال رسول الله ﷺ : (هم لك) (١)

٣٠٦- ومن طريق ابن إسحاق أيضاً قال: حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: « لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبدالله بن أبي ، وقام دونهم ، فمشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج لهم من حلفهم مثل الذي لهم من حلف عبدالله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسول الله ﷺ من حلفهم ، فقال: « يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم .

فيه وفي عبدالله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ - إلى قوله - ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعني عبدالله بن أبي لقوله: إنني أخشى الدوائر ، ﴿ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ - حتى بلغ قوله - ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ لقول عبادة: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا وتبريه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم إلى قوله ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (٢)

(١) السيرة النبوية ابن هشام: ٤٨/٢ وإسناده صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ولكنه مرسل ، ودلائل البيهقي: ١٧٤/٣ ، الطبري في التاريخ: ٤٨٠/٢ .

(٢) السيرة النبوية ابن هشام: ٥٠-٤٩/٢ ، وإسناده صحيح وقد صرح بالتحديث وهو مرسل ، ودلائل

المبحث الخامس: مقتل كعب بن الأشرف

٣٠٧- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: (من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله) . فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال: (نعم) . قال: فأذن لي رسول الله أن أقول شيئاً . قال: (قل) . فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ، وإنه قد عتانا ، وإنني قد أتيتك أستسلفك ، قال: وأيضاً والله لتملنه .

قال: إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين - وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر (وسقاً أو وسقين) فقلت له: فيه (وسقاً أو وسقين) ، فقال: أرى فيه (وسقاً أو وسقين) فقال: نعم أرهنوني ، قالوا: أي شيء تريد ؟ قال: أرهنوني نساءكم ، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال: أرهنوني أبناءكم ، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ، ولكننا نرهنك اللامة . . قال سفيان: يعني السلاح .

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة . وقال غير عمرو: قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لودعي إلى طعنة بليل لأجاب .

قال: ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين - قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم قال عمرو: جاء معه برجلين وقال غير عمرو: أبو عيس بن جبر والحارث بن أوس ، وعباد بن بشر - قال عمرو جاء معه برجلين .

فقال: إذا ما جاء فإنني قاتل بشعره فأشمه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدوونكم فاضربوه ، قال مرة: ثم أشمكم ، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقال: ما رأيت كالיום ريحاً - أي أطيب - وقال غير عمرو قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب . قال عمرو فقال: أأذن لي أن أشم رأسك

قال: نعم فشمه ، ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي ؟ قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم ، فقتلوه ، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه « (١) .

تشيع النبي للصحابه الذين ذهبوا لقتل كعب بن الأشرف:

٣٠٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم فقال: (انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم) » (٢) .

وذكر في بقية الحديث كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

سبب قتله: إيذاء كعب بن الأشرف للمسلمين بهجائه لهم في شعره:

٣٠٩- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال: « إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره ، وكان رسول الله ﷺ ، قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة والحصون ، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج ، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك .

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك ، والعفو عنهم ، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ﴾

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل كعب بن الأشرف رقم: ٤٠٣٧ ، فتح الباري: ٣٣٦/٧ - ٣٣٧ . مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب قتل كعب بن الأشرف حديث رقم: ١٨٠١ ، ص: ١٤٢٥-١٤٢٦ وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في العدو يؤخذ على حين غرة حديث رقم: ٢٧٦٨ والبيهقي في الدلائل: ٣/١٩٥ - ١٩٦ . ابن هشام في السيرة: ٥٨٥١/٢ ، وابن كثير: ٩/٣ - ١٧ ، ابن سعد: ٣١/٢ - ٣٤ .

(٢) المطالب العالية: ٤٣١٢ ، وقال أخرجه إسحاق بن راهوية وإسناده حسن متصل ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٤٩/٢١ ، البزار كما في كشف الأستار: ٣٣٠-٣٣١/٢ ، والطبراني في الكبير: ٢٢١/١١ برقم: ١١٥٥٤ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٩٦/٦ ، رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقيته رجاله ثقات ، قلت: وحسن إسناده أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح: ٣٣٨/٧ ، وقال: وعند ابن إسحاق بسند حسن ، وابن هشام في السيرة: ٥٦٥٥/٢ ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فزال التدليس .

من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ﴿١﴾ .

وفيهم أنزل الله ﴿٢﴾ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴿٣﴾ .

فلما أبى كعب بن الأشرف أن يتزع عن أذى رسول الله ﷺ ، وأذى المسلمين . وأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه ، فبعث إليه سعد ...) .

وذكر نحواً من حديث جابر (٣) .

وهكذا طويت صفحة من صفحات الغدر ، ممثلة في هذا اليهودي الخبيث ، وارتاح المسلمون من عدو من ألد أعدائهم ، وأشدّهم تحريضاً على الإسلام وأهله .

(١) الآية الكريمة: ١٨٦ من سورة آل عمران

(٢) الآية الكريمة: ١٠٩ من سورة البقرة .

(٣) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٠) ، والهشمي في المجمع: ١٩٥/٦ - ١٩٦ ، وقال رواه أحمد وأحمد ورجاله رجال الصحيح ، فتح الباري: ٣٣٧/٧ ، وعزاه إلى أبي داود والترمذي .

الفصل الرابع: غزوة أحد

المبحث الأول: أحداث ما قبل المعركة

١- تاريخ الغزوة

٣١٠- من طريق محمد بن إسحاق قال: « وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد ، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال » ^(١).

٢- مشاورة النبي للمصحابة للخروج وإخبارهم عن رؤياه:

٣١١- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت كأنني في درع حصينة ، ورأيت بقراً منحرة ، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة ، وأن البقر هو الله خير) قال: فقال لأصحابه: (لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم ؟ فقالوا: يا رسول الله ، والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية ، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام ؟

قال عفان في حديثه: فقال: (شأنكم إذا) ، قال: فلبس لأمته قال: فقالت الأنصار رددنا على رسول الله ﷺ رأيهم فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا فقال: (إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقتل) ^(٢).

٣١٢- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، فقال: (رأيت في سيفي ذي الفقار فلا ، فأولته فلا يكون فيكم » أي انهزاماً « ورأيت أني مردف

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٢٤/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات.

★ البقر المذبوحة: يعني استشهاد أصحابه ﷺ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣٥١/٣ ، الدارمي: ١٢٩٩/٢-١٣٠ ، وعلق البخاري بعضه فتح الباري: ٢٨٤/١٣ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٠٧/٦ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقد جاء من مرسل عروة عند عبدالرزاق في المصنف: ٣٦٤/٥ ومن مرسل الزهري وموسى بن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي: ٢٠٨/٣ .

★ ذا الفقار: سمي بذلك لأنه كانت فيه حفر حسان صغار ، والسيف المقفر الذي فيه حزوز مطمئة عن مثته.

الفل: الثلم في السيف .

كِبْشاً ، فأولته كبش الكتبية ، ورأيت أني في درع حصينة ، فأولتها المدينة ، ورأيت بقرأً تذبح ، فَبَقَرُ والله خير ، فَبَقَرُ والله خير (فكان الذي قال رسول الله ﷺ)^(١) .

٣١٣- ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (رأيت في رؤيائي أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها بقرأً والله خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد)^(٢) .

٣- مظاهر النبي بين درعين وأخذه بالأسباب

٣١٤- من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : « إن النبي ﷺ يوم أحد أخذ درعين كأنه ظاهر بينهما »^(٣) .

٣١٥- ومن حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ حين ذهب لينهض إلى الصخرة وكان رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين فلم يستطع أن ينهض ... وذكر الحديث »^(٤) .

٣١٦- وقد جاء أيضاً من طريق رجل من بني تميم يقال له معاذ : « أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين درعين »^(٥) .

(١) أخرجه الترمذي كتاب السير في النفل ضمن حديث رقم : ١٥٦١ ، وقال حديث حسن غريب ، وابن ماجه في الجهاد باب السلاح رقم : ٢٨٠٨ ، وأحمد في المسند : ٢٧١/١ ، والحاكم : ٢٢١-١٢٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي كما في البداية والنهاية : ١١/٤ ، بسند حسن ، وقال الساعتي في الفتح الرباني : ٢٢١/١٧ : وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد حديث رقم : ٤٠٨١ ، ومسلم في كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ حديث رقم : ٢٢٧٢ ، وابن ماجه في سننه كتاب تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤيا حديث رقم : ٣٩٢١ ، وقد أورده البخاري مقطوعاً أيضاً : في كتاب المناقب - باب علامات النبوة ، والتعبير باب إذا رأى بقرأً تنحر ، وأخرجه الدارمي : ١٢٩/٢ ، كتاب الرؤيا باب رؤية الرب ، والبيهقي في الدلائل : ٢٠٣/٣ .

★ ظاهر : لبسهما فوق بعضهما .

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب لبس الدرع رقم : ٢٥٩٠ ، وابن ماجه في الجهاد باب في السلاح رقم : ٢٨٠٦ وقال البوصيري في الزوائد إسناده صحيح على شرط البخاري ، قلت : رجال ابن ماجه كلهم ثقات .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک : ٢٥/٣ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقي في سننه : ٤٦/٩ .

(٥) قال الهيثمي في المجمع : ١٠٨/٦ ، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

٤- رجوع المنافقين وانخذالهم من أول الطريق

٣١٧- من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: « لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين ، فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم . فنزلت ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا ﴾ وقال: (إنها طيئة تنفي الذنوب ، كما تنفي النار خبث الفضة)^(١) .

٣١٨- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « نزلت هذه الآية فينا ﴿ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾^(٢) بنى سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول ﴿ والله وليهما ﴾ »^(٣) .

٣١٩- وقد جاء من طريق ابن إسحاق قال: حدثني الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة ، وحصين بن عبدالرحمن . . . فذكر حديث الرؤيا حتى قال: « حتى خرج في ألف من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخذل عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث الناس وقال: أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، و اتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام يقول:

« يا قوم ، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبئكم عند من حضر من عدوهم ، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال ، قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف:

قال: أبعدكم الله ، أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه »^(٤) .

٥- إعادة الكتيبة اليهودية التي خرجت لمساعدة المسلمين

٣٢٠- من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: « خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة خشناء^(٥) » قال: من

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٥٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم: ٢٧٧٦ ، والترمذي: ٨٩/٤ ، وقال حسن صحيح ، وأحمد: ١٨٧-١٨٤/٥ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٥١ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل الأنصار رقم: ٢٥٠٥ .

(٤) ابن هشام: ٦٠/٢-٦٤ وسنده حسن وهو مرسل .

(٥) خشناء كثيرة السلاح خشنة .

هذا ؟ قال : هو عبدالله بن أبي بن سلول في مواليه من اليهود من بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام فقال : أوقد أسلموا ؟ فقال : إنهم على دينهم قال : قل لهم فليرجعوا ، فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين ^(١) .

٦- التنافس في الخروج بين صغار الشباب

استعرض الرسول ﷺ الشباب يوم خروجه إلى أحد ، فرد من استصغره منهم مثل ابن عمر والبراء وغيرهما ، وأجاز من رآه مطيقاً منهم مثل رافع بن خديج وسمرة ابن جندب ، وقيل إنما أجاز رسول الله ﷺ من أجاز لإطاقته ، ورد من رد لعدم إطاقته ، والصحيح أنه أجاز من أجاز لبلوغه بالسن خمس عشرة سنة ، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ .

٣٢١- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ عرضني يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني » ^(٢) .

٧- وضع الرماة على الجبل

٣٢٢- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة ، وأمر عليهم عبدالله وقال : (لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا) ، فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة فقال : عبدالله عهد إلي النبي ﷺ أن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم ... فذكر الحديث » وسيأتي بقيته في مواطن أخرى يشار إليها هناك .

وقد جاء في لفظ أبي داود عنه « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبدالله بن جبير قال : ووضعهم موضعاً ، وقال : (إن

(١) المطالب العالية : ٤٣١٩ ، وعزه الحافظ ابن حجر لإسحاق بن راهويه وحسن إسناده ، وقال البوصيري : رواه إسحاق بإسناد حسن .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم : ٤٠٩٧ ، مسلم في الإمامة باب بيان سن البلوغ رقم : ١٨٦٨ ، أبو داود في سننه رقم : ٢٩٥٧ ، ٤٤٠٦ ، الترمذي رقم : ١٧١١ ، ١٣٦١ ، ابن ماجه رقم : ٢٥٤٣ ، النسائي : ١٥٦-١٥٥/٦ ، أحمد في المسند : ١٧/٢ ، الطحاوي في شرح معاني الآثار : ١٢٥/٢ .

رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم (^(١)) .

٨ - من يأخذ هذا السيف بحقه :

٣٢٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال : « إن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد ، فقال : (من يأخذ مني هذا السيف بحقه ؟) فبسطوا أيديهم كل إنسان فيهم يقول : أنا أنا ، فقال : (من يأخذه بحقه ؟) فأحجم القوم فقال له سماك أبو دجاجة : أنا آخذه بحقه ، قال فأخذه ففلق به هام المشركين » ^(٢) .

٣٢٤- وقد جاء من حديث الزبير رضي الله عنه قال : عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال : (من يأخذ هذا السيف بحقه ؟) فقامت فقالت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال : (من يأخذ هذا السيف بحقه ؟) فقامت فقالت : أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام أبو دجاجة سماك بن خرشة فقال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ؟ قال : (ألا تقتل به مسلماً ولا تغربه عن كافر) ، قال : فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة ، قال : « لأنظرون إليه اليوم كيف يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دفوف لهن ، فيهن امرأة وهي تقول :

نحن بنات طارق	نمشي على النمارق
ان تقبلوا نعانق	ونبسط النمارق
إن تدبروا نفارق	فراق غير وامق

قال : فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها ، ثم كف عنها ، فلما انكشف القتال قلت له : كل عملك قد رأيت ما خلا رفحك السيف على المرأة ، ثم لم تضربها ، قال : أي والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي غزوة أحد رقم : ٤٠٤٣ ، أحمد : ٢٩٣/٤ - ٢٩٤ ، وأبو داود في الجهاد في الكمائن رقم : ٢٦٦٢ ، والبيهقي في الدلائل : ٢٢٩/٣ - ٢٣٠ وقد جاء نحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد : ٢٨٨٢٨٧/١ ، والحاكم : ٢٩٦/٢ ، ٢٩٧ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل أبي دجاجة حديث رقم : ٢٤٧٠ ، أحمد في المسند : ١٢٣/٣ والحاكم في المستدرک : ٢٣٠/٣ ، وابن سعد في الطبقات : ٥٥٦/٣ ، والبيهقي في الدلائل : ٢٣٢/٣ - ٢٣٣

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة : ٢٣٣/٣ ، والبزار انظر كشف الاستار رقم : ١٧٨٧ ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٠٩/٦ رواه البزار رجاله ثقات .

المبحث الثاني: مشاهد من المعركة

١- هزيمة المشركين في بداية المعركة

٣٢٥- من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلصوا ظهورنا للخيـل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ ألا إن محمد قتل ، فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنوا منه أحد من القوم » ^(١).

وقد جاء بزيادة في رواية إسحاق بن راهوية عن الزبير فقال: « والله إنني لأنظر يومئذ إلى خدم النساء مشمرات يسعين حين انهزم القوم ، وما أرى دون أخذهن شيئاً ، وإنا لنحسبهم قتلى ما يرجع إلينا منهم أحد ، ولقد أصيب أصحاب اللواء ، وصبروا عنده حتى صار إلى عبد لهم حبشي يقال له (صواب) ، ثم قتل صواب ، فطرح اللواء فلم يقربه أحد من خلق الله ، حتى وثبت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لهم ، وثاب إليه الناس ، قال: الزبير: فوالله إنا لكذلك قد علوناهم وظهرنا عليهم ، إذ خالفت الرماة عن أمر الرسول ﷺ فجعلوا يأخذون الأمتعة ، فأتتنا الخيل فحطمتنا ، وكر الناس منهزمين ، فصرخ صارخ يرون أنه الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل . فاعظم الناس وركب بعضهم بعضاً فصاروا أثلاثاً: ثلثاً جريحاً ، وثلثاً مقتولاً ، وثلثاً منهزماً ، قد بلغت الحرب ، وقد كانت الرماة يختلفوا فيما بينهم ، فقالت طائفة: روا الناس وقعوا في الغنائم ، وقد هزم الله المشركين وأخذ المسلمون الغنائم ، فماذا تنتظرون ؟ وقالت طائفة: قد تقدم إليكم رسول الله ﷺ ونهاكم أن تفارقوا مكانكم إن كانت عليه أوله ، فتنازعوا في ذلك ، ثم إن الطائفة الأولى من الرماة أبت أن تلحق بالعسكر ، فتفرق القوم ، وتركوا مكانهم ، فعند ذلك حملت خيل المشركين » ^(٢).

(١) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح انظر سيرة ابن هشام: ٧٧/٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٢٢٨/٣ ، والطبري في تاريخه: ٥١٣/٢ من طريق ابن إسحاق به ،

★ خدم: الخلاخيل روا: فعل أمر من رأى أي انظروا .

(٢) أخرجه إسحاق بن راهوية كما في المطالب العالية رقم: ٤٣١٣ ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله هذا إسناد صحيح له شاهد من حديث البراء في الصحيح .

٢- استشهاد حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله

٣٢٦- من حديث وحشي بن حرب الذي رواه عنه: جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار إلى الشام فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشي يسكن حمص، قال: فسألنا عنه فقليل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت.

قال: فجبنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا، فرد السلام، قال: وعبيد الله معتمر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلاماً بمكة فكنت استرضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فلكاني أنظر إلى قدميك، قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا نخبرنا بقتل حمزة؟

قال: نعم؟ إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار، فقال لي مولاي جبير ابن مطعم، إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عنين - وعنين جبل بحيان أحد - وبينه وبينه واد - خرجت مع الناس إلى القتال. فلما، اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبدالمطلب، فقال: يا سباع يا ابن أم أثمار مقطعة البظور، اتحاد الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذهاب.

قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحررتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً، فقليل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأياني قال: (أنت وحشي)، قلت: نعم، قال: (أنت قتلت حمزة؟) قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: (فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟).

قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلني أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس،

فكان من أمره ما كان ، قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أورك
ثائر الرأس ، قال فرمته بحرتي ، فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه ،
قال: ووئب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته ^(١) .

قال: قال عبدالله بن الفضل ، فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبدالله بن
عمر يقول: « فقالت جارية على ظهر بيت ، أمير المؤمنين قتله العبد الأسود » .

سؤال النبي عمن رأى مقتل حمزة:

٣٢٧- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ
قال يوم أحد: (من رأى مقتل حمزة ؟) فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله ،
قال: (فانطلق أرناه) فخرج رسول الله ﷺ حتى وقف على حمزة ، فرآه وقد
شق بطنه ، وقد مثل به ، فقال: يا رسول الله ، مثل به والله ، فكره رسول الله
ﷺ أن ينظر إليه ، ووقف بين ظهرائي القتلى فقال: (أنا شهيد على هؤلاء ،
كفنهم في دمائهم فإنه ليس جرح يجرح في الله إلا جاء يوم القيامة يدمي ، لونه
لون الدم ، وريحه ريح المسك ، قدموا أكثرهم قرآنًا فاجعلوه في اللحد) ^(٢) .

تألم النبي - صلى الله عليه وسلم - لمقتل حمزة:

٣٢٨- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « لما بلغ النبي ﷺ
قتل حمزة بكى فلما نظر إليه شهق » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل حمزة بن عبدالمطلب رقم: ٤٠٧٢ ، وأحمد في المسند: ٥٠١/٣ ،
ودلائل النبوة للبيهقي: ٢٤١/٣ والطبري في تاريخه مختصراً: ٥١٦/٢ - ٥١٧ .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٣٢٥ ، ونسبه إلى أبي بكر من أبي شيبه ، وقال البوصيري فيه: رواه ثقات كما
في التعليق عليه ، وقال الهيثمي في المجمع: ١١٩/٦ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح - ومقطع
الحديث (أنا شهيد على هؤلاء) أخرجه البخاري في المغازي باب من قتل من المسلمين بأحد: ٤٠٧٩
وأبو داود في الجنائز باب في الشهيد يغسل: ٣١٣٨ الترمذي في الجنائز باب ترك الصلاة على الشهيد:
١٠٣٦ ، والنسائي في الجنائز باب ترك الصلاة عليهم: ٦٢/٣ ، وابن ماجه في الجنائز ، باب ما جاء في
الصلاة على الشهداء: ١٥١٤ ، من حديث جابر به .

(٣) كشف الاستار: ١٧٩٤ ، وقال الهيثمي: ١١٨/٦ ، رواه البزار وفيه عبدالله بن محمد ابن عقيل وهو
حسن الحديث على ضعفه

تكفين حمزة رضي الله عنه :

٣٢٩- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قتل حمزة يوم أحد وقتل رجل من الأنصار ، فجاءته صفية بنت عبدالمطلب بثوبين ليكفن فيهما حمزة ، فلم يكن للأنصاري كفن فأسهم النبي ﷺ بين الثوبين ، ثم كفن كل واحد منهما في ثوب » (١).

٣٣٠- من حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: « أنا مع رسول الله ﷺ على قبر حمزة بن عبدالمطلب ، فجعلوا يجرون النمرة (٢) على وجهه فينكشف قدماءه ، ويجرونها على قدميه فينكشف وجهه ، فقال رسول الله ﷺ: (اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر) قال فرفع رسول الله ﷺ رأسه فإذا أصحابه يبكون فقال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يصبر على لأوائها (٣) وشدتها أحد إلا كنت له شقيقاً أو شهيداً يوم القيامة) (٤).

صبر صفية :

٣٣١- من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى كادت أن تشرف على القتلى ، قال فكره النبي ﷺ أن تراهم فقال: المرأة المرأة .

قال الزبير فتوسمت أنها صفية قال: فخرجت أسعى إليها ، قال فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى . قال: فلدمت في صدري وكانت امرأة جلدة ، قالت: إليك عني لا أرض لك ، فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك .

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٢٠/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، انظر الطبراني في المعجم الكبير: ١٢١٥٢ .

★ النمرة: الثوب المخطط من مآزر الأعراب .

(٢) لدمت: ضربت ودفعت

(٣) لأوائها: شدتها وضيق المعيشة فيها .

(٤) المطالب العالية رقم: ٤٣٢٢ ، وعزاه إلى أبي بكر بن أبي شيبة وسكت عنه البوصيري وقال في المجمع: ١١٩/٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات .

قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جثت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله ، فكفنوه فيهما قال فجثنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فعل به كما فعل بـحمزة ، قال: فوجدنا غضاضة وخنى أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له ، فقلنا لـحمزة ثوب وللأنصاري ثوب ، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما ، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له «^(١) .

٣٣٢- من حديث ابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم قالوا: « لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: (لكن حمزة لا بواكي له) فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال: (يا ويحهن ما زلن يبكين منذ اليوم فليبكين ، ولا يبكين على هالك بعد اليوم) »^(٢) .

٣٣٣- من حديث وحشي قال: « أتيت النبي ﷺ فقال لي: (وحشي) قلت: نعم ، قال: (قتلت حمزة؟) ، قلت: نعم ، والحمد لله الذي أكرمه يدي ولم يهني يده ، فقالت له قریش: أتجبه وهو قاتل حمزة ؟ فقلت: يا رسول الله فاستغفر لي ، فتفل رسول الله ﷺ في الأرض ثلاثة ، ودفع في صدري ثلاثة وقال: (وحشي أخرج فقاتل في سبيل الله كما قاتلت لتصد عن سبيل الله) »^(٣) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٦٥/١ ، والبزار كما في كشف الأستار رقم: ١٧٩٧ وقال الهيثمي في المجمع: ١١٨/٦ : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق « وأخرجه البيهقي في السنن: ٤٠١/٤ - ٤٠٢ ، وفي الدلائل: ٢٩٠/٣ وأبو يعلى الموصلي رقم: ٦٨٦ ، وإسناد هذا الحديث حسن فابن أبي الزناد قال ابن معين فيه: أثبت الناس في هشام بن عروة ، وقال ابن المديني: ما حدث بالمدينة فصحيح وما حدث ببغداد أفسده البغداديون . تهذيب التهذيب: ١٧١/٦ - ١٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجناز باب ما جاء في البكاء على الميت: ١٥٩١ ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ١٠٦/٧ - ١٠٧ وقال الساعاتي سنده جيد قال الهيثمي في المجمع: ١٢٠/٦ رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح قلت: وإسناد ابن ماجه على شرط مسلم .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ١٢١/٦ : رواه الطبراني وإسناده حسن ، انظر الطبراني في الكبير: ١٣٩/٢٢ رقم: ٣٧٠ .

٣- أنس بن النضر وشجاعته:

٣٣٤- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « عَمِيَ الذي سميت به ^(١) لم يشهد مع رسول الله ﷺ بداراً . قال: فشق عليه . قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيبت عنه ، وإن أراني الله مشهداً ، فيما بعد ، مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع ، قال: فهاب أن يقول غيرها ^(٢) .

قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة أجده دون أحد . فقاتلهم حتى قتل . قال: فوجد في جسمه بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية ، قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا بينانه ، ونزلت هذه الآية ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ ^(٣) . فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه ^(٤) . وهذا لفظ مسلم ^(٥) .

وفي لفظ البخاري زيادة أذكرها للفائدة: « فلقي يوم أحد فهزم الناس فقال: اللهم إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون - فتقدم بسيفه ، فلقي سعد بن معاذ فقال: أين يا سعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة - أو بينانه - وبه بضع وثمانون: من طعنة وضربة ورمية بسهم » .

٣٣٥- ومن طريق ابن إسحاق قال: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار: « قال انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال ما يجلسكم ؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ . قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قتل ^(٦) » .

(١) عمي الذي سميت به: أي يأسه وهو أنس بن النضر

(٢) مخافة أن يقول شيئاً يعجز عن فعله

(٣) الأحزاب آية: ٢٣ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٨ ، مسلم في الإمامة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ١٩٠٣ ، الترمذي رقم: ٣١٩٨ ، وقال حسن صحيح ، وأحمد في المسند: ١٩٤/٣ ، ٢٠١ ، ٢٥٣ ، والطيالسي: ٢٢/٢ ، وأبو نعيم في الحلية: ١/١٢١ ، ابن جرير الطبري في التفسير: ١٤٧/٢١ ، وابن كثير في التفسير: ٤٧٥/٣ .

(٥) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٨٣/٢ ، وصرح ابن إسحاق بالتحديث ، والقاسم بن عبد الرحمن ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ١٣/٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وأخرجه الطبري في تاريخه: ٥١٧/٢ والبيهقي في الدلائل: ٢٤٥/٣ من طريق ابن إسحاق به .

٤- أبو عامر الفاسق وتحريضه على المسلمين يوم أحد:

٣٣٦- من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني عاصم بن قتادة: « أن أبا عامر ، عبد عمرو بن صفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشرة رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق - وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع ردهم عليه ، قال: لقد أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة » ^(١) .

٥- رجل يستطيل حياته:

٣٣٧- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رجل يوم أحد: يا رسول الله إن قتلت فأين أنا ؟ قال: (في الجنة) ، فآلقت ثمرات في يده وقاتل حتى قتل » ^(٢) .

قال الحافظ في الفتح « وزعم ابن بشكوال أنه عمير بن الحمام ، وسبقه إلى ذلك الخطيب ، واحتج بما أخرجه مسلم من حديث أنس (أن عمير بن الحمام أخرج ثمرات فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، ثم قاتل حتى قتل .

قلت: لكن وقع التصريح في حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر ، والقصة التي في الباب وقع التصريح في حديث جابر أنها كانت يوم أحد ، فالذي يظهر أنهما قصتان وقعتا لرجلين ، والله أعلم ، وفيه (الحديث) ما كان عليه الصحابة من حب نصر الإسلام ، والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله » ^(٣) .

(١) أخرجه ابن هشام: ٦٧/٢ والطبري في تاريخه: ٥١٢/٢ ، وسنده حسن ورجاله ثقات ، وصرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث مرسل .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٦ ، مسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ١٨٩٩ ، النسائي في الجهاد باب ثواب من قتل في سبيل الله عز وجل: ٣٣/٦ ، أحمد في المسند: ٣٠٨/٣ ، الحميدي برقم: ١٢٤٩ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٢٤٣/٣ .

(٣) فتح الباري: ٣٥٤/٧ .

٦- كافر تصيبه دعوته :

٣٣٨- من حديث بريدة رضي الله عنه قال : « أن رجلاً قال يوم أحد اللهم إن كان محمداً على الحق فاخسف بي قال فخسف به » ^(١) .

٧- حنظلة الغسيل :

٣٣٩- من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : (إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبه) فقالت : إنه خرج لما سمع الهاتعة وهو جنب فقال رسول الله ﷺ : (لذلك غسلته الملائكة) » ^(٢) .

٣٤٠- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أصيب حمزة بن عبدالمطلب ، وحنظلة بن الراهب ، وهما جنب فقال رسول الله ﷺ : (رأيت الملائكة تغسلهما) » ^(٣) .

٨- جرح الرسول عليه الصلاة والسلام يوم أحد :

٣٤١- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : (اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبههم - يشير إلى ربايعته - ، اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ) » ^(٤) .

٣٤٢- من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : « حين سئل عن جرح الرسول ﷺ يوم أحد - جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت ربايعته ،

(١) كشف الاستار عن زوائد البزار رقم : ١٧٩٩ ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٢٢/٦ ، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الحاكم : ٢٠٤/٣-٢٠٥ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والبيهقي : ١٥/٤ من حديث ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده وسنده صحيح ورواه الطبراني في الكبير وفي لفظه اختلاف انظر مجمع الزوائد : ٢٣/٣ ، وقال الهيثمي : وإسناده حسن ، وله شاهد من حديث ابن عباس يأتي بعده .

(٣) قال الهيثمي في المجمع : ٢٣/٣ ، رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد رقم : ٤٠٧٣ ، مسلم في الجهاد والسير باب اشتداد غضب الله تعالى على من قتله رسول الله رقم : ١٧٩٣ ، وأحمد في المسند : ٢٥٥/٢ .

وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم « اللفظ لمسلم ^(١) .

٣٤٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه ، فجعل يسلك الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله) فأنزل الله - عز وجل - ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ^{(٢) (٣)} .

وقد جاء أيضاً من حديث ابن عباس عند البخاري رقم: (٤٠٧٤ ، ٤٠٧٦) ، وابن عمر رحمهما الله تعالى عند البخاري رقم: (٤٠٦٩ ، ٤٠٧٠) .

حال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يمسخ الدم

٣٤٤- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « كاني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه ، وهو يمسخ الدم عن وجهه ويقول: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ^(٤) .

٩- شهيد لم يصل لله ركعة

٣٤٥- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن عمرو بن أقيش كان له رباً في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحد ، فقال: أين بنو

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد رقم: ٤٠٧٥ ، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم: ١٧٩٠ ، وأحمد في المسند: ٣٣٠/٥ ، ٥٣٤ ، ابن ماجه في سننه كتاب الطب باب دواء الجراحة رقم: ٣٤٦٤ .

(٢) آل عمران: ١٢٨

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ليس لك من الأمر شيء في ترجمة الباب معلقاً فتح الباري: ٣٦٥/٧ ، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم: ١٧٩١ ، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة آل عمران رقم: ٣٠٠١ ، ٣٠٠٢ وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه برقم: ٤٠٢٧ ، وأحمد في المسند: ٢٨٨ ، ٢٥٣ ، ٢٠٦ ، ١٧٨ ، ٩٩/٣ .

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٥٤ ، باب حديث بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب رقم: ٣٤٧٧ ، مسلم في الجهاد باب غزوة أحد رقم: ١٧٩٢ ، ابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء رقم: ٤٠٢٥ .

عمي ؟ قالوا: بأحد ، قال: أين فلان قالوا: بأحد ، قال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد . فلبس لأمته وركب فرسه ، ثم توجه قبلهم فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو ، قال: إني قد آمنت ، فقاتل حتى جرح ، فحمل إلى أهله جريحاً، فجاء سعد بن معاذ ، فقال لأخته: سلبه حمية لقومك ، أو غضباً لهم ، أم غضباً لله عز وجل ، قال: بل غضباً لله - عز وجل - ورسوله ، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة^(١) .

١٠- مقتل اليمان والد حذيفة على يد المسلمين خطأ .

٣٤٦- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما كان يوم أحد هزم المسلمون ، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله ، أخراكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي . قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة: يغفر الله لكم ، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله »^(٢) .

وقد جاء زيادة عند ابن هشام عن ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد فقال حذيفة: « قتلتم أبي ! قتلتم أبي ! قالوا: والله ما عرفناه وصدقوا ، فقال حذيفة: يغفر الله لكم فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً »^(٣) .

١١- عبدالله بن جحش وسعد ودعوتان مستجابتان:

٣٤٧- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد ألا تدعو الله ، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله عز وجل رقم: ٢٥٣٧ ، وأحمد في المسند/٤٢٨/٢٩٤ والبيهقي في الدلائل: ٢٤٧/٣ - ٢٤٨ وابن هشام: ٩٠/٢ ، وسنده حسن ، وقد رواه أحمد وأحمد وابن هشام بسند آخر عن أبي هريرة عن ابن إسحاق قال حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى أبي أحمد عن أبي هريرة هذا السند رجاله ثقات ، وقال الحافظ في الإصابة: ٥١٩/٢: هذا إسناد حسن .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٦٥ ، وفي المناقب الأنصار باب ذكر حذيفة بن اليمان رقم: ٣٧٢٤ ، ابن سعد: ٤٥/٢ ، والحاكم في المستدرک: ٣/٣٧٩: والبيهقي في الدلائل: ٢٣٠/٣ - ٢٣١ .

(٣) أخرجه ابن هشام: ٨٧/٢ - ٨٨ والطبري في تاريخه: ٥٣٠/٢ من طريق ابن إسحاق، وسنده حسن رجاله ثقات ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده متصل .

العدو ، فلقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله ، وأخذ سلبيه ، فأمن عبدالله بن جحش ، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده ، شديداً بأسه ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً ، قلت: من جدع أنفك وأذنك ، فأقول: فيك وفي رسولك ، فتقول صدقت: قال سعد: يا بني كانت دعوة عبدالله بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخرَ النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط^(١).

١٢- عمرو بن الجموح ورجاؤه أن يظاً في الجنة بعرجته:

٣٤٨- من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: « أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيفة في الجنة ؟ وكانت رجله عرجاء ، فقال: رسول الله ﷺ: (نعم) ، فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم ، فمر رسول الله ﷺ ، فقال: (كاني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيفة في الجنة) فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاها فجعلوا في قبر واحد »^(٢).

وقد جاء بلفظ آخر من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة: أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له: إن الله - عز وجل - قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ (فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنني لأرجو أن أظاً بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله ؛ فلا جهاد عليك) وقال لبنيه: (ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة) فخرج معه فقتل يوم أحد^(٣).

(١) أخرجه الحاكم: ١٩٩/٣ - ٢ ، وقال صحيح على شرطهما لولا إرساله ، ووافقه الذهبي وقال: صحيح مرسل وابن سعد: ٦٣/٣ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٠١/٩ - ٣٠٢: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وله شواهد متصلة من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص كما في الإصابة ترجمة رقم: ٤٥٨٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى: ٣٠٧/٦ - ٣٠٨ موصولاً من حديث إسحاق بن سعد .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢٩٩/٥ وحسن إسناده الحافظ في الفتح ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣١٥/٩: رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة .

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٩٠/٢ - ١٩ والبيهقي في الدلائل: ٢٤٦/٣ ، وسنده حسن إن كان الأشياخ من الصحابة وإلا فهو مرسل ورجاله ثقات .

١٣- سعد بن الربيع ووصيته:

٣٤٩- من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: « بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ، وقال لي: (إن رأيته فاقتره مني السلام ، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟) قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته ، وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم فقلت له: يا سعد ! إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله ﷺ وعليك السلام ، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر^(١) يطرف ، قال: وفاضت نفسه رحمه الله »^(٢) .

١٤- سعد بن أبي وقاص ودفاعه عن النبي يوم أحد:

٣٥٠- من حديث أبي عثمان النهدي قال: « لم يبق مع النبي ﷺ في تلك الأيام التي كان يقاتل بها رسول الله غير طلحة وسعد عن حديثهما »^(٣) .

٣٥١- من حديث علي كرم الله وجهه: قال: « ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فإني سمعته يقول يوم أحد: (يا سعد ارم فذاك أبي وأمي) »^(٤) .

٣٥٢- من حديث سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال: (ارم فذاك أبي وأمي) »^(٥) .

(١) شفر: العين .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠١/٣ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي من غير طريق ابن إسحاق ، وقد جاء في سيرة ابن هشام: ٩٤/٢ - ١٥ والطبري في تاريخه: ٥٢٨/٢ واليهقي في الدلائل: ٢٤٨/٣ ، من طريق ابن إسحاق وقال حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخو بني النجار والإسناد صحيح إلا أنه مرسل ، وقد جاء في المطالب العالية رقم: ٤٣١٧ ، عن عمرو بن يحيى المازني وعزاه لإسحاق بن راهويه وصحح إسناده البوصيري إلا أنه مرسل وجاء أيضاً من مرسل يحيى بن سعيد أخرجه مالك في الجهاد وباب الترغيب في الجهاد: ٢١/٢ بهامش تنوير الحوالك ، ومن طريقه أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٥٢٣/٣ وبهذه الطرق يكون الحديث صحيحاً .

(٣) أخرجه البخاري في الفضائل: ٣٧٢٣ ، وفي المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٦٠ ، ٤٠٦١ ، ومسلم في الفضائل رقم: ٢٤١٤ .

(٤) أخرجه البخاري رقم: ٢٩٠٥ ، وفي المغازي إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا أرقام: ٤٠٥٨ ، ٤٠٥٩ ، وجاء أيضاً برقم: ٦١٨٤ ، مسلم في الفضائل رقم: ٢٤١١ ، الترمذي: ٣٧٥٦ ، وابن ماجه رقم: ١٢٩ ، المقدمة ، وأحمد في المسند: ٢٩/١ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٥٥ .
نثل: استخرج ما فيها من السهام .
الكنانة: جعبة السهام .

٣٥٣- من حديث سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: « جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما - يريد حين قال: (فذاك أبي وأمي) - وهو يقاتل » ^(١).

١٥- طلحة بن عبيد الله ودفاعه عن رسول الله يوم أحد:

٣٥٤- من حديث قيس قال: « رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي يوم أحد شلاء » ^(٢).

٣٥٥- من حديث جابر رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد ، وولى الناس ، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة ، فأدركهم المشركون فقال النبي ﷺ: (من للقوم ؟) قال: طلحة: أنا ، قال: (كما أنت) ، فقال رجل: أنا ، قال: (أنت) ، فقاتل حتى قتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال: (من لهم ؟) قال طلحة: أنا ، قال: (كما أنت) ، فقال رجل من الأنصار: أنا ، قال: (أنت) فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة ، فقال: (من للقوم ؟) قال: طلحة: أنا ، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه ، فقال: حسس ، فقال: رسول الله ﷺ: (لو قلت باسم الله ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ثم رد الله المشركين » ^(٣).

٣٥٦- من حديث الزبير رضي الله عنه قال: « كان على النبي يوم أحد درعان ، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع ، فقع طلحة تحته حتى استوى على الصخرة ، قال الزبير فسمعت النبي ﷺ يقول: (أوجب طلحة) » ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الفضائل رقم: ٣٧٢٥ ، وفي المغازي إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٥٥ ، ٤٠٥٦ ، ٤٠٥٧ ، ومسلم في الفضائل رقم: ٢٤١٢ ، الترمذي: ٣٧٥٥ ، وابن ماجه رقم: ١٣٠ في المقدمة ، وأحمد في المسند: ١٧٤/١ - ١٨٠ .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب طلحة رقم: ٣٧٢٤ ، وفي المغازي باب إذ همت طائفتان رقم: ٤٠٦٣ ، وابن ماجه في المقدمة رقم: ١٢٨ ، وأحمد في المسند: ١٦١/١ .

(٣) أخرجه النسائي: ٢٩/٦-٣٠ في الجهاد باب ما يقول من يطعنه العدو ، ورجاله ثقات كما قال الذهبي وأخرج الحاكم معناه: ٣٦٩/٣ .

(٤) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الدرع: ١٦٩٢ ، وفي المناقب باب مناقب طلحة رقم: ٣٧٣٩ ، وقال حسن غريب ، وأحمد: ١٦٥/١ ، وصححه الحاكم: ٣٧٤/٣ ، ووافقه الذهبي وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث في رواية أحمد ، فزالت شبهته بتدليس فالحديث بذلك صحيح والله أعلم .

١٦- أبو طلحة الأنصاري ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٥٧- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يديه مجوباً عليه بحجفة ، وكان رامياً شديداً النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل ، فيقول رسول الله ﷺ : (انثرها لأبي طلحة) ، ثم يشرف إلى القوم . فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت، لا تشرف إلا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك»^(١).

١٧- مصعب بن عمير رضي الله عنه وعدم توفر كفن لدفنه

٣٥٨- من حديث خباب رضي الله عنه قال: « هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله فوق أجرتنا على الله فمنا من مضى بسبيله لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، ولم يترك إلا غمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجله بدا رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : (غطوا رأسه ، واجعلوا على رجله من الأذخر) ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها»^(٢).

٣٥٩- من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه « أتى بطعام ، وكان صائماً ، فقال: قتل مصعب بن عمير ، وهو خير مني ، كفن في بردة ، إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطي رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني ، ثم بسط لنا من الدنيا أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في فضائل الأنصار باب مناقب أبي طلحة رقم: ٣٨١١ ، وفي المغازي باب إذ همت طائفتان أن تفشلا رقم: ٤٠٦٤ ، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال رقم: ١٨١١ ، وأحمد في المسند: ١٠٥/٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦ وعنده قوله أبو طلحة للنبي « إني جلد » .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب إذا لم يجد كفناً إلا ما يوارى رأسه أو قدميه رقم: ١٢٨٦ ، في مناقب الأنصار باب هجرة النبي: ٣٨٩٧ ، ٣٩١٤ ، وفي المغازي باب غزوة أحد: ٤٠٤٧ ، باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٨٢ ، وفي الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا رقم: ٦٤٣٢ ، باب فضل الفقر: ٦٤٤٨ ، مسلم في الجنائز باب كفن الميت رقم: ٩٤٠ ، أبو داود: ٣١٥٥ ، في الجنائز الترمذي في المناقب: ٣٨٥٢ ، والنسائي في الجنائز، باب القميص من الكفن: ٢٨/٤ ، أحمد في المسند: ١١٢/٥ .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب الكفن من جميع المال رقم: ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، وفي المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٥ .

٣٦٠- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه ، ودعا له ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ ^(١) . ثم قال رسول الله ﷺ : (أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فاتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه) ^(٢) .

١٨- عبدالله بن عمرو بن حرام وإظلال الملائكة له :

٣٦١- من حديث جابر بن عبدالله قال: « لما قتل أبي يوم أحد ، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه ، فقال النبي ﷺ : (تبكيه ، أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظلمه بأجنحتها حتى رفعتموه » ^(٣) .

استخراجه وإعادة دفنه بعد ستة أشهر :

٣٦٢- من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال أبي: « أرجو أن أكون في أول من يصاب غداً ، فأوصيك بيناتي خيراً ، فأصيب ، فدفته مع آخر ، فلم تدعني نفسي حتى استخرجته ودفته وحده بعد ستة أشهر ، فإذا الأرض لم تأكل منه شيئاً إلا بعض شحمة أذنه » ^(٤) .

تكليم الله تعالى لعبدالله بن حرام كفاحاً :

٣٦٣- من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ : (ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحاً ، فقال: يا عبدي ! سلني أعطك ، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً ، فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا

(١) الأحزاب: ٢٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠٠/٣ ، وقال هذا حيث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت رقم: ١٢٤٤ ، وفي المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٨٠ ، مسلم في الفضائل باب من فضائل عبدالله بن عمرو بن حرام رقم: ٢٤٧١ ، والنسائي في الجنائز باب في البكاء على الميت: ١٣/٤ ، وأحمد في المسند: ٣٠٧، ٢٩٨/٣ .

(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب هل يخرج الميت من القبر وللحد لعة رقم: ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، الحاكم في المستدرک: ٢٠٣/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وابن سعد: ١٠٦/٢/٣ .

يرجعون . قال: يارب! فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله ﴿ ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾^{(١)(٢)} .

١٩- الأنصار السبعة الذين ضحوا بأنفسهم لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٦٤- من حديث أنس رضي الله عنه قال: (أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه^(٣) ، قال: (من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة) ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضاً ، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: (ما أنصفنا أصحابنا))^(٤) .

٢٠- بطل إلى النار:

٣٦٥- من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم - وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه - فقبل: ما أجراً منا اليوم أحد كما أجراً فلان ، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار) ، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه . قال فخرج معه كلما وقف ، وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله ، قال: (وما ذاك ؟) .

(١) آل عمران: ١٦٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة آل عمران رقم: ٣٠١٣ ، وقال حديث حسن ، وابن ماجه في المقدمة باب ما أنكرت الجهمية رقم: ١٩٠ ، وفي الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله رقم: ٢٨٠٠ ، والحاكم في المستدرک: ٢٠٤/٣ وصححه ووافقه الذهبي وابن جرير بسند صحيح في التفسير: ١٧٣/٤ ، وفي التاريخ: ٣٦/٣ .

(٣) رهقوه: غشوه وقربوا منه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم: ١٧٨٩ ، وقد جاء من حديث جابر رضي الله عنه في قتال طلحة بن عبد الله برقم: ٣٥٥ ، فانظره هناك . رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه .

قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً من أهل النار فأعظم الناس ذلك . فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين يديه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)^(١) .

وقد جاء عند ابن هشام في سيرته التصريح بأن هذا الرجل هو قزمان ، وأنه قتل نفسه يوم أحد ، كما ورد من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة والإسناد حسن ورجاله ثقات ، إلا أنه مرسل وهو يعتد به كشاهد للمتابعة والله أعلم^(٢) .

وقال الحافظ في الفتح « جزم ابن الجوزي في مشكلة بأن القصة التي حكاها سهل بن سعد وقعت بأحد ، قال: واسم الرجل قزمان الظفري ، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد فعيّره النساء ، فخرج حتى صار في الصف الأول ، فكان أول من رمى بسهم ، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب ، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار ، فمر به قتادة بن النعمان فقال له: هنيئاً لك الشهادة ، قال: والله إني ما قاتلت على دين ، وإنما قاتلت على حسب قومي ، ثم أفلقتة الجراحة فقتل نفسه » .

وعقب الحافظ على ذلك بقوله: « قلت وهذا الذي نقله أخذه من مغازي الواقدي، وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف »^(٣) .

قلت: وقد سبق من طريق ابن إسحاق عند ابن هشام التصريح بأنه قزمان وبأنه قتل نفسه يوم أحد ، وقول الحافظ لا يعارض ذلك المروي خاصة وأنه مرسل وإسناده ثقات ، فالظاهر هو كما قال ابن الجوزي وابن إسحاق إمام أهل السير والله أعلم » .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢٠٢ ، ومسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه رقم: ١١٢- وفي رواية عند مسلم وقع أن الغزوة « حنين » وفي رواية أخرى أبهمت ، وأخرجه أحمد في المسند: ١٣٥/٤ ، وفيه أن الغزوة هي خيبر .

(٢) ابن هشام في السيرة: ٨٨/٢ .

(٣) فتح الباري: ٤٧٣/٧ ، في التعليق على حديثه سهل السابق .

٢١- تصحيح الشعارات حتى في أحلك المواطن:

٣٦٦- من حديث عقبة مولى جبر بن عتيك الأنصاري رضي الله عنه قال: «شهدت أحداً مع مولاي ، فضربت رجلاً من المشركين ، فلما قتلته ، قلت : خذها مني وأنا الرجل الفارسي ، فبلغت رسول الله ﷺ فقال: (ألا قال : خذها وأنا الرجل الأنصاري ، فإن مولى القوم من أنفسهم) »^(١) .

٢٢- قتال الملائكة دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٦٧- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد »^(٢) .

٢٣- تغشية النعاس المسلمين يوم أحد:

٣٦٨- من حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: « غشنا ونحن في مصافنا يوم أحد ، حدث أنه فيمن غشيه النعاس يومئذ قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ، ويسقط من يدي فأخذه ، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه ، وأخذله للحق » وهذا اللفظ للترمذي^(٣) .

وفي لفظ آخر لأبي طلحة قال: « رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر ، وما منهم يومئذ أحد إلا يمد تحت حجفته من النعاس ، فذلك قوله تعالى: ﴿ ثم أنزل الله عليكم من بعد الغم أمة ناعساً ﴾ »^(٤) .

٣٦٩- من حديث الزبير رضي الله عنه قال: « لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢٩٥/٥ ، أبو داود في الأدب: ٥١٢٣ ، باب في العصبية ، وابن ماجه في الجهاد باب النية في القتال: ٢٧٨٤ ، وإسناده حسن وقال الهيثمي في المجمع: ١١٥/٦ ، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات ، وانظر المطالب العالية رقم: ٤٣٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب الثياب البيض رقم: ٥٨٢٦ ، وفي المغازي باب قوله تعالى ﴿ وإذ همت طائفتان ﴾ رقم: ٤٠٥٤ ، مسلم في الفضائل باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد رقم: ٢٣٠٦ ، وأحمد في المسند: ١٧١/١ ، ١٧٧ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ثم أنزل عليكم من بعد الغم ناعساً رقم: ٤٠٦٨ ، والترمذي في سننه كتاب تفسير سورة آل عمران رقم: ٣٠٠٨ ، وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند: ٢٩/٤ .

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن باب ومن تفسير آل عمران رقم: ٣٠٠٧ ، وقال حديث حسن صحيح .

يوم أحد حين اشتد علينا الخوف ، وأرسل علينا النوم ، فما منا أحد إلا وذقنه - أو قال - ذقنه في صدره ، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا » فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً ﴾ ، إلى قوله: ﴿ ما قتلنا ها هنا ﴾ لقول معتب بن قشير ، قال: ﴿ لو كنتم في بيوتكم ﴾ حتى بلغ ﴿ والله عليهم بذات الصدور ﴾ ^(١).

٢٤- الحرب خدعة:

٣٧٠- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ ».

فأشار إلي بيده أن اسكت ، ثم البسني لامته ، ولبس لامتي ، فلقد ضربت حتى جرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جرحاً كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ » ^(٢).

٢٥- ظن علي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد رفع:

٣٧١- من حديث علي كرم الله وجهه قال: « لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت إلى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فيهم ، فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ ، فما في خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت جفن سيفي ، ثم حملته على القوم فأفرجوا لي ، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم » ^(٣).

(١) المطالب العالية رقم: ٤٣١٥ ، ونسبه إلى إسحاق بن راهويه وسكت عليه البوصيري وإسناده جيد ، وقال الترمذي معلقاً على إسناده في تخريج الحديث السابق: ٣٠٠٧ وجاء في حديث الزبير وقال حديث حسن صحيح .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ١١٢/٦ ، رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات ، ورواه أبو نعيم في الدلائل: ٤٨٢/٢ من طريق ابن إسحاق وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل ، فالحديث صحيح .
★ لامته: درعه .

(٣) المطالب العالية: ٤٣٢٣ ، قال البوصيري رواه أبو يعلى برقم: ٥٤٦ ، بإسناد حسن ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٢/٦ فيه محمد بن مروان العقيلي وثقه أبو داود وابن حبان وضعفه أبو زرعة وغيره « وإسناده حسن كما قال البوصيري والله أعلم .

٢٦- فخر أبي سفيان بعد المعركة :

٣٧٢- من حديث البراء رضي الله عنه قال: « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً - عبدالله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً ، وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، إن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) ، قال: فهزموهم .

قال: فأننا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت سوقهن وخلاخلهن - رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟

قال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ، قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيب من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول ﷺ في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين رجلاً ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه ، أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتوهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك ما يسوءك ، فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ، ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: اعل هبل . اعل هبل .

فقال رسول الله ﷺ: (ألا تحيونه ؟) قالوا: يا رسول الله ما نقول ؟ قال: (قولوا الله أعلى وأجل) ، قال: أن العزى لنا ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ: (ألا تحيونه ؟) قالوا: يا رسول الله وما نقول ؟ قال: (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم)^(١) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٣ ، وأبو داود في الجهاد باب في الكتمان رقم: ٢٦٦٢ ، وأحمد في المسند: ٢٩٣/٤ ، أبو داود الطيالسي رقم: ٢٣٤٥ ، ٩٩٩٨/٢ .

٢٧- رواية ابن عباس في أحد

٣٧٣- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر في يوم أحد فقال (ابن عتبة) فأنكرنا ذلك ، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى ، إن الله - عز وجل - يقول في يوم أحد: ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ﴾ ، يقول ابن عباس والحس القتلى ﴿ حتى إذا فسلتم ﴾ - إلى قوله - ﴿ ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ ، عني بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: (احموا ظهورنا فإن رأيتونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتونا قد غنمنا فلا تشركونا) .

فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً ، فدخلوا العسكر ينتهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم كذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا ، فلما أخل الرماة تلك الخلعة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ ، فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناس كثير .

وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، وإنما كانوا تحت المهراس^(١) وصاح الشيطان: قتل محمد فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك نشك أنه قد قتل حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين^(٢) نعرفه بتكفئه إذا مشى ، قالوا: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا .

قال: فرقى نحنونا وهو يقول: (اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله) ، قال ويقول مرة أخرى: (اللهم أنه ليس لهم أن يعلونا) حتى انتهى إلينا فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعل هبل مرتين يعني آلته ، أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟

فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه ؟ قال: بلى ، قال: فلما قال: اعل هبل ، قال عمر: الله أعلى وأجل ، قال: فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب إنه قد أنعمت عينها فعاد عنها أو فعال عنها ، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين

(١) المهراس: ماء بجبل أحد دفن بجواره حمزة عم رسول الله ﷺ .

(٢) السعدين: مكانان في ذاك الموضع والله أعلم .

ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا عمر.

قال: فقال أبو سفيان: يوم يوم بدر ، الأيام دول وإن الحرب سجال^(١)
قال: فقال عمر: لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار ، قال: إنكم
لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذا وخسرنا ، ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف
تجدون في قتلاككم مثلاً^(٢) ولم يكن ذاك عن رأي سراتنا^(٣) قال: ثم أدركته حمية
الجاهلية قال: فقال: أما إنه قد كان ذاك ولم نكرهه^(٤) .

٢٨- دور المسلمات في أحد:

وقد سبق من حديث أنس في دفاع أبي طلحة عن رسول الله ﷺ فانظره هناك
وقد جاء أيضاً:

٣٧٤- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال ثعلبة بن أبي مالك:
إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء من نساء أهل المدينة ،
فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين: « أعط هذا بنت
رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي ، فقال عمر: أم سليط
أحق منها ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ، قال عمر:
فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد »^(٥) .

٢٩- ثناء النبي على ربه ودعاؤه بعد انتهاء المعركة:

٣٧٥- من حديث عبيد الله بن رفاعة الزرقني رضي الله عنه قال: لما كان يوم
أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: (استموا حتى أثنى على ربي ،
فصاروا خلفه صفوفاً فقال: اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ،
ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لما أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي
لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت ،

(١) سجال: أي مرة لنا ومرة علينا .

(٢) مثل: أنكل بالقتل بجذع الأنف أو قطع الأذن .

(٣) السراة: الأشراف والكبراء .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٢٨٧/١ ، ٢٨٨ ، ٤٦٣ ، والحاكم في المستدرک: ٢/٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وقال
صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ذكر أم سليط رقم: ٤٠٧١ .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ، ورحمتك ، وفضلك ، ورزقك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم الغلبة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا ، وشر ما منعت منا ، اللهم حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحيينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم زجرك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، إله الحق (^(١)) .

٣٧٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد (اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض) » ^(٢) .

٣٠- ردوا القتلى إلى مضاجعهم:

٣٧٧- من حديث جابر رضي الله عنه قال: « إن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادي رسول الله ﷺ: (أن ردوا القتلى إلى مضاجعها) » ^(٣) .

٣٧٨- وقد جاء عنه بلفظ آخر فقال: « استشهد أبي بأحد، فأرسلتني أخواتي إليه بناضح ^(٤) لهن، فقلن: اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة، قال: فجثته وأعوان لي، فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني وقال: (والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته فدفن مع أصحابه بأحد) » ^(٥) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤١٤/٣ ، والحاكم في المستدرک: ٥٠٧/١ ، ٢٣/٣ ، ٢٤ ، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وقد وافق الذهبي الحاكم في موطن على التصحيح ، وقال في موطن آخر: والحديث مع نظافة إسناده منكر - والحديث صحيح فقط فيه عبيد بن رفاعه لم يخرج له الشيخان ، وليس لقول الذهبي في تعليقه وجه .
وقال الهيثمي في المجمع: ١٢١/٦ ، ١٢٢ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو رقم: ١٧٤٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٣٠٨/٣ ، أبو داود في الجنائز باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض: ٣١٦٥ ، والنسائي في الجنائز باب أين يدفن الشهيد: ٧٩/٤ ، والترمذي في الجهاد باب ما جاء في دفن الشهداء: ١٧١٧ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم: ١٥١٦ ، وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان: ١٩٦ ، وسنده صحيح .

(٤) الناضح: البعير الذي يحمل الماء يسقي الزرع .

(٥) انظر التخریج في الحديث السابق ، وقال الشيخ الساعاتي: ١٥٠/٨ أخرجه الأربعة وغيرهم وصححه الترمذي .

٣١- صلاة النبي على شهداء أحد:

٣٧٩- من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: « صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانين سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال: (إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدهم الحوض ، وإنني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإنني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) ، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ »^(١).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (والخلاف في الصلاة على قتل معركة الكفار مشهور ، قال الترمذي: « قال بعضهم يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحق ، وقال بعضهم لا يصلى عليه وهو قول المدنيين والشافعي وأحمد ، وقال الشافعي في الأم: « جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبي ﷺ لم يصل على قتلى أحد ، وما روي أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح ، وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك هذه الأحاديث الصحيحة أن يستحي على نفسه » انتهى ، ثم إن الخلاف في ذلك في منع الصلاة عليهم على الأصح عند الشافعية ، وفي وجه أن الخلاف في الاستحباب وهو المنقول عن الحنابلة .

قال الماوردي عن أحمد: الصلاة على الشهيد أجود ، وإن لم يصلوا عليه أجزاء ، وقال الطحاوي: « معنى صلاته ﷺ عليهم لا يخلو من ثلاثة معان: إما أن يكون ناسخاً لما تقدم من ترك الصلاة عليهم ، أو يكون من سنتهم أن لا يصلي عليهم إلا بعد هذه المدة المذكورة ، أو تكون الصلاة عليهم جائزة بخلاف غيرهم فإنها واجبة ، وأياها كان فقد ثبت بصلاته عليهم الصلاة على الشهداء ، ثم كان الكلام بين المختلفين في عصرنا ، إنما هو في الصلاة عليهم قبل دفنهم ، وإذا ثبت الصلاة عليهم بعد الدفن كانت قبل الدفن أولى » انتهى^(٢).

وقد وردت الأحاديث والسنن الصحيحة عن رسول الله ﷺ تدل على الصلاة

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب الصلاة على الشهيد رقم: ١٣٤٤ ، وفي المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٢ ، ولأطراف أرقام: ٣٥٩٦ ، ٤٠٨٥ ، ٦٤٢٦ ، ٦٥٩٠ ، مسلم في صحيحه في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ رقم: ٢٢٩٦ ، وأبو داود رقم: ٣٢٢٣ ، ٣٢٢٤ ، والنسائي: ٦٢، ٦١/٤ أحمد: ١٤٩/٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، البيهقي: ١٤/٤ .

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري: ٣/ ٢١٠-٢١١ ، في التعليق على حديث عقبة بن عامر المذكور آنفاً ، وانظر قول الطحاوي في شرح معاني الآثار: ٥٠٤/١ .

على الشهداء ، أورد بعضها هنا :

٣٨٠- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد مر رسول الله ﷺ بحمزة بن عبدالمطلب وقد جدد ومثل به ، فقال: لولا أن تجد صافية في نفسها تركته حتى تأكله العافية ^(١) ، حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع ، فكفنه في ثمرة ، وكانت إذا خمرت رأسه بدت رجلاه ، وإذا خمرت رجلاه بدا رأسه ، فخمر رأسه ، ولم يصل على أحد من الشهداء غيره » ^(٢) .

٣٨١- من حديث عبدالله بن الزبير قال: « أن رسول الله ﷺ أمر يوم أحد بحمزة فسجى بيردة ، ثم صلى عليه ، فكبر تسع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يصفون ، ويصلي عليهم ، وعليه معهم » ^(٣) .

وقد جاء من حديث ابن عباس ^(٤) وغيره انظرها في التعليق ، ولا يعارض هذان الحديثان وشواهدهما بحديث جابر بأنه لم يصل على شهداء أحد لأنه ناف ، والمثبت مقدم على النافي ، ففي هذين الحديثين وشواهدهما ثبتت مشروعية الصلاة على الشهداء لا على سبيل الإيجاب ، لأن كثيراً من الصحابة استشهدوا يوم بدر ، ولم ينقل عن النبي ﷺ الصلاة عليهم ، ولو فعل ذلك لنقل إلينا ، فدل ذلك على أن الصلاة عليهم غير واجبة ، ولذلك قال ابن القيم: « والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها ، لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين ، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، وهو الأليق بأصوله ومذهبه » ^(٥) .

(١) العافية: السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها .

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٣١٣٧ ، وأحمد في المسند: ١٢٨/٣ ، والبيهقي في السنن: ١٠/٤ ، ١١ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٥٠٢/١ - ٥٠٣ ، والحاكم في المستدرک: ٣٦٥/١ ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٩١/١٤ ، ٣٩٢ ، وقال النووي في المجموع: ٢٦٥/٥ ، وعزاه لأبي داود وحده وقال: إسناده حسن أو صحيح .

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار: ٥٠٣/١ ، وإسناده حسن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث .

(٤) أخرجه الحاكم: ١٩٨/٣ ، والحديث حسن الإسناد ، وابن ماجه في الجناز . باب ما جاء في الصلاة على الشهيد رقم: ١٥١٣ ، وهناك شواهد من حديث ابن مسعود ، أخرجه أحمد في المسند: ٤٦٣/١ ، وسنده حسن ، ومن حديث شداد بن الهاد وأخرجه النسائي: ٥٠٦/٤ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٥٠٦/١ البيهقي: ١٥/٤ ، ١٦ ، وسنده صحيح الحاكم: ٥٩٥/٣ - ٥٩٦ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٥) تهذيب السنن: ٢٩٥/٤ .

٣٢- طريقة دفن الشهداء في أحد وتقديم الأحفظ للقرآن

٣٨٢- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟) فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد ، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا » ^(١) .

٣٨٣- حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال: « شكى إلى رسول الله ﷺ الجراحات يوم أحد فقال: (احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد ، وقدموا أكثرهم قرآنًا) فمات أبي فقدم بين رجلين » ^(٢) .

٣٨٤- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « ... وكثرت القتلى وقلت الثياب ، قال: وكان يجمع الثلاثة والاثنين في قبر واحد ، ويسأل أيهم أكثر قرآنًا فيقدم في اللحد ، وكفن الرجلين والثلاثة في الثوب الواحد » ^(٣) .

٣٣- الشهداء أحياء عند ربهم:

٣٨٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله - عزَّ وجلَّ - أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتهوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ، وماكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا ، لئلا يزهّدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عزَّ وجلَّ: أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - هؤلاء الآيات على رسوله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ﴾ » ^(٤) .

(١) أخرجه أخرجه البخاري في الجناز باب الصلاة على الشهداء رقم: ١٣٤٣ ، وفي المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٧٩ وجاء بأرقام: ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٥٣ ، الترمذي في الجناز باب ما جاء في ترك الصلاة على الشهيد: ١٠٣٦ ، وأبو داود في الجناز في الشهيد يغسل: ٣١٣٨ والنسائي في الجناز باب ترك الصلاة عليهم: ٦٢/٤ ، وابن ماجه في الجناز باب ما جاء في الصلاة على الشهيد: ١٥١٤ ، وأحمد في المسند: ٤٣١/٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في الجهاد باب دفن الشهيد رقم: ١٧١٣ وقال حديث حسن صحيح وأبو داود في الجناز باب تعميق القبر: ٣٢١٥ ، والنسائي في الجناز باب ما يستحب في توسيع القبر: ١٨/٤ ، وابن ماجه في الجناز باب ما جاء في حفر القبر: ١٥٦٠ والحديث إسناده صحيح .

(٣) سبق تخريجه حديث رقم: ٣٨٩ .

(٤) أخرجه أحمد أحمد في المسند: ٢٦٥/١ ، أبو داود في الجهاد باب فضل الشهادة رقم: ٢٥٢٠ ، وعبد بن حميد رقم: ٦٦٧ ، وابن أبي شيبة: ٢٩٤/٥ - ٢٩٥ ، والطبري في التفسير: ١١٣/٤ .

٣٨٦- ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه . قال مسروق: سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ ، قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم كطير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال: فبينما هم كذلك ، إذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة ، فقال: سلوني ما شئتم ؟! فقالوا: يا ربنا ! وما نسألك ، ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا ، فلما رأوا أن لا يتركوا من أن يسألوا ، قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا ، حتى نقتل في سبيلك ، قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا) ^(١) .

٣٤- عدد شهداء المسلمين:

٣٨٧- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد ... فذكر الحديث إلى أن قال: فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين ، أراه قال: يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً » ^(٢) .

٣٨٨- من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: « إنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة ، فمثلوا بقتلاهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لئرين عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة ، نادى رجل لا يعرف: لا قریش بعد اليوم ، مرتين فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - على نبيه ﷺ ﴿ وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ فقال النبي ﷺ: (كفوا عن القوم) » ^(٣) .

والأجري في الشريعة: ٣٩٢ ، والبيهقي في عذاب القبر رقم: ١٢٩ ، والحاكم في المستدرک: ٨٨/٢ ، ٢٩٧ ، وقال في الموضعين صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد فزالت شبهة التدليس ، فالحديث صحيح .

(١) أخرجه مسلم في الإمامة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون رقم: ١٨٨٧ ، الترمذي في التفسير باب ومن تفسیر آل عمران رقم: ٣٠١١ وقال حسن صحيح ، ابن ماجه في الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله رقم: ٢٨٠١ ، وابن أبي شيبه: ٣٠٨/٥ ، والدارمي : ٢٠٦/٢ ، والطبري في التفسير: ١١٣/٤ - ١١٤ .

(٢) سبق تخريجه حديث رقم: ٣٧٢

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب من تفسیر سورة النحل رقم: ٣١٢٩ وقال حديث حسن غريب وأحمد في المسند: ١٣٥/٥ ، وابن حبان في الموارد رقم: ١٦٩٥ ، ص: ٤١١ ، والطبراني في الكبير: ١٥٧/٣ ، والحاكم في المستدرک: ٤٤٦،٣٥٩/٢ ، وقال في الموضعين صحيح الإسناد وأقره الذهبي .

٣٥- أحد جبل يحبنا ونحبه:

٣٨٩- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت ما بين لابتها) »^(١).

٣٦- أمانة النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شهداء أحد:

٣٩٠- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحاب أحد قال: (والله لوددت أني غودرت مع أصحاب فحصر الجبل) يقول: قتلت معهم ﷺ »^(٢).

٣٧- من أحسن القتال يوم أحد من المسلمين:

٣٩١- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « جاء علي رضي الله عنه بسيفه يوم أحد قد انحني ، فقال لفاطمة رضي الله عنها: هاكي السيف حميداً ، فإنها قد شفتني فقال رسول الله ﷺ: (لئن كنت أجدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيف ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت بن الأقلح ، والحارث بن الصمة) »^(٣).

٣٨- أسماء من استشهد يوم أحد:

ذكر الهيثمي أسماءهم في المجمع: (١٢٣/٦-١٢٤) ، بسند الطبراني إلى ابن شهاب ، ورجاله رجال الصحيح ، فمن أحب الاستزادة في معرفة أسمائهم فليرجع إلى المجمع .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب أحد جبل يحبنا ونحبه رقم: ٤٠٨٤ ، ومسلم في الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة: ١٣٦٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/٣٧٥ ، وفي سيرة ابن كثير: ٨٩/٣ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٢٣/٦ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فالحديث بذلك صحيح .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣/٢٤ ، وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع: ١٢٣/٦ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٣٩- كل مصيبة بعدك جلل

٣٩٢- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوها لها ، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت: أرونيهِ حتى أنظر إليه ؟ ، قال: فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته ، قالت: كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة »^(١) .

(١) ابن هشام في السيرة: ٩٩/٢ والبيهقي في الدلائل: ٣٠٢/٣ ، والطبري في تاريخه: ٥٣٣/٢ ، بسند ابن إسحاق إلى سعد بن أبي وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليس .

الفصل الخامس

الأحداث والوقائع بين أحد والخندق

المبحث الأول: غزوة حمراء الأسد

قال ابن إسحاق: « كان يوم أحد ، يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، فمن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته »^(١).

وبعد انتهاء غزوة أحد، ورحيل قريش جاءت الأخبار إلى المدينة بأن قريشاً تريد العودة لتستأصل المسلمين في مدينتهم ، فما كان من القائد القدوة محمد ﷺ إلا أن دعا أصحابه للخروج لتعقب قريش، وزرع الخوف في قلب من يفكر بالاعتداء على المدينة الآمنة الطيبة، وشرط رسول الله ﷺ أن لا يخرج معه إلا من خرج معه لأحد، وهنا وفي هذا المقام تتجلى صور التضحية والبذل، حيث يخرج أصحاب النبي، والكثير منهم قد أصيب بالجراحات المتعددة، ولكن في سبيل الله تهون كل المصاعب، ولندع أصحاب رسول الله ﷺ يروون بعض هذه المشاهد:

٣٩٢- من حديث عائشة رضي الله عنها: كما روى عنها عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ قالت لعروة: يا ابن أخي كان أبوك منهم: الزبير وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، قال: (من يذهب في إثرهم ؟) فانتدب منهم سبعون رجلاً ، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير^(٢).

وقال ابن كثير عقب ذكر هذا الحديث: « وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل

(١) سيرة ابن هشام: ١٠٥/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب الذين استجابوا لله والرسول رقم: ٤٠٧٧ ، مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير: ٢٤١٨ ، باختصار ، وابن ماجه في المقدمة وفي فضائل الزبير رقم: ١٢٤ ، والحاكم في المستدرک: ٢٩٨/٤ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

من شهد أحد ، وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقيون ^(١) .
وقال الشامي: « والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي ، لأن
معنى قولها فانتدب لها سبعون أنهم سبقوا غيرهم ، ثم تلاحق الباقيون ^(٢) .
٣٩٣- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما انصرف أبو سفيان
والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم ، ولا
الكواعب أردفتم ، شر ما صنعتم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فندب الناس
فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر بني عينة - فأنزل الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ وذلك أن أبا سفيان قال للنبي
ﷺ: موعذك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع
فأخذ أهبة القتال والتجارة ، فاتوه فلم يجدوا به أحداً ، وتسوقوا فأنزل الله - عز
وجل - ذكره ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ ^(٣) .

المبحث الثاني: آثار غزوة أحد

طمع الأعراب والمنافقين واليهود في المسلمين

لقد كان لغزوة أحد من الآثار الشيء الكثير إذ انتقض على الإسلام وأهله كثير
من هادئهم أو مألهم خوفاً منهم ، وعلى الرغم مما فعله النبي عليه السلام
وأصحابه من الخروج إلى حمراء الأسد وما أظهروه من مظاهر البأس ، ألا أن ما
حدث في أحد جعل الأعراب يتجراون ويبدأون بمحاولة مهاجمة المدينة والإغارة
عليها ونهب أموالها وخيراتها .

ولقد جرات الحادثة أيضاً اليهود في المدينة ليظهروا حقدهم الدفين على الإسلام
وأهله، ويسخرون من المسلمين علانية، ويكررون محاولاتهم الغادرة للكيد للإسلام
وأهله ، ولقد جرات الحادثة أيضاً المنافقين ليظهروا نفاقهم ، وينبشوا بين صفوف
المسلمين يشيعون الشائعات والدسائس محاولين بذلك تمزيق الصف الإسلامي.

(١) سيرة ابن كثير: ١٠١/٣ .

(٢) زاد المعاد: ٢٤٣/٣ .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٢١/٦ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور
الجواز وهو ثقة وقال السيوطي في لباب النقول (ص: ٦١) أن سنده صحيح ، وقال الحافظ ابن حجر
في الفتح: ٢٢٨/٨ : أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن
عكرمة ليس فيه عن ابن عباس ، ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره .

١- اغتيال المسلمين لابن سفيان الهذلي لحشده لقتال المسلمين

٣٩٤- من حديث عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال: « دعاني رسول الله ﷺ فقال: (إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بعرة فاته فاقتله) ، قال: قلت: يا رسول الله انعته حتى أعرفه ، قال: (إذا رأيته وجدت له قشعيرة) .

قال: فخرجت متوشحاً بسيفي ، حتى وقعت عليه بعرة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً ، وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعيرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ براسي الركوع والسجود .

فلما انتهيت إليه قال: من الرجل ، قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا ، قال: أجل أنا في ذلك ، قال: فمشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتلتته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال: (أفلح الوجه) ، قال: قلت: قتلتته يا رسول الله ، قال: (صدقت) ، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا ، فقال: (أمسك هذه عندك يا عبدالله بن أنيس) .

قال: فخرجت بها على الناس ، فقالوا: ما هذه العصا ؟ ، قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أمسكها ، قالوا: أولاً ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ ، قال: (آية بيني وبينك يوم القيامة ، ان أقل الناس المختصرون ^(١) يومئذ يوم القيامة) ، فقرنها عبدالله بسيفه فلم تزل معه ، حتى إذا مات أمر بها ، فضمت معه في كفته ، ثم دفنا جميعاً ^(٢) .

(١) المختصرون: أو المتخصرون: المتكونون على المخاصم: جمع مخصرة وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا وغيرها . والمراد هنا: الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكون عليها .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب صلاة الطالب حديث رقم: ١٢٤٩ ، باختصار أحمد في المسند: ٤٩٦/٣ البيهقي في السنن: ٢٥٦/٣ ، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٢٩٥/١ ، إسناده جيد ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٣٥٠/٢ ، إسناده حسن ، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٠٤-٢٠٣/٦ رواه الطبراني ورجاله ثقات ، واللفظ لأحمد .

٢- قصة أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الرجيع

٣٩٥- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا ماكلهم التمر في منزل نزلوله .

فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم ، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجشوا إلى موضع ، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم ، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً .

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم ، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ ، فرمهم بالنبل فقتلوا عاصماً ، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق ، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها .

قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجروه وعالجوه ، فأبى أن يصحبهم (فقتلوه) ، فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً - وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحلبها، فأعارته ، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه ، فوجدته مجلسه على فخذة والموسى بيده ، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك .

قالت: والله ما رأيت أسيراً ، قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة .

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً ، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه ، فركع ركعتين ، فقال:

والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لذت ، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين اقتل مسلماً على أي جنب كان الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ببارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سرورة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب بن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة ، وأخبر - يعني النبي ﷺ - أصحابه يوم أصيبوا خبرهم ، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف - وكان قتل رجلاً عظيماً من عظمائهم - فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً ^(١).

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله في السيرة أن عددهم كان ستة وأن أميرهم كان مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، والمقدم عندنا ما في الصحيح أن عددهم كان عشرة وأن أميرهم كان عصام بن ثابت الأنصاري والله أعلم .

٣- قصة أصحاب رسول الله في بئر معونة

أ- سبب خروج القراء من أصحاب رسول الله:

٣٩٦- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن رجلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو ، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم ، كانوا يحطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، حتى كانوا يبئر معونة قتلهم وغدروا بهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ففقت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب ، على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان » ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ رقم: ٣٩٨٩ ، وباب غزوة الرجيع ورعل وذكوان رقم: ٤٠٨٦ ، أبو داود في الجهاد باب في الرجل يستأسر رقم: ٢٦٦٠ ، ٢٦٦١ ، وعبدالرزاق في المصنف رقم: ٩٧٣٠ ، وأحمد في المستد: ٢٩٥/٢ - ٣١٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٢٣/٣ - ٣٢٥ والطبري في تاريخه: ٥٣٨/٢ - ٥٤١ ، وأبو داود الطيالسي رقم: ٢٣٤٩ ، ١٠١/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة بني الرجيع: ٤٠٩٠ ، وقد جاء أيضاً في الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده ، الجهاد ، باب دعاء الإمام على من نكث عهداً ، الدعوات باب الدعاء على المشركين ، مسلم في المساجد باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة رقم: ٦٧٧ ، وأحمد في المستد: ١٦٧/٣ ، ٢٥٥ ، ابن سعد في الطبقات: ٥١/٢ - ٥٤ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٣٨/٣ - ٣٤٤ والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ١٢٦/٦ - ١٢٧ .

ب - جوار ملاعب الأسنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٩٧- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « جاء ملاعب الأسنة إلى النبي ﷺ بهدية ، فعرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم ، فقال النبي ﷺ فإني لا أقبل هدية من مشرك ، قال: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار ، فبعث إليهم بقوم فيهم المنذر بن عمرو ، وهو الذي يقال له - المعتق ليموت - أو - أعتق عند الموت - ، فاستجاش^(١) عليهم عامر بن الطفيل بني عامر فأبوا أن يطيعوه ، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة ، فاستجاش عليهم بني سليم ، فأطاعوه ، فاتبعهم بقريب من مائة رجل رام فأدركهم بيثر معونة ، فقتلوهما إلا عمرو بن أمية »^(٢).

٣٩٨- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام ، يقرأون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ، ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء ، فبعثهم النبي ﷺ إليهم ، فعرضوا لهم فقتلوهم ، قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا ، أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا ، قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام: فزت ورب الكعبة ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن إخوانكم قد قتلوا ، وإنهم قالوا: اللهم ! بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ، فرضينا عنك ورضيت عنا) »^(٣).

(١) استجاش: طلب لهم الجيش وجمعه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٩٧٤١ ، والطبراني في الكبير: ٧٠/١٩ - ٧٢ رقم: ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٢٦/٦ - ١٢٧ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ٦٧٧ ، ص: ١٥١١ طبعة فؤاد عبد الباقي ، وأبو نعيم في الدلائل: ص: ٥١٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٤٧/٣ .

ج - قصة عامر بن فهيرة يوم بثر معونة:

٣٩٩- من حديث عائشة رضي الله عنها: (... فقتل عامر بن فهيرة يوم بثر معونة ، وعن أبي أسامة قال: قال هشام بن عروة فأخبرني أبي قال: لما قتل الذين يبثر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري ، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة . فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع ، فاتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: (إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا ورضيت عنا فأخبرهم عنهم) وأصيب يومئذ عروة بن أسماء بن الصلت فسمي عروة به ، ومنذر بن عمرو سمي به منذراً ^(١) .

د - دعاء النبي على قتلة القراء في دعاء القنوت ثم تركه عندما جاؤوا تائبين مسلمين:

٤٠٠- وقد سبق من حديث أنس في سبب خروج القراء من أصحاب النبي ﷺ فانظر تخريجه هناك ^(٢) .

٤٠١- وقد جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح ، في دبر كل صلاة ، إذا قال: (سمع الله لمن حمده) من الركعة الأخيرة ، يدعو على أحياء من بني سليم ، على رعل وذكوان وعصية ، ويؤمن من خلفه » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبثر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه رقم: ٤٠٩٣ ، وفي مناقب الأنصار باب مجرة النبي وأصحابه إلى المدينة رقم: ٣٩٠٠ ، وأبو نعيم في الدلائل: ص: ٥١٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٥٣/٣ وأبو نعيم في الحلية: ١١٠/١ ، وقد سبق جزء منه برقم: ١١٩ .

(٢) انظر حديث رقم: ٣٩٦ .

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات: ١٤٤٣ ، وأحمد في المسند: ٣٠١/١ وصححه الحاكم في المستدرک: ٢٢٥/١ ووافقه الذهبي ، واللفظ لأبي داود .

المبحث الثالث: غزوة بني النضير

وقت الغزوة:

قال الزهري عن عروة: « كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد^(١) ، وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد^(٢) ، وقد وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي كما قال الحافظ في الفتح^(٣) .

وقد ذهب إلى تأييد الرأي الثاني ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد فقال: «وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر ، وهذا وهم منه أو غلط عليه ، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد ، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع ، وقريظة بعد الخندق ، وخيبر بعد الحديبية ، وكان له مع اليهود أربع غزوات ، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد ، والثالثة: قريظة بعد الخندق ، والرابعة: خيبر بعد الحديبية » انتهى ، وقد ذهب ابن حزم في جوامع السير هذا المذهب قبل ابن القيم والله أعلم^(٤) .

سبب نزول سورة الحشر:

٤٠٢- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال: التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها ، قال: قلت: سورة الأنفال ، قال: نزلت في بدر قال: سورة الحشر قال: نزلت في بني النضير^(٥) » .

(١) علقه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير قبل الحديث رقم: ٤٠٢٨ ، ووصله عبدالرزاق في مصنفه رقم: ٩٧٣٢ ، عن معمر عن الزهري أتم من هذا ، وهو في حديثه عن عروة .

(٢) علقه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير قبل الحديث رقم: ٤٠٢٨ .

(٣) فتح الباري: ٣٣٠/٧ - ٣٣١ .

(٤) زاد المعاد: ٢٤٩/٣ ، جوامع السير ص: ١٨١ .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي حديث بني النضير حديث رقم: ٤٠٢٩ مسلم في صحيحه كتاب التفسير باب في سورة براءة والأنفال والحشر حديث رقم: ٣٠٣١ .

قطع الشجر وتحريقه

٤٠٣- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة ، فنزلت ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ وفي لفظ آخر له « أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير ، قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سراء بني لؤي
قال فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيع
و حرق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزه
وتعلم أي أرضينا تضير^(١)

٤٠٤- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كانت غزوة بني النضير ، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر ، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل والأمتعة والأموال إلا الحلقة يعني السلاح - فأنزل الله فيهم ﴿ سبح لله ما السموات والأرض ﴾ إلى قوله: ﴿ لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ﴾ ، فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء ، فأخلاهم إلى الشام ، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا ، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي ، وأما قوله: ﴿ لأول الحشر ﴾ فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام^(٢) .

والناظر في حديث عائشة رضي الله عنها يرى أنه مؤيد للرأي القائل أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر كما قال الزهري رحمه الله ، وهو في سند حديث عائشة ، فالجواب عنه ما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك من الخطأ في النقل عن الزهري ، أو هو وهم من الزهري رحمه الله والله أعلم .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة بني النضير رقم: ٤٠٣١ ، ٤٠٣٢ ، مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها رقم: ١٧٤٦ ، الترمذي في الجهاد والسير باب في التحريق والتخريب رقم: ١٥٥٢ ، وفي التفسير باب ومن سورة الحشر رقم: ٣٣٠٢ وقال حسن صحيح ، وأبو داود في الجهاد باب في الحرق في بلاد العدو رقم: ٢٦١٥ .

(٢) الحاكم في المستدرک: ٤٨٣/٢ ، وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي والبيهقي في دلائل النبوة: ٤٤٤/٢ ، والحديث صحيح إلا أنه ليس على شرط الشيخين لأنهما لم يخرجاهما لزيد بن المبارك ومحمد بن ثور وكلاهما ثقة .

المبحث الرابع : غزوة بدر الثانية

٤٠٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قال أبو سفيان: لا محمد قتلتم ، ولا الكواكب أردفتم ، شر ما صنعتم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بشر بني عيينة فأنزل الله - عز وجل - ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ﴾ ، وذلك أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: موعذك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا فأنزل الله - عز وجل - ذكره . ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾ ^(١) .

المبحث الخامس : غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسيع

١- وقت الغزوة

اختلف العلماء في ذلك وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال ، فمن قائل أنها سنة ست ، قال بذلك ابن إسحاق إمام المغازي ، وتبعه على ذلك خليفة بن خياط ، وابن جرير الطبري ، وابن حزم ، وابن عبد البر ، وابن العربي ، وابن الأثير ، وابن خلدون ، فقد صرح كل منهم بأن غزوة بني المصطلق كانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة ^(٢) .

ولابن حزم رأي آخر ، وافقه عليه عدد من العلماء ، منهم مالك بن أنس وموسى بن عقبة ، والبخاري ، وابن قتيبة ويعقوب بن سفيان الفسوي والنووي ، وابن خلدون أنها كانت في شعبان من العام الرابع للهجرة ^(٣) .

وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وذهب إلى هذا القول: موسى بن عقبة ، وابن سعد ، وابن قتيبة ، والبلاذري ، والذهبي ،

(١) قد سبق تخريجه في حديث رقم: ٣٩٣ في غزوة حمراء الأسد فانظره هناك .

(٢) تاريخ خليفة ص ٨٠ ، جوامع السير ابن حزم ص: ٢٠٦ ، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص: ٢٠٠-٢٠٢ ، عارضه الأحوذني لابن العربي: ٤٩/١٢ ، تاريخ ابن خلدون: ٢٩/٢ ، الكامل لابن الأثير: ١٩٢/٢ ، تاريخ الطبري: ٦٠٤/٢ .

(٣) البداية والنهاية ابن كثير: ٩٤-٩٣/٤ ، فتح الباري: ٤٢٨/٧ ، والمعرفة والتاريخ للفسوي: ٢٥٧/٣ ، شرح صحيح مسلم للنووي: ٥٣٢/٤ ، وابن خلدون في تاريخه: ٢٩/٢ ، المعارف ابن قتيبة ص ٧٠ .

وابن القيم وابن حجر العسقلاني ، وابن كثير رحمهم الله ومن المحدثين الخضري بك ، والغزالي ، والبوطي ، وأبو شهبه والشيخ الساعاتي ، وهذا القول هو الأصح والأظهر ، والله أعلم ، لأن الأدلة كلها متظاهرة ومتفقة على تأييد هذا القول ، ومن هذه الأدلة:

أ- روى البيهقي عن عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أنه قال: « ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس »^(١) .

ب - قال ابن كثير: قال موسى بن عقبة عن الزهري: « هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس » .

ثم أورد ابن كثير قول البخاري عن موسى بن عقبة « أنها سنة أربع »^(٢) وعقب عليه بقوله: هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة أنها سنة أربع ، والذي حكاه موسى بن عقبة ، عن الزهري وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس^(٣) .

وعقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري على قول البخاري « وقال موسى ابن عقبة سنة أربع » بقوله: « كذا ذكره البخاري ، وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس ، فكتب سنة أربع ، والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق ، أخرجها الحاكم ، وأبو سعيد النيسابوري ، والبيهقي في الدلائل ، وغيرهم سنة خمس .

ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب ثم قاتل رسول الله ﷺ بني

(١) البداية والنهاية: ١٥٦/٤، ٢٤٢/٣ ، طبقات ابن سعد: ٦٣/٢ ، المعارف لابن قتيبة ص: ٧٠ ، أنساب الأشراف للبلاذري ص: ٣٤١ ، ٣٤٣ ، العبر في خبر من غير: ٧/١ ، تاريخ الإسلام: ٢٧٢/٢ وكلاهما للذهبي ، ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد: ٢٥٦/٣ ، نور اليقين: ص: ١٥٢ ، فقه السيرة الغزالي: ٣١٦ ، فقه السيرة البوطي القسم الثاني: ٩٣ ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: ١٩٦ ، الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد الشيباني: ١٠٩/١٤ ، فتح الباري: ٤٣٠/٧ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٥٤/٩ : ١٣٠ البخاري في المغازي باب غزوة بني المصطلق فتح الباري: ٤٢٨/٧ .

(٣) البداية والنهاية: ١٥٦/٤ ، ٢٤٢/٣ .

المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس) ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد (عن ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة أربع) ولم يؤذن له في القتال ، لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم ، وهي بعد شعبان سواء قلنا أنها كانت خمس أو سنة أربع) .

وقال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره أنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق .

قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك: أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد في أصحاب الإفك كما سيأتي ، فلو كانت المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها ، لكان ما وقع في الصحيح من ذكره سعد بن معاذ غلطاً ، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة ، وكانت سنة خمس على الصحيح كما تقدم تقريره ، وإن كانت كما قيل سنة أربع .

فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان ، لتكون قد وقعت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً ، فتكون بعدها ، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع ورُميَ بعد ذلك بسهم ومات من جراحته في قريظة ، ويؤيده أيضاً أن حديث الإفك كان سنة خمس ، إذ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب ، والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة ، فيكون المريسيع بعد ذلك فيرجح أنها سنة خمس ^(١) .

٢- سبب غزوهم

كان لذلك أسباباً عدة منها:

١- تأييد هذه القبيلة لقريش وتكتلها معها في معركة أحد ضد المسلمين ، وذلك ضمن كتلة الأحابيش ^(٢) التي كانت في الجيش المكي .

٢- سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة ، فكانت حاجزاً منيعاً

(١) فتح الباري: ٤٣٠/٧ ، في المغازي باب غزوة بني المصطلق وغزوة أنمار .

(٢) الأحابيش: هم بنو الحارث بن عبدمناة بن كنانة ، والهون بن خزيمية بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة ، وسمو بذلك لأنهم تحالفوا وتعاهدوا مع قريش على أنهم يد على من سواهم ، وكان ذلك عند جبل بأسفل مكة يقال له حبشي فنسبوا إليه ، وقيل سمو بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع ، والحباشة الجماعة ، لسان العرب ابن منظور: ١٦٦/٨ ، القاموس المحيط الفيروز آبادي: ٢٦٧/٢ .

من نفوذ المسلمين إلى مكة .

٣- من أهم الأسباب في هذه الغزوة أن قبيلة بني المصطلق أخذت تجمع الجموع لغزو المدينة المنورة ، وقد أطمعها في التفكير في غزو المدينة والتصميم على ذلك انتصار المشركين في غزوة أحد ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أعد عدته ، واتخذ التدابير المناسبة ، وباغتهم في مكانهم ، وهزمهم شر هزيمة .

٤٠٦- قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق قال: « بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ... » فذكر الحديث ^(١) .

٤٠٧- من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن ابن عون قال: كتبت إلى نافع فكتب إلي أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق ، وهم غارون وأنعامهم تسقي على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم ، وأصاب يومئذ جويرية ، حدثني به ابن عمر وكان في ذلك الجيش » لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم ، قال ابن عون: « كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال ، قال: فكتب إلي إنما كان ذلك في أول الإسلام ، قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون ، وأنعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سيهم » الحديث فذكر بقية الحديث ^(٢) .

ترك الشيخ محمد الغزالي رواية البخاري ومسلم المتفق عليها في طريقة غزوة بني المصطلق وأثبت أثراً مخالفاً ، وعلل ذلك بقوله « وفي الوقت الذي فسحت مكاناً لهذا الأثر - على ما به - صددت عن إثبات رواية البخاري ومسلم مثلاً للطريقة التي تمت بها غزوة بني المصطلق ، فإن رواية الصحيحين تشعر بأن الرسول ﷺ باغت القوم وهم غارون ، ما عرضت عليهم دعوة الإسلام ، ولا

(١) قال الهيثمي في المجمع ١٤٢/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وانظر سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٢ ، وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في العتق باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع رقم: ٢٥٤١ ، ومسلم في كتاب الجهاد باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام رقم: ١٧٣٠ ، أبو داود في الجهاد باب في دعاء المشركين: ٢٦٣٢ ، وأحمد في المسند: ٣١/٢ ، ٣٢ ، ٥١ ، شرح معاني الآثار للطحاوي كتاب السير: ٢٠٩/٣ ، السنن الكبرى للبيهقي: ٥٤/٩ ، ١٠٧/٩ ، كتاب الأموال لأبي عبيد ص: ١٧٥ .

بدا من جانبهم نكوص ، ولا عرف من أحوالهم ما يقلق ... » إلى آخر كلامه^(١)
وقد جانب الشيخ الصواب لأسباب عدة منها:

١- صحة حديث ابن عمر وصراحته في ذلك ، وهو ثابت في الصحاح والسنن
والمسانيد وغيرها ، فلا يرده رأي يراه أي إنسان أو قول يحب أن ينصره .

٢- صرح كثير من العلماء بأن من بلغته الدعوة العامة إلى الإسلام وقربت
داره، أو حاول النيل من المسلمين أنه يجوز مباغتته على غرة^(٢) .

٣- أن المستند الذي استند عليه الشيخ الغزالي حفظه الله لم تثبت صحته ، في
أثناء ذكره لسياق حديث غزوة بني المصطلق ، وهو لا يقاوم الحديث الصحيح
المسند المتفق على صحته إن كان صحيحاً فما بالك وهو ضعيف .

٤- ذكر الدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله أنه « لا يمكن معارضة آية قرآنية،
أو حديث صحيح ، برواية من كتب التاريخ والأدب » .

وقال في موطن آخر « ولا شك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب
الاعتماد عليها ، وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة ، وخاصة إذا
أوردتها كتب الحديث الصحيحة ، لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند
تحصيل الحديث ونفذه سنداً ومتمناً . وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث ،
لم تحظ به الكتب التاريخية » .

٣- أحداث الغزوة:

٤٠٨- وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله
ابن أبي بكر ومحمد بن يحيى ابن حبان كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق
قال: « بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن
أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال
له: المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله

(١) فقه السيرة محمد الغزالي ص: ١٠ تحت عنوان حول أحاديث هذا الكتاب .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/٤٤٣ ، شرح معاني الآثار للطحاوي: ٣/٢٠٧-٢١٠ المدونة الكبرى
لمالك: ٢/٢ تحفة الأحوذى: ٥/١٥٥-١٥٦ ، فتح الباري: ٦/١١٢ ، ٧/٣٤٠ ، ٤٤٥ .

بني المصطلق (وقتل الحارث بن أبي ضرار أبا جويرة) ، وقتل من قتل منهم ،
ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً ، قسمه بين المسلمين (وكان
فيما أصاب يومئذ جويرة بنت أبي ضرار سيدة قومها) .

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن
بكر ، يقال له: هشام بن صبابه ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن
الصامت ، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ ، وقد وفد مقيس بن صبابه من
مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال: يا رسول الله جثتك مسلماً ، وجئت أطلب دية
أخي ، قتل خطأ .

فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابه ، فأقام عند رسول الله ﷺ
غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، وأصيب
من بني المصطلق يومئذ ناس ، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكاً وابنه ،
وقتل عبدالرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له: أحمر ، أو أحيمر ^(١) .

وليس بين هذا الحديث وبين حديث ابن عمر في الصحيح تعارض ، فقد جمع
ابن حجر رحمه الله بينهما بقوله: « ويحتمل أن يكون لما دهم المسلمون بني
المصطلق وهم على الماء ثبوا قليلاً وقاتلوا ، ولكن وقعت الغلبة عليهم » ^(٢) .

٤- شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق:

٤٠٩- من حديث سنان بن وبرة قال: « كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة
المريسيع غزوة بني المصطلق فكان شعارهم: « يا منصور أمت أمت » ^(٣) .

(١) ابن هشام في السيرة: ٢٩٠-٢٩٣ ، وسنده صحيح إلى ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث وقال الهيثمي
في المجمع: ١٤٢/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، ومدار الحديث على ابن إسحاق ورجاله ثقات وهم
رجال الصحيح غير أنه مرسل ، ويشهد له حديث عبدالله بن عمر فإنه صريح في وجود القتل والسبي
وبذلك يكون الحديث حسناً لغيره .

(٢) فتح الباري: ٤٣٠-٤٣١/٧ ، في التعليق علي حديث غزوة بني المصطلق في المغازي .

(٣) مجمع الزوائد: ١٤٢/٦ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وإسناده حسن ، وهو كما
قال الهيثمي وإن كان فيه الحارث بن رافع الجهني قال فيه في التقريب مقبول عملاً بقاعدة تحسين الحديث
للمستور إذا كان من التابعين كما هو مذهب ابن كثير وابن رجب رحمهما الله تعالى .

٥- قصة جويرة بنت الحارث وزواج النبي عليه السلام بها :

٤١٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق ، وقعت جويرة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، وكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها .

قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكرهتها وعرفته أنه سيري منها ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت: يا رسول الله أنا جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني ما لم يخف عليك ، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمه له ، فكاتبته على نفسي ، فجتتك أستعينك على كتابتي .

قال: (فهل لك خير من ذلك؟) قالت: وما هو يا رسول الله ؟ قال: (أقضي كتابتك وأتزوجك) ، قالت: نعم يا رسول الله ، قال: (قد فعلت) .

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرة بنت الحارث ، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بيديهم ، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها « ^(١) .

٦- محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين في هذه الغزوة :

٤١١- من حديث جابر بن عبد الله قال: « كنا مع النبي ﷺ في غزوة ، قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق ، فكسع ^(٢) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري: يا للأنصار ، وقال المهاجري: يا للمهاجرين ، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: (ما بال دعوى جاهلية؟) قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال: (دعوها فإنها منتنة) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢٧٧/٦ ، والحاكم: ٢٦/٤ ، وسكت عنه هو والذهبي وأخرجه ابن هشام في السيرة النبوية وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده متصل: ٢٩٤/٢ والطبراني في الكبير: ٦١/٢٤ وقال الساعتي في الفتح الرباني: ١٠٩/١٤ - ١١٠ سنده جيد . أبو داود في كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة: ٣٩٣١ وسنده حسن - وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده متصل .

(٢) كسع: ضرب دبره أخرجه ييد أو رجل أو سيف

فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم أن المهاجرين كثروا بعد ^(١) .

قول زعيم المنافقين (لا تنفقوا على من عند رسول الله ...) ونقل زيد بن أرقم ذلك إلى النبي:

٤١٢- من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: قال: « خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة ، فقال عبدالله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله » .

وقال: « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فأرسل إلى عبدالله بن أبي فسأله ، فاجتهد يمينه ما فعل ، قالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي ما قالوا شدة حتى أنزل الله - عز وجل - تصديقي في قوله: ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ فبعث إلي النبي فقرأ فقال: (إن الله قد صدقك يا زيد) ^(٢) .

كيف عالج رسول الله عليه الصلاة والسلام .

٤١٣- من طريق محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني حديث بني المصطلق وساق الحديث ، وذكر قصة الأنصار والمهاجرين والخصومة بينهما إلى أن قال: (... فغضب عبدالله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب قوله ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴾ رقم: ٤٩٠٥ ، ٤٩٠٧ ، مسلم كتاب البر والأداب والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً رقم: ٢٥٨٤ ، والترمذي في التفسير باب ومن سورة المنافقين حديث رقم: ٣٣١٥ ، وقال حسن صحيح أحمد في المسند: ٣/٣٩٢ - ٣٩٣ ، والطائلي: ٧٦/٢ رقم: ٢٢٧٢ ، والحميدي: ١٢٣٩ ، واللفظ لأحمد .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير سورة المنافقين باب إذا جاءك المنافقون رقم: ٤٩٠٠ ، ٤٩٠١ ، ٤٩٠٢ ، ٤٩٠٣ ، ٤٩٠٤ ، مسلم أول صفات المنافقين رقم: ٢٧٧٢ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة المنافقين حديث رقم: ٣٣١٢ ، وقال حسن صحيح: ٣٣١٣ وقال حسن صحيح: ٣٣١٤ وقال حسن صحيح ، وأحمد في المسند: ٤/٣٦٩ ، ٣٧٣ .

بن أرقم غلام حدث ! فقال: أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حصره من قومه ، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ: (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل) وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ، ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان في قومه شريفاً عظيماً - فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حذباً على ابن أبي بن سلول ، ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال: يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ: (أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟) قال: وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال: (عبدالله بن أبي) ، قال: وما قال؟ قال: (زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال: فأنت يا رسول الله ، والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز ، ثم قال: يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى إنك قد استلبته ملكاً .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدد يومهم ذلك ، حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبي « إلى أن قال: وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه

ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم :
(كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت ^(١) له أنف لو
أمرتها اليوم بقتله لقتلته) .

قال : قال عمر : « قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من
أمري » ^(٢) :

موقف عبدالله بن عبدالله بن أبي من أبيه :

٤١٤- في رواية الترمذي لحديث جابر السابق الذكر عن غزوة بني المصطلق
ومحاولة المنافقين إثارة الفتنة زيادة لطيفة ليست عند البخاري ومسلم حيث قال
الترمذي بعد قول النبي لعمر : (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) ،
وقال غير عمرو (يعني ابن دينار) : فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله : والله لا تنفلت
حتى تقرر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل ^(٣) .

وقد جاء موقف عبدالله بن عبدالله بن أبي من أبيه واستثذانه لرسول الله ﷺ
في أربعة أحاديث كلها منقطعة ، ولكن رجالها ثقات عند الحميدي ^(٤) من طريق
أبي هارون ، وعند الطبراني من طريق عروة بن الزبير ، قال فيه الهيثمي ^(٥) رجاله
رجال الصحيح ، ومن طريق عاصم بن عمر بن قتادة عند ابن جرير الطبري وابن
هشام في السيرة ^(٦) ، ومن طريق عكرمة وابن زيد عند ابن كثير في التفسير
والتاريخ ^(٧) .

ولكن مجموع هذه الطرق يؤيد بعضها بعضاً ، وترتقي إلى درجة الحسن

(١) لأرعدت له أنف : انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصية .

(٢) سيرة ابن هشام : ٢٩٠/٢ - ٢٩٢ والحديث رجاله ثقات ولكنه مرسل ، وابن جرير الطبري في تاريخه :
٦٠٥/٢ ، وله شاهد مرسل من طريق عروة عند ابن أبي حاتم قال فيه ابن حجر ، أنه مرسل جيد
فتح الباري : ٦٤٩/٨ ، وأصله في الصحيحين كما سبق من حديث زيد بن أرقم ، وجابر بن عبدالله
وبهذا يكون الحديث حسناً لغيره .

(٣) سبق تخريجه دون هذه الزيادة من حديث جابر رقم : ٤١١ ، فانظر هناك .

(٤) مسند الحميدي : ٥٢٠/٢ .

(٥) مجمع الزوائد : ٣١٨/٩ .

(٦) سيرة ابن هشام : ٢٩٢-٢٩٣ ، ابن جرير التاريخ : ٦٠٨/٢ تفسير : ١١٦/٢٨ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣٧٢/٤ ، تاريخ البداية والنهاية : ١٥٨/٤ .

لغيره، ويقويها رواية الترمذي السابقة الذكر ، وقد جاء أيضاً ما يقويها من حديث أبي هريرة دون ذكر أنها كانت في غزوة بني المصطلق.

٤١٥- من حديث أبي هريرة قال: « مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطم^(١) فقال: عبر علينا ابن أبي كبشة (يعني بذلك رسول الله) فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله ، والذي أكرمك لئن شئت لأتيناك برأسه ، فقال: (لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته) »^(٢) .

هبوب ريح شديدة لموت عظيم من المنافقين:

٤١٦- من حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان . « أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة بني المصطلق سلك بالناس طريق الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له نفعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة آذتهم ، وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: (لا تخافوها ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدموا المدينة ، وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفأً للمنافقين ، مات في ذلك اليوم...) »^(٣) .

وقد وصله الإمام مسلم ، وعبد بن حميد ، وأحمد من طريق آخر عن جابر دون ذكر أن الريح كانت في غزوة بني المصطلق وسأكتفي هنا بإيراد رواية مسلم.

٤١٧- من حديث جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب ، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: (بعثت هذه الريح لموت منافق ، فلما قدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات)^(٤) .

وبهذا الشاهد يعلم أن حديث ابن إسحاق يصبح حسناً لغيره .

(١) أطم: بناء مرتفع

(٢) قال الهميثي في المجمع: ٣١٨/٩ ، رواه البزار ورجاله ثقات

(٣) سيرة ابن هشام: ٢٩٢/٢ وهو مرسل رجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالتحديث .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صفة المنافقين رقم: ٢٧٨٢ أحمد في المسند: ٣١٥/٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ وأبو يعلى في مسنده: ٢٠١/٤ ، والطبري في تاريخه: ٦٠٧/٢ والبيهقي في الدلائل: ٦١/٤ .

المبحث السادس : حادثة الإفك

٤١٨- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، ^(١) فخرج فيها سهمي ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعد ما أنزل الله الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي ، وأنزل فيها مسيرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه ، وقفل ودنونا من المدينة آذن ^(٢) ليله بالرحيل .»

١- سبب تأخر عائشة عن الجيش:

فقممت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرجل ، فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ^(٣) ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي ^(٤) ، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أنني فيه .

قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً ، لم يُهَبَّلْنَ ^(٥) ، ولم يغشهن اللحم ^(٦) ، إنما يأكلن العلقة ^(٧) من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل ^(٨) الهودج حين رحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الحمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب .

(١) غزوة غزاها: هي غزوة بني المصطلق كما هو في رواية أبي يعلى في مسنده عن عائشة: ٤٥٠/٤ .

(٢) آذن: أعلم

(٣) جزع ظفار: خرز يمانى

(٤) هودج: مركب النساء

(٥) يهبلن: لم يكثر عليهن اللحم والشحم

(٦) يغشهن: يغط اللحم بعضه بعضاً

(٧) العلقة: القليل من الطعام

(٨) في رواية الليث عن يونس (فلم يستنكر القوم خفة الهودج)

فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي ،
 فيينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي
 ثم الذكراني قد عرس^(١) من وراء الجيش فأدلىج^(٢) ، فأصبح عند منزلي ، فرأى
 سواد إنسان نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رأيته ، وقد كان يراني قبل أن يضرب
 الحجاب عليّ ، فاستيقظت باسترجاعه^(٣) حين عرفني ، فخمرت^(٤) وجهي
 بجلبابي ، والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ
 راحلته فوطئ على يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما
 نزلوا موغرين في نحر الظهيرة^(٥) ، فهلك من هلك في شاني ، وكان الذي تولى
 كبره عبدالله بن أبي بن سلول .

٢- انتشار الإفك في المدينة:

فقدمنا المدينة ، فاشتكت حين قدمنا المدينة شهراً ، والناس يفيضون^(٦) في
 قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريني^(٧) في وجعي أنني لا
 أعرف من رسول الله ﷺ اللطف^(٨) الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما
 يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم ؟

فذاك يريني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت^(٩) ، وخرجت
 معي أم مسطح قبل المناصع^(١٠) وهو متبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك
 قبل أن نتخذ الكنف^(١١) قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه^(١٢) ، وكنا

(١) عرس: التعريس هو نزول المسافر آخر الليل نزله للنوم والاستراحة

(٢) أدلىج: سار آخر الليل

(٣) الاسترجاع: قوله إنا لله وإنا إليه راجعون

(٤) خمرت: غطيت

(٥) موغرين: النازل في وقت الوغرة وهو شدة الحر .

(٦) يفيضون: يخوضون

(٧) يريني: أوهمه وشكله

(٨) اللطف: البر والرفق

(٩) نقهت: برأت وافقت

(١٠) المناصع: مواضع قضاء الحاجة .

(١١) الكنف: جمع كنيف المكان الساتر المعد لقضاء الحاجة .

نتأذى ^(١) بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، فاقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا .

فعثرت أم مسطح في مرطها ^(٢) . فقالت: تعس ^(٣) مسطح ، فقلت لها: أتسبين رجلاً قد شهد بدرًا؟!

قالت: أي هتاه ^(٤) ؟ ألم تسمعي ما قال ؟ قلت: وماذا قال قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، فدخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: (كيف تيكمن ؟) قلت: أئاذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي ، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس ، فقالت: يا بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة ^(٥) ، عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن ^(٦) عليها ، قالت: قلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي .

٣- استشارة رسول الله ﷺ بعض أصحابه عند تأخر الوحي

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك في

(١٢) التزه: البعد لقضاء الحاجة

(١) تتأذى: تنقذر

(٢) عثرت في مرطها: وطته برجلها فسقطت .

(٣) تعس: إذا عثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك

(٤) هتاه: يا بلهاء كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس وشروهم

(٥) وضيئة: حسنة مبهجة جميلة .

(٦) كثرن عليها: القول في عيبها .

النساء كثيراً ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: (أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟) .

قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه ^(١) عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن ^(٢) فتأكله ، قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر ^(٣) من عبدالله بن أبي بن سلول .

قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي) فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

٤- آثار فتنة الإفك:

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن اجتهلته الحمية ، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكوا ، وسكت .

قالت وبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فائق كبدي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي ، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل .

(١) أغمصه: أعيها به وأطعن فيها به

(٢) الداجن: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم .

(٣) استعذر أي قال من يقوم بعذري إن كافاته على سوء صنيعه فلا يلومني .

٥- مفاتحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعائشة وجوابها له :

وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء ، قالت : فشهد رسول الله ﷺ ثم قال : (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ^(١) . فإن كنت بريئة فسيرتك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه) .

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي ^(٢) حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، فقال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأبي : أجيبني عني رسول الله ﷺ ، فقالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

فقلت : وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم ، وصدقتم به ، فإن قلت لكم : إني بريئة - والله يعلم أنني بريئة - لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني بريئة - لتصدقوني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

قالت : ثم تحولت فاضجعت على فراشي ، قالت : وأنا والله حيثذا أعلم أنني بريئة ، وأن الله مبرئي ببرائتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله - عز وجل - فيّ بأمر يتلى ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

٦- نزول الوحي ببراءة عائشة

قالت : فوالله ما رام ^(٣) رسول الله ﷺ مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله - عز وجل - على نبيه ﷺ ، فأخذه ما كان يأخذه من

(١) كذا وكذا: كناية عما رميت به من الإفك

(٢) قلص دمعي: ارتفع وذهب

(٣) ما رام: ما برح وما فارق مجلسه .

البرحاء ^(١) عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان ^(٢) من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت: فلما سرى ^(٣) عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: (أبشري يا عائشة ، أما الله فقد براك) فقالت لي أُمي: قومي إليه ، فقلت: والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله هو الذي برأني . قالت: فأنزل الله - عز وجل - ﴿ إِن الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكَ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ عشر آيات فأنزل الله - عز وجل - هؤلاء الآيات ببراءتي ، قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقربته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى ﴾ ... إلى قوله ﴿ أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ .

قال حبان بن موسى: قال عبدالله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله .

« فقال أبو بكر: والله إنني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري (ما علمت ؟ وما رأيت ؟) فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، ^(٤) والله ما علمت إلا خيراً .

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني ^(٥) من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع. وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك ، قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط ^(٦) . وهذا اللفظ لمسلم .

(١) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي .

(٢) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار

(٣) سرى: انكشف عنه ما يجده من الهم والقتل

(٤) أحمي سمعي وبصري: أي أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه ، ومن العذاب لو كذبت عليهما

(٥) تساميني: تعاليني وتفاخرني تطاولني عنده ﷺ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب حديث الأفك رقم: ٤١٤١ ، مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم: ٢٧٧٠ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة النور حديث رقم: ٣١٨٠ ، وأبو يعلى في مسنده: ٤٣٩٧ ، ٤٩٢٧ ، أحمد في المسند: ٥٩/٦ ، وانظر الفتح الرباني: ٧٣/٢١ - ٧٥ وعبدالرزاق في المصنف: ٤١٠/٥ - ٤١٩ .

٧- الذي تولى كبر الإفك

٤١٩- من حديث عائشة: قالت: « وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبدالله بن أبي ، وهو الذي كان يستوشيه ^(١) وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة ^(٢) » .

٨- إقامة الحد على القاذفين:

٤٢٠- من حديث عائشة قالت: « لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ^(٣) » .

٤٢١- من حديث أبي هريرة قال: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأصاب عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق ... » الحديث ^(٤) .

وفيه « وكان رسول الله ﷺ يجيء فيقوم على الباب فيقول: (كيف تيكمن ؟) حتى جاء يوماً فقال: (أبشري يا عائشة فقد أنزل الله عذرک ، فقالت: بحمد الله لا بحمدك ، وأنزل الله - عز وجل - في ذلك عشر آيات ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ قال: فحد رسول الله ﷺ مسطحاً وحمنة وحسان » .

وكذا جاء من حديث عائشة عن ابن إسحاق في السيرة وسنده في ذلك صحيح، وقد صرح بالتحديث كما جاء في سيرة ابن هشام ^(٥) .

٩- موقف صفوان بن المعطل من حسان بن ثابت

٤٢٢- قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن ثابت ابن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع

(١) يستوشيه: يستخرجه الحديث .. والسؤال والبحث عنه .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة النور باب قوله ﴿ أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾ رقم: ٤٧٥٧ ، مسلم في كتاب التوبة باب حديث الإفك رقم: ٢٧٧٠ الترمذي تفسير سورة النور حديث رقم: ٣١٨٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة النور حديث رقم: ٣١٨١ وقال حسن غريب ابن ماجه كتاب الحدود باب حد القذف حديث رقم: ٢٧٦٥ ، أبو داود حديث رقم: مصنف عبدالرزاق: ١٩/٥ ، وأحمد: ٦١/٦ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٢٣٠/٩ . رواه البزار وفيه محمد بن عمرو حسن الحديث وبقيته رجاله ثقات .

(٥) سيرة ابن هشام: ٢٩٧/٢ - ٣٠٠ .

يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج: فلقيه عبدالله بن رواحة فقال: ما هذا ؟

قال: أما أعجبتك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتلتته ، قال له عبدالله بن رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟

قال: لا والله ، قال: لقد اجتراءت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل: يا رسول الله آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربتته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان: (أحسن يا حسان ، أتشوفت على قومي ، أن هداهم الله للإسلام) ، ثم قال: (أحسن يا حسان في الذي أصابك) قال: هي لك يا رسول الله « ^(١) .

(١) سيرة ابن هشام: ٣٠٥/٢ ، ابن جرير: ٦١٨/٢ البيهقي في الدلائل: ٧٤/٤ - ٧٥ وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة: ص ١٢٨ سنده صحيح وقد وصلها موسى بن عقبة في مغازيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وانظر مجمع الزوائد: ٢٣٤/٩ - ٢٣٦ . وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

الفصل السادس

غزوة الأحزاب

المبحث الأول: أحداث ما قبل المعركة

١- وقت الغزوة وسببها:

اختلف في وقتها وتاريخها على قولين أحدهما قول ابن إسحاق أنها في سنة خمس:

٤٢٣- عن محمد بن إسحاق قال: كانت الخندق في شوال سنة خمس وفيها مات سعد بن معاذ رضي الله عنه ^(١) قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين إذ لا خلاف أن أحداً كانت في شوال سنة ثلاث ، وواعد المشركون رسول الله ﷺ في العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه ، لأجل جذب تلك السنة ، فرجعوا ، فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه ، هذا قول أهل السير والمغازي ^(٢) .

وذهب إلى هذا القول ابن سعد في الطبقات ، والبيهقي في السنن وقطع به الذهبي ، واعتمده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، وأبي عبيد في كتاب الأموال ^(٣) .

وقال ابن كثير: « وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً ، وقد صرح الزهري بأن الخندق قد كانت بعد أحد بستين ،

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٤٢/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، سيرة ابن هشام: ٢١٤/٢ .

(٢) زاد المعاد: ٢٦٩/٣ .

(٣) السيرة النبوية ابن هشام: ٢١٤/٢ ، طبقات ابن سعد: ٦٥/٢ ، المغازي النبوية ص: ٧٩ ، كتاب الأموال ص: ٢٣٥ ، فتح الباري: ٣٩٣/٧ ، المغازي باب غزوة الخندق، دلائل النبوة للبيهقي: ٣٩٣/٣-٣٩٧ .

ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث « (١) .

والقول الآخر: أنها كانت في شوال سنة أربع للهجرة ، قال بذلك موسى بن عقبة في مغازيه ، وتابعه على ذلك مالك بن أنس ، ومال البخاري إلى ذلك ، وقد رد ابن حجر في فتح الباري على القائلين بهذا القول ، وبين ضعفه ، وبأنه غير معتمد ، وناقش ذلك حجة بحجة ودليلاً بدليل فانظره (٢) .

٤٢٤- قال ابن إسحاق حدثنا يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير عن عبدالله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق قالوا:

« إنه كان الذين حزبوا الأحزاب نفراً من اليهود ، وكان منهم سلام بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، فلما قدموا على قريش ، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله .

ف قالت لهم قريش: يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن نجد له نصيراً ﴾ (٣) (٤) .

(١) سيرة ابن كثير: ١٨٠/٣ وانظر الرد على القائلين بغير القول عند ابن إسحاق .

(٢) فتح الباري: ٣٩٣/٧ ، المغازي باب غزوة الخندق وهو غزوة الأحزاب .

(٣) الآيات من سورة النساء: ٥٤-٥١ .

(٤) السيرة النبوية ابن هشام: ٢١٤-٢١٥ بإسناده ورجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ولكنه مرسل ، وقد وصله السيوطي من رواية ابن إسحاق عن ابن عباس في لباب النقول لأسباب النزول ص: ١٧ ، رواه الطبراني في الكبير: ٢٥١/١١ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/٧ وفيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح .

٢- حصر الخندق :

٤٢٥- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة) فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
وفي لفظ آخر قال: « جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً
قال يقول النبي ﷺ وهو يجيهم (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة) قال: يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة^(١) سنخ توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن^(٢).

٤٢٦- من حديث البراء بن عازب قال: « لما كان يوم الأحزاب ، وخندق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق ، حتى وارى عني التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
قال: ثم يمد صوته بآخرها «^(٣).

(١) الإهالة: الدهن الذي يؤتمد به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحماً .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤٠٩٩-٤١٠٠ ، مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهي الخندق حديث رقم: ١٨٠٥ ، الفتح الرباني: ٧٧/٢١ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١٠٦ ، ٤١٠٤ ، مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم: ١٨٠٣ ، الفتح الرباني: ٧٧/٢١ ، وكذلك جاء شبيهاً بالحديثين من حديث سهل بن سعد الساعدي عند البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤٠٩٨ ، ومسلم رقم: ١٨٠٤ .

٣- معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب

أ - إيصاره قصور الملوك وإعطاؤه مفاتيح ملكهم:

٤٢٧- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكننا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال: (بسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية ، فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض ، ثم ضرب الثالثة ، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة) »^(١) .

ب - تكثيره الطعام:

٤٢٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « احتضر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: (هل دلتهم على أحد يطعمنا أكلة) قال رجل: نعم ، قال: (أما لا فتقدم فدلنا عليه) . فانطلقوا إلى رجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه فيه ، فأرسلت إليه امرأته أن جئ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسعى .

فقال: بأبي وأمي ، وله معزة وجديها فوثب إليها ، فقال النبي ﷺ: (الجدي من ورائنا) فذبح الجدي ، وعمدت امرأته إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت ،

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٠٣/٤ والنسائي في الجهاد باب غزوة الترك: ٤٣/٦ - ٤٤ ، والبيهقي في الدلائل: ٤١٧/٣ - ٤١٨ ، وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٣٩٧/٧ ، حيث قال ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن عن البراء فذكر الحديث وقال الهيثمي في المجمع: ١٣٠/٦ - ١٣١ رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبدالله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات . وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند الطبراني كما قال الهيثمي في المجمع: ١٣١/٦ - ١٣٢ ، سنورد تخريجه في الحديث التالي برقم: ٤٢٨ ، ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال الهيثمي في المجمع: ١٣١/٦ ، رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبدالله وثقه ابن معين وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث جابر في الصحيحين سيأتي ذكره وبهذا يكون الحديث كما قال الحافظ أو أكثر .

وأدركت وتردت ، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع النبي ﷺ أصبعه فيها فقال: (بسم الله ، اللهم بارك فيها ، اللهم بارك فيها اطعموا) فاكلوا منه حتى صدروا ، ولم ياكلوا إلا ثلثها وبقي ثلثاها ، فسرّح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا ، وسرحوا إلينا نغديكم ، فذهبوا وجاء أولئك العشرة مكانه ، فاكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت وسمّت عليها وعلى أهلها ، ثم مشوا إلى الخندق فقالوا: اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال النبي لأصحابه: (دعوني فأكون أول من ضربها فقال: بسم الله) فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال: (الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة) ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال: (الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة) ، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق وهو يعدنا قصور فارس والروم^(١) .

٤٢٩- من حديث جابر رضي الله عنه قال: « لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً^(٢) فانكفات^(٣) إلى امرأتي ، فقلت لها: هل عندك شيء ؟ فلماني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً ، فأخرجت لي جراباً^(٤) فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة^(٥) داجن^(٦) ، قال: فذبحتها وطحنت ، ففرغت إلى فراغي ، فقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ . فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه ، قال: فجئت فساررته ، فقلت: يا رسول الله ! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت في نفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ وقال: (يا أهل الخندق ! إن جابراً قد صنع لكم سوراً^(٧) فحيهلا بكم) .

وقال رسول الله ﷺ: (لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجيتكم ، حتى أجيء) فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس ، حتى جئت امرأتي . فقالت: بك

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٣١/٦ - ١٣٢ رواه الطبراني ورجال رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد ابن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان .

(٢) خمصاً: خلاء البطن من الطعام .

(٣) انكفات: فرجعت وانقلبت .

(٤) الجراب: الوعاء من الجلد .

(٥) البهيمة: السخلة الصغيرة من ولاد المعز .

(٦) داجن: ما ألف البيوت .

(٧) السور: الطعام الذي يدعى إليه .

وبك^(١) ، فقلت: قد فعلت الذي قلت لي . فأخرجت له عجيتنا فبصق فيها وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك ، ثم قال: (ادعي خابزة فلتخبز معك ، واقدحي في برمتكم^(٢) ولا تنزلوها) وهم ألف . فأقسم بالله إلا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا^(٣) ، وإن برمتنا لتغط^(٤) كما هي ، وإن عجيتنا - أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو^(٥) .

٤- منزل المشركين في الخندق:

٤٣٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾ قالت: كان ذاك يوم الخندق^(٦) .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه كما قال الحافظ في الفتح تفسير آخر قال: ﴿ وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ﴾ إذ جاءوكم من فوقكم ﴿ قال: عينة بن حصن ﴾ ومن أسفل منكم ﴿ أبو سفيان بن حرب^(٧) .

وقد بين ابن إسحاق بسنده الذي ذكره في بداية غزوة الخندق ورجاله ثقات ، وقد صرح هو بالتحديث ، لكن الحديث مرسل ولذا فإنه يستأنس به لتحديد الموقع الذي نزل فيه المشركون قال: ﴿ نزلت قریش بمجمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامه ، ونزل عينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بياض نعمان ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف ، والخندق بينهم وبين القوم ، وجعل

(١) بك وبك: ذمته ودعت عليه .

(٢) اقدحي في برمتكم: أي اغرفي .

(٣) تركوا ، وانحرفوا: شبعوا وانصرفوا .

(٤) لتغط: تغلي ويسمع غليانها .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١٠٢ و رقم: ٤١٠١ ، مسلم في صحيحه كتاب الأشربة باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه حديث رقم: ٢٠٣٩ ، الفتح الرباني: ٦٠/٢٢ ، والحاكم في المستدرک: ٣١-٣٠/٣ ، وأحمد في المسند: ٣٠/٣ مختصراً والدارمي في المقدمة باب ما أكرم به النبي في بركة طعامه: ١٩/١ - ٢١ والطبراني في الاحاديث الطوال برقم: ٥١ ، ٣٠٢/٢٥ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١٠٣ .

(٧) فتح الباري على صحيح البخاري في التعليق على الحديث السابق: ٤٤٠/٧ .

النساء والذاري في الأظام» ^(١) .

وقد جاء تحديد موضع الخندق من حديث عمرو بن عوف المزني: « أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حرب الأحزاب ، حتى بلغ المداحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً » ^(٢) .

والحديث يستأنس به في هذا الموطن لأنه ليس فيه إثبات حكم شرعي أو غير ذلك ، وإنما هو تحديد مكان تاريخي ألا وهو مكان الخندق .

٥- شعار المسلمين يوم الخندق :

٤٣١- عن المهلب بن أبي صفرة قال: سمعت من يحدث عن النبي ﷺ قال: « وهو يخاف أن يبيته أبو سفيان فقال: (إن يتم فادعوا حم لا ينصرون) » ^(٣) .

(١) انظر تخريج السند أولاً في حديث رقم: ٤٢٤ والحديث في السيرة لابن هشام: ٣١٦-٣١٥/٢ . وانظر فتح الباري: ٤٠٠/٧ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ١٣٠/٦ ، رواه الطبراني وفيه كثير بن عبدالله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه وبقي رجال ثقات .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٦٥/٤ ، ٢٨٩ ، ٣٧٧/٥ ، الترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في الشعار حديث رقم: ١٦٨٢ ، أبو داود في الجهاد باب في الرجل ينادي بالشعار وصححه الحاكم: ١٠٧/٢ ، وقد وصله من حديث البراء حيث قال في هذه الرواية: صحيح الإسناد على شرط الشيخين إلا أنه فيه إرسال فإذا الرجل الذي لم يسمه المهلب بن أبي صفرة البراء بن عازب « وقد أخرجه الحاكم أيضاً في نفس الصفحة عن البراء بن عازب بإسناد المهلب وصرح فيه باسم البراء .

المبحث الثاني: من مشاهد المعركة

١- رجل المهمات الصعبة:

٤٣٢- من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: « لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم^(١) الذي فيه نساء رسول الله ﷺ ، أطم حسان ، فكان يرفعني وأرفعه ، فإذا رفعني عرفت أبي حين يمر إلى بني قريظة ، وكان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق فقال: (من يأتي بني قريظة فيقاتلهم؟) فقلت له حين رجع: يا أبت تالله إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهباً إلى بني قريظة فقال: « يا بني أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لي أبويه جميعاً يفديني بهما ، يقول: (فذاك أبي وأمي) »^(٢) .

٤٣٣- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال: « اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يأتينا بخبر بني قريظة ؟ فانطلق الزبير فجاء بخبرهم ، ثم اشتد الأمر أيضاً فذكر ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي حوارٍ والزبير حوارٍ) »^(٣) .

٢- إشغال المشركين المسلمين عن الصلاة:

لقد ضيق أهل الكفر حصارهم على رسول الله وأصحابه في المدينة المنورة يوم الخندق حتى شغلوهم عن الصلاة ، واستبسل الصحابة وأبدوا من ضروب الشجاعة الشيء الكثير أيضاً ، وقد جاءت قصة إشغال المشركين النبي وأصحابه عن الصلاة من رواية عدة من الصحابة ، وأجمع الروايات ما ثبت من:

٤٣٤- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « حبسنا يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد المغرب ، وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل » وفي رواية - قبل أن ينزل صلاة الخوف فرجالاً أو ركباناً « فلما كفينا القتال وذلك قوله:

(١) الأطم: بناء مرتفع كالحصن .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الصحابة باب مناقب الزبير رقم: ٣٧٢٠ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير رقم: ٢٤١٦ ، أحمد في المسند: ١٦٦، ١٦٤/١ .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب الزبير رقم: ٣٧١٩ ، مسلم في الفضائل باب فضائل طلحة والزبير حديث رقم: ٢٤١٥ ، الترمذي في المناقب باب مناقب الزبير: ٣٧٤٥ ، ابن ماجه في المقدمة باب فضائل الزبير: ١٢٢ ، الحميدي رقم: ١٢٣١ ، أحمد في المسند: ٣٦٥، ٣٣٨، ٣١٤، ٣٠٧/٣ .

﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ أمر النبي ﷺ بلالاً فأقام الظهر فصلها كما يصلها في وقتها « (١) .

٤٣٥- من حديث علي كرم الله وجهه: « عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق: (ملا الله عليهم ييوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس) (٢) .

٤٣٦- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « إن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ: (والله ما صليتها) ، فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان ، فتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب » (٣) .

٣- مفاوضة الرسول زعيم بني غطفان لتخفيف الحصار

٤٣٧- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد شاطرنا تمر المدينة فقال ﷺ: (حتى أستأمر السعد) فبعث إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، وسعد بن مسعود ، وسعد بن خيثمة ، فقال: (إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث سألكم أن تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في

(١) أخرجه النسائي في كتاب الأذان باب الأذان للفات من الصلوات: ١٧/٢ ، أحمد في المسند: ٢٥/٣ ، ٤٩ ، ٦٧ ، البيهقي في السنن: ٤٠٢/١ ، والشافعي في الأم: ٧٥/١ ، الدرر في السنن: ٣٥٨/١ وصححه ابن حبان: ٢٨٥ ، وغير ابن حبان وإسناده صحيح ، وقال ابن سيد الناس (هذا إسناد صحيح جليل) ، ورواه الطيالسي برقم: ٢٢٣١ ، وصححه ابن السكن كما قال ابن حجر في التلخيص ص: ٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١١١ ، مسلم في المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر رقم: ٦٢٧ ، أبو داود في الصلاة باب في وقت الصلاة حديث رقم: ٤٠٩ ، النسائي كتاب الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر: ٢٣٦/١ ، ابن ماجه في الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر حديث رقم: ٦٨٤ ، أحمد: ١٧٩/١ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١١٢ ، مسلم في المساجد باب الدليل لمن قال أن الصلاة الوسطى صلاة العصر حديث رقم: ٦٣١ ، الترمذي الصلاة باب في الرجل إذا فاتته الصلوات بأيمن يبدأ رقم: ١٨٠ ، وقد جاء شبيهاً بما سبق من حديث ابن مسعود عند مسلم برقم: ٦٢٨ المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر ، الترمذي الصلاة باب ما جاء في الرجل تفوته الصلوات بأيمن يبدأ رقم: ١٧٩ ، ابن ماجه الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر رقم: ٦٨٦ ، أحمد في المسند: ٤٠٤/١ ، ٤٥٦ .

أمركم بعد) فقالوا: يا رسول الله أوحى من السماء ، فالتسلیم لأمر الله أو عن رأيك وهوأك فرأینا نتبع هواك ورأيك ، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ، ما ينالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى ، فقال رسول الله ﷺ : (هوذا تسمعون ما يقولون) ، قالوا: غدرت يا محمد ، فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا جار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدر
وأمانة المري حين لقيتها كسر الزجاجة صدعها لا يجبر
إن تغدروا فالغدر من عاداتكم واللؤم يثبت في أصول السخبر^(١)

٤- قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبدود العامري .

٤٣٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله ﷺ حتى أعطوه الدية ، وقتل من بني عامر بن لؤي عمرو بن عبدود ، قتله علي بن أبي طالب مبارزة »^(٢) .

وقد جاءت قصة مبارزة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمرو بن عبدود العامري مفصلة عند ابن إسحاق في السيرة مستقصاة ومستوفاة ، إلا أنها مرسلّة ، ولم يصل بها ابن إسحاق إلى صحابي روى هذا الحديث ، ولذلك لم أورد التفاصيل هنا ، واقتصرت على ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه ، من أن قاتل عمرو بن عبدود العامري هو علي بن أبي طالب كما مر في الحديث السابق، الذي أوردناه .

هذا ما وصلت إليه بعد بذل الجهد فقد بحثت عن إسناد لهذا الحديث مفصلاً فلم أصل إلى ذلك ، فاقصرت على ما مضى ، والله تعالى أعلم ، فليس كل ما أورده أهل السير وأخذ مأخذ المسلمات ثبت عند أهل الحديث والمحدثين ، فاعلم هذا أخي القاريء بارك الله فيك .

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم: ١٨٠٣ وقال الهيثمي في المجمع: ١٣٢/٦ رواه البزار والطبراني ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقيّة رجاله ثقات ، والسخير: شجر تألفه الحيات فتسكن في أصوله .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٢/٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقد جاء أيضاً من حديث ابن شهاب الزهري وهو مرسل عند الحاكم: ٣٢/٣ وقال إسناد هذا المغازي صحيح على شرط الشيخين ، قد أورد الآثار عن ابن إسحاق الحاكم: ٣٤-٢٣/٣ ، فانظر هناك ان أحبت الاستزادة .

٥- سعد بن أبي وقاص يرمي رجلاً فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣٩- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « لما كان يوم الخندق ورجل يتترس جعل يقول بالترس هكذا ، فوضعه فوق أنفه ، ثم يقول هكذا يسفله ، بعد قال: فاهويت إلى كنانتي ، فاخرجت منها سهماً مدمى ، فوضعت في كبد القوس ، فلما قال هكذا تسفل الترس رميت ، فما نسيت وقع القدح على كذا وكذا من الترس ، مال وسقط فقال برجله هكذا ، فضحك نبي الله ﷺ أحسبه قال حتى بدت نواجزه ، قال قالت: لم فعل ، قال كفعل الرجل^(١) .

٦- إصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه :

٤٤٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « خرجت يوم الخندق أقفوا آثار الناس قالت: فسمعت وثيد^(٢) الأرض ورائي يعني حس الأرض ، قالت: فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة^(٣) قالت: فجلست إلى الأرض ، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فانا أتخوف على أطراف سعد ، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول:

لبث قليلاً يدرك الهيجا جمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فقممت فافتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة يعني له مغفراً^(٤) .

فقال عمر: ما جاء بك، لعمرى والله إنك لجريرة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٣٥/٦ ، رواه أحمد والبخاري إلا أنه قال كان رجل معه ترسان وكان سعد رامياً فكان يقول كذا وكذا بالترسين يغطي جبهته فتزع له سعد بسهم فلما رفع رأسه رماه فلم يخط هذه منه يعني جبهته والباقي بنحوه ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن محمد بن الأسود وهو ثقة ، وانظر كشف الاستار: ١٨٠٨ .

(٢) وثيد: صوت شدة الوطاء على الأرض يسمع كالدوي من بعد.

(٣) المجنة: الترس

(٤) مغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد .

أو يكون تحوز^(١) ، قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها، قالت: فرفع الرجل السبغة عن وجهه ، فإذا طلحة بن عبيدالله ، فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم: وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل ، قالت: ويرمي سعداً رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له: « خذها وأنا ابن العرقة » فأصاب أكحله^(٢) فقطعه فدعا الله - عز وجل - سعد فقال: « اللهم لا تمنني حتى تفر عيني من قريظة » ، قالت: وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية ، قالت: فرقى كلمه^(٣) وبعث الله - عز وجل - الريح على المشركين فكفى الله - عز وجل - المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد^(٤) .

٧- محاولة فاشلة عند حصون النساء :

٤٤١- من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: « لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة ، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه ، وقال: (إن ألم بكن أحد فالمن بالسيف) فجاءهن رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له نجدان أحد بني حشاش على فرس ، حتى كان في أصل الحصن ثم جعل يقول للنساء: انزلن إلي خير لكن ، فحركن السيف فأبصره أصحاب رسول الله ﷺ ، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني الحارثة يقال له: ظهير بن رافع ، فقال: يا نجدان ابرز ، فبرز إليه ، فحمل على فرسه ، فقتله وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ »^(٥) .

٤٤٢- من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: « دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال:

(اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم

(١) تحوز: حرب أو أسر .

(٢) الأكحل: عرق في وسط الذراع في كل عضو منه شعبة إذا قطع لم يرق الدم

(٣) الكلم: الجرح والكليم: الجريح .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ١٣٦/٦ رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقي رجاله ثقات ، وقال الساعتي في الفتح الرباني: ٨٣٨١/٢١ أورده الحافظ ابن كثير في تاريخه ثم قال هذا الحديث إسناده جيد ، وله شواهد من وجوه كثير سيرة ابن كثير: ٢٣٨/٣ .

(٥) قال الهيثمي في المجمع: ١٣٣/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وزلزلهم) ^(١) .

٤٤٣- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كان يقول: (لا إله إلا الله وحده ، أعز جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده) ^(٢) .

٨ - عدم صحة ما يروى من جبن حسان:

من حديث ابن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه قال: « كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارغ ، حصن حسان بن ثابت ، وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان حين خندق النبي ﷺ ، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة أو قطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ ، والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آت ، فقلت لحسان بن ثابت إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى ، ولا آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقته .

فقال: يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ، قالت صفية: فلما قال ذلك ، احتجزت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه ، فضرته بالعمود حتى قتله ، ثم رجعت إلى الحصن ، فقلت يا حسان أنزل فاستلبه ، فإنه لم يمنعني أن أستلبه إلا أنه رجل ، فقال: مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبدالمطلب ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١١٥ مسلم في الجهاد والسير استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو حديث رقم: ٢١/١٧٤٢ ، الترمذي كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في الدعاء عند القتال: ١٦٧٨ ، أبو داود الجهاد باب في كراهية تمحي لقاء العدو رقم: ٢٦٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١١٤ مسلم في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل حديث رقم: ٢٧٢٤ .

(٣) ابن هشام في السيرة: ٢٢٨/٢ ، وقد جاء من طريق الزبير بن العوام وقال الهيثمي في المجمع: ١٣٣/٦- ١٣٤ ، وقال: رواه البزار وأبو يعلى باختصار وإسنادهما ضعيف ، ومن حديث عروة وقال: ١٣٤/٦ ، رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ، ولكنه مرسل فالحديث ضعيف .

وهذا الخبر لا يصح لأميرين :

الأول: من حيث الإسناد ، فالخبر ليس مسنداً ، وقد علمنا علماؤنا أنه لا يؤخذ من الأخبار إلا إذا كان له إسناد ، ولا يؤخذ الخبر المسند إلا إذا كان إسناده صحيحاً .

وهذا الخبر ساقط لا يصح ولا يجوز أن يروى ، فيساء إلى صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ، كان ينافح عن الدعوة الإسلامية ، وعن رسول الله ﷺ عمره كله .

الثاني: لو كان حسان بن ثابت رضي الله عنه معروفاً بالجن الذي ذكر عنه لهجاء أعدائه ومبغضوه بهذه الخصلة الذميمة لا سيما الذين كان يهاجهم ، فلم يسلم من هجائه أحد من زعماء الجاهلية «

والرسول ﷺ كان يؤيده ويدعو له ، ويشجعه على هجاء زعماء المشركين ^(١) .

٩- تحسس الأخبار عن المشركين

٤٤٤- من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: فعن محمد بن كعب القرظي قال: « قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيت رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال: نعم يا ابن أخي ، قال: فكيف كنتم تصنعون ؟ قال: والله لقد كنا نجهد ^(٢) .

قال: والله لو أدركنا ما تركناه يمشي على الأرض ، ولجعلناه على أعناقنا ، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويماً ^(٣) ، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع ، أدخله الله الجنة) ، فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هويماً ، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة ،

(١) غزوة الأحزاب الدكتور أبو فارس ص: ١٩٧-١٩٨ .

(٢) نجهد: في مشقة شديدة .

(٣) هويماً: الحين الطويل من الزمان .

أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة) ، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ،
وشدة الجوع ، وشدة البرد .

فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد في القيام حين دعاني
فقال : (يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى
تأتينا) ، قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل ،
لا تقر لهم قدر ، ولا نار ، ولا بناء ، فقام أبو سفيان بن حرب فقال : يا
معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه ، فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي
جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر
قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع^(١) وأخلفتنا بنو قريظة ،
بلغنا منهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ،
ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فلإني مرتحل ، ثم قام إلى
جمله وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث ، فما أطلق عقله ،
إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته
بهم .

قال حذيفة ، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط^(٢)
لبعض نسائه مرجل^(٣) ، فلما رأيته أدخلني إلى رحله ، وطرح عليه طرف المرط ،
ثم ركع وسجد وإنه لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت
قريش وانشمروا إلى بلادهم .

هذا اللفظ لأحمد وفي لفظ مسلم بعض الزيادة أذكرها هنا لا اكتمال المعنى
والفائدة فبعد أن ذكر حذيفة استنфар الرسول عليه السلام للصحابه ثلاثاً ثم قوله قم
يا حذيفة قال : (... فمضيت كأنما أمشي في حمام^(٤) حتى أتيتهم ، فإذا أبو
سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي^(٥) وأردت أن أرميه ، ثم
ذكرت قول رسول الله ﷺ : (لا تدعهم علي) ولو رميته لأصيبته ، قال :

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .

(٢) مرط : كساء من صوف أو خز يؤتز به وتلفع به المرأة .

(٣) مرجل : فيه خطوط وأرقام .

(٤) كأنما أمشي في حمام : أي أنه لم يجد من البرد ما يجد الناس .

(٥) كبد القوس : مقبضه .

فرجعت كأنما أمشي في مثل الحمام ، فأتيت رسول الله ﷺ ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت ^(١) . فاخبرت رسول الله ﷺ فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت ، قال رسول الله ﷺ : قم يا نومان) ^(٢) .

١٠- نصر الله رسوله بريح الصبا

٤٤٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « أتت الصبا الشمال ليلة الأحزاب ، فقالت : مري حتى نصر رسول الله ﷺ ، فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري بالليل ، فكانت الريح التي نصر بها رسول الله ﷺ الصبا » ^(٣) .

٤٤٦- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (نصرت بالصبا ، وأهلك عاد بالذبور) ^(٤) .

١١- تحول ميزان القوة بعد معركة الأحزاب :

٤٤٧- من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول حين جلى الأحزاب عنه : (الآن نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير إليهم) ^(٥) .

٤٤٨- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جمعوا كثيراً فقال : رسول الله ﷺ : (لا

(١) قررت : بردت .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٣٩٢/٥ - ٣٩٣ ، مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم : ١٧٨٨ ، الحاكم في المستدرک : ٣١/٣ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن : ١٥٩/٩ والدلائل : ٤٤٩-٤٥٤/٣ ، وأبو نعيم في الدلائل : ٥٠٠-٥٠١/٢ ، وقد جاء في المطالب العالية برقم : ٤٣٢٩ ، ونسبه إلى أبي بكر بن أبي شيبة وحسن إسناده ، وقال الهيثمي : ١٣٦/٦ ورواه البزار ورجاله ثقات ، وقال البوصيري : رواه ابن أبي شيبة والبزار وأصله في الصحيح وفي هذا زيادة ظاهرة ، قلت : وفي لفظه اختلاف عما في الصحيح فاللقد ما في الصحيح والله أعلم .

(٣) قال الهيثمي في المجمع : ١٣٤٩/٦ - ١٤٠ : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، كشف الاستار : ١٨١١ وقال البزار : رواه جماعة عن داود عن عكرمة مرسلاً ، ولا نعلم أحداً وصله لإحفظ ورجل من أهل البصرة وكان ثقة يقال له : خلف بن عمرو .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا حديث رقم : ١٠٣٥ ، مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء باب في ريح الصبا والذبور حديث رقم : ٩٠٠ ، وقد جاء من حديث أنس عند الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات كما قال الهيثمي : ٦٥/٦ .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم : ٤١٠٩ ، ٤١١٠ ، وأحمد : ٢٦٢/٤ .

يفزركم بعدها أبداً ولكن نفزركم (١)

١٢- وضع النبي صلى الله عليه وسلم السلاح بعد رحيل المشركين:

٤٤٩- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لما رجع النبي ﷺ من طلب الأحزاب ، فنزل المدينة وضع لامته ، واغتسل ، واستجمر » (٢).

١٣- من استشهد من المسلمين يوم الخندق .

٤٥٠ - من حديث ابن شهاب الزهري قال: « استشهد يوم الخندق من الأنصار أنس بن معاذ بن أوس بن عبد عمرو ، ومن الأنصار ثم من بني سلمة: ثعلبة بن عثمة » (٣).

(١) كشف الأستار: ١٨١٠ ، وقال الهيثمي: ١٣٩/٦: رواه البزار ورجاله ثقات ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٤٠٥/٧ إسناده حسن .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٣٢٨ ، ونسبه لإسحاق بن راهويه ، وقال ابن حجر: هذا إسناده حسن ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٤٠/٦: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ١٤٢/٦ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح قلت: وهو من مرسلات ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى .

الفصل السابع

غزوة بني قريظة وما بعدها من أحداث حتى الحديبية

المبحث الأول: غزوة بني قريظة

١- أمر جبريل النبي عليهما السلام بالخروج إلى بني قريظة .

٤٥١- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما رجع النبي ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح ، واغتسل أتاه جبريل عليه السلام ، فقال: قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم ، قال: (فإلى أين ؟) قال: ها هنا ، وأشار إلى قريظة ، فخرج النبي ﷺ إليهم »^(١) .

٤٥٢- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب رجع ، فوضع لأمته ، واستجمر « زاد دحيم في حديثه » قال رسول الله ﷺ: (فنزل جبريل عليه السلام فقال: عذيرك من محارب ، ألا أراك قد وضعت اللأمة ، وما وضعناها بعد) ، فوثب رسول الله ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ، فلبسوا السلاح ، وخرجوا فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، واختصم الناس في صلاة العصر فقال بعضهم: صلوا ، فإن رسول الله ﷺ لم يرد أن تتركوا الصلاة ، وقال بعضهم: عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ ، فليس علينا إثم ، فصلت طائفة العصر إيماناً واحتساباً ، وطائفة لم يصلوا حتى نزلوا بني قريظة بعد ما غربت الشمس فصلوها إيماناً واحتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحدة من الطائفتين »^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة رقم: ٤١١٧، مسلم في الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد حديث رقم: ١٧٦٩، أحمد في المسند: ٥٦/٦، ١٣١، ١٤١، ٢٨٠ البيهقي في الدلائل: ٥/٤ وابن سعد في الطبقات: ٧٦/٢.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ١٤٠/٦: رواه الطبراني: ٧٩/١٩-٨٠ رقم: ١٦٠ ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل ، وهو ثقة .

٢- مشاركة جبريل عليه السلام في محاربة بني قريظة :

٤٥٣- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كآني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة »^(١) .

٣- حث النبي الصحابة على المسير إلى بني قريظة

٤٥٤- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « قال النبي ﷺ يوم الأحزاب (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتينهم ، وقال بعضهم : بل نصلي ، فلم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فلم يعنف أحداً منهم »^(٢) .

٤- سبب الغزوة :

٤٥٥- من حديث سعيد بن المسيب رضي الله عنه « في سياق قصة الأحزاب » : فبينما هم كذلك إذ جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعي ، وكان يأمه الفريقان ، كان موادعاً لهما ، فقال : إني كنت عند عيينه (بن حصن) وأبي سفيان إذ جاءهم رسول بني قريظة : أن اثبتوا فإننا سنخالف المسلمين إلى ييضمهم ... ، إلى أن قال : ... فناداهم : (يا إخوة القردة والخنازير !) فقالوا : يا أبا القاسم ! ما كنت فاحشاً ... » وذكر الحديث^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب حديث رقم : ٤١١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب حديث رقم : ٤١١٩ ، مسلم في الجهاد والسير باب المبادرة بالغزو حديث رقم : ١٧٧٠ ، وعبد الرزاق في المصنف : ٣٦٩/٥ - ٣٧٠ ، وابن سعد في الطبقات : ٧٤/٢ ، والبيهقي في الدلائل : ٧٦/٤ .

وقد جاء من حديث عائشة رضي الله عنها عند الحاكم في المستدرک : ٣٥٣٤/٣ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فإنهما قد احتجا بعبد الله بن عمر العمري في الشواهد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

(٣) انظر مصنف عبد الرزاق رقم : ٩٧٣٧ ، ٣٦٨/٥ ، من مرسل سعيد بن المسيب ، مراسيله أصح المراسيل ، والرواية صالحة للاحتجاج بها مع المتابعة ، وأبو نعيم من مراسيل سعيد دلائل النبوة : ٥٠٤/٢ - ٥٠٥ ، وقد ذكر ابن إسحاق وموسى بن عقبة سبب نقضهم بدون إسناد فانظروه في سيرة ابن هشام : ٣٢٥/٣ ، وقد جاء من حديث عائشة ، وأخرجه البيهقي في الدلائل : ١٠٠٨/٤ ، والحاكم في المستدرک : ٣٥٣٤/٣ ، وقال صحيح على شرط الشيخين فإنهما قد احتجا بعبد الله بن عمر العمري في الشواهد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي وقال ابن كثير في البداية : ٨/٤ - ١٠ ، ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها ، وبهذا يكون الحديث حسناً .

فسبب غزوهم إذن هو نقضهم للعهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ ، في أحلك الظروف وأصعبها على المسلمين ، في أثناء حصار الأحزاب للمدينة ، وهذا السبب قد ثبت بطرق قابلة بمجموعها للاحتجاج بها ، وقد ثبت أن الرسول ﷺ قد أرسل الزبير بن العوام لاستطلاع خبرهم كما جاء ذلك في الصحيح ^(١) .

٥- حامل راية المسلمين يوم بني قريظة :

٤٥٦- من حديث عروة قال: « وبعث علياً على المقدمة ، ودفع إليه اللواء ، وخرج رسول الله ﷺ على إثره » ^(٢) .

٦- مدة الحصار وكم استمرت :

٤٥٧- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: في حديث طويل سبق ذكر جزء منه في إصابة سعد بن معاذ «...» قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته ^(٣) ، وأذن في الناس بالرحيل أي يخرجوا ، فخرج رسول الله ﷺ ، فمر على بني غنم ، وهي جيران المسجد حوله فقال: من مر بكم ؟ فقالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام ، فقالت: فاتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ... » ^(٤) .

٧- قصة أبي لبابة :

٤٥٨- من حديث عائشة السابق قولها: «...» فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم ، واشتد البلاء ، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنه الذبح ^(٥) .

(١) انظر حديث رقم: ٤٣٤ ، وتخريجه هناك من حديث عبدالله بن الزبير .

(٢) البيهقي في الدلائل: ١٤/٣ ونسبه الحافظ في الفتح: ٤١٣/٧ إلى الحاكم والبيهقي ، وقال الدكتور أكرم العمري في المجتمع المدني ص: ١٥٤ وقد وردت آثار مرسلة تقوى ببعضها إلى رتبة الحسن لغيره تفيد أنه بعث علي على المقدمة برايته .

(٣) لأمته: آلة الحرب من السلاح .

(٤) سبق تخريجه حديث رقم: ٤٤٠ .

(٥) انظر تخريج الحديث السابق .

٨- حكم سعد بن معاذ في بني قريظة:

٤٥٩- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: (قوموا إلى سيدكم - أو خيركم - فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك) ، فقال: تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم قال: (قضيت بحكم الله ، وربما قال: بحكم الملك » ^(١) .

٤٦٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، وضع السلاح ، واغتسل ، فاتاه جبريل عليه السلام ، وهو ينفذ رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعت ، اخرج إليهم ، قال النبي: (فأين ؟) فأشار إلى بني قريظة ، فاتاهم رسول الله ﷺ ، فنزلوا على حكمه ، فرد الحكم إلى سعد .

قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم ، قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب ، فافجرها ، واجعل موتي فيها ، فانفجرت من لبته ، فلم يرعهم ، وفي المسجد خيمة من بني غفار - إلا الدم يسيل إليهم ، فقالوا: يا أهل الخيمة ، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يمغزو جرحه دماً ، فمات منها رضي الله عنه » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ، ومخرجه إلى بني قريظة حديث رقم: ٤١٢١ ، وقد جاء بأرقام عدة عنده: ٣٠٤٣ ، ٣٨٠٤ ، ٦٢٦٢ ، ومسلم في الجهاد والسير باب الحكم فيمن حارب ونقض العهد رقم: ١٧٦٨ ، أبو داود في الأدب باب ما جاء في القيام: ٥٢١٥ ، ٥٢١٦ ، وأبو يعلى: ١١٨٨ ، أحمد في المسند: ٢٢/٣ ، ٧١ والبيهقي في الدلائل: ١٨/٤ ، وابن سعد في الطبقات: ٧٥/٢ ، وأبو نعيم في الحلية: ١٧١/٣ ، الطبراني في الكبير رقم: ٥٣٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من غزوة الأحزاب رقم: ٤١٢٢ ، وقد جاء بأرقام عدة: ٤٦٣ ، ٣٩٠١ ، ٤١١٧ ، مسلم في الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد رقم: ١٧٦٩ ، الترمذي في السير باب ما جاء في النزول على الحكم رقم: ١٥٨٢ وجاء مختصراً عند أحمد: ٥٦/٦ ، أبو داود في الجنائز باب في العيادة مراراً رقم: ٣١٠١ ، النسائي: ٤٥/٢ ، في المساجد ، باب ضرب الخباء في المساجد .

٤٦١- من حديث عائشة قالت: في الحديث الطويل الذي اجتزأنا منه أجزاء سابقة... قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله ﷺ: (أنزلوا على حكم سعد بن معاذ) ، فنزلوا ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ ، فاتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه ، فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكابة ، ومن قد علمت قالت: وأني^(١) لا يرجع إليهم شيئاً ، ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أنى^(٢) لي أن لا أبالي في الله لومة لائم .

قال: قال أبو سعيد: فلما طلع على رسول الله ﷺ قال: (قوموا إلى سيدكم فانزلوه) فقال عمر: سيدنا الله عز وجل ، قال: (أنزلوه) ، فانزلوه ، قال رسول الله ﷺ: (احكم فيهم) فقال سعد: فإنني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ: (لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله ...)^(٣).

وقد جاءت قصة نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه من حديث جابر بن عبد الله ، وسيأتي بلفظه في بيان عدد المقتولين من بني قريظة فانظر تخريجه هناك .

٩- كيف ميز النبي بين الصغار والبالغين من بني قريظة:

٤٦٢- من حديث عطية القرظي ، قال: « كنت من سبي بني قريظة ، فكانوا ينظرون ، فمن أنبت الشعر قتل ، ومن لم ينبت لم يقتل ، فكنت فيمن لم ينبت » وفي رواية أخرى زاد (فكشفوا عاتي ، فوجدوها لم تنبت ، فجعلوني في السبي »^(٤) .

(١) وأني: أبطأ في الجواب وسكت عنهم ، فلم يرد عليهم .

(٢) أنى: آن لي أن لا أبالي فيهم .

(٣) انظر تخريج الحديث رقم: ٤٤٠ ، فإن هذا الحديث جزء منه .

(٤) أخرجه أبو داود في الحدود باب في الغلام يصيب الحد رقم: ٤٤٠٤ ، ٤٤٠٥ ، الترمذي في الجهاد والسير باب ما جاء في النزول على الحكم رقم: ١٥٨٤ وقال: حسن صحيح ، النسائي في الطلاق باب متى يقع الطلاق: ١٥٥/٦ ، وابن ماجه في الحدود باب من لا يجب عليه الحد رقم: ٢٥٤١ ، وأحمد في المسند: ٣١٠/٤ ، ٣٨٣ ، ٣١١/٥ ، ٣١٢ والحديث سنده حسن .

١٠- عدد بني قريظة الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٤٦٣- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى ، فانتفخت يده ، فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة ، فاستمسك عرقه ، فمما قطرة قطرة ، حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، ويستحي نساؤهم وذريتهم ، يستعين بهم المسلمون ، قال رسول الله ﷺ: (أصبت حكم الله فيهم) ، وكانوا أربعمائة ، فلما فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات »^(١) .

وقال الحافظ في الفتح « واختلف في عدتهم ، فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة ، وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ ، وعند ابن عائد من مرسل قتادة وكانوا سبعمائة ، وقال السهيلي: الكثير يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة ، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقي كانوا أتباعاً ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل: إنهم كانوا تسعمائة »^(٢)

١١- قصة المرأة التي قتلت من بني قريظة:

٤٦٤- من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قالت: « لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تتحدث معي تضحك ظهراً وبطناً^(٣) ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة ؟ قالت: أنا والله ، قالت: قلت: ويلك ومالك ؟ قالت: أقتل ، قالت: قلت: ولم ؟ قالت: حدثاً أحدثته^(٤) ، قالت: فانطلق بها ، فضربت عنقها ، وكانت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها تقول: والله ما أنسى عجيبي من طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل »^(٥) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٥٠ ، الدارمي كتاب السير باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ: ٢/ ٢٣٨ ، الترمذي في السير باب ما جاء في النزول على الحكم رقم: ١٥٨٢ ، وقال: حديث حسن صحيح ، وصححه إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح: ٤١٤/٧ .

(٢) فتح الباري: ٤١٤/٧ .

(٣) ظهراً وبطناً: لا يبدو على ملامحها أثر الحزن .

(٤) الحدث الذي أحدثته ، طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، فقتلها رسول الله به .

(٥) أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ٢٧٧ ، أبو داود في السنن رقم: ٢٦٧١ ، والبيهقي في السنن: ٩/ ٨٢ ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٢٤٢ ، والحاكم في المستدرک: ٣/ ٣٥-٣٦ ، وقال: صحيح على شرط مسلم: ولم يخرجاه ، والطبري في التاريخ: ٢/ ٥٨٩ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق ، وقد صرح

١٢- إسلام بعض يهود بني قريظة وتقسيم أموال بني قريظة بين المسلمين :

٤٦٥- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « حاربت قريظة والنضير ، فأجلى بني النضير ، وأقر قريظة ، ومن عليهم حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم ، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبي فأمّنهم ، وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم : بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود المدينة »^(١).

١٣- موت سعد بن معاذ رضي الله عنه :

٤٦٦- من حديث عائشة الطويل الذي سبق ذكر أجزاء متفرقة منه قالت : « ... ثم دعا سعد قال : « اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك ، قالت : فانفجر كلمه^(٢) وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص^(٣) ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ . قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿ رحماء بينهم ﴾ قال علقمة : قلت : أي أمه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا وجد^(٤) فإنما هو آخذ بلحيته »^(٥).

بالسمع فسنده صحيح ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني : ٨٥ / ٢١ ، سنده صحيح ورجاله ثقات .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير رقم : ٤٠٢٨ ، مسلم في الجهاد باب إجماع اليهود من الحجاز رقم : ١٧٦٦ ، أبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة ... باب في خبر النضير حديث رقم : ٣٠٠٥ .

(٢) كلمه : جرحه .

(٣) الخرص : الحلقة الصغيرة من الحلية ، وهو حلي الأذن والمعنى أنه لم يبق من جرح سعد إلا مثل حلقة الخرص في قلة ما بقي منه .

(٤) وجد : حزن .

(٥) انظر تخريجه حديث : ٤٤٠ .

١٤- مشاركة الملائكة في حملة:

٤٦٧- من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: « لما أصيب أكحل سعد ، فثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها ربيعة تداوي الجرحى ، فكان النبي ﷺ ، إذا مر به يقول: (كيف أمسيت ، وكيف أصبحت ؟) فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل ، فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم ، وجاء رسول الله فقيل: انطلقوا به ، فخرج وخرجنا معه ، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا ، وسقطت أرديتنا ، فشكا ذلك إليه أصحابه ، فقال: (إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة ، فتغسله كما غسلت حنظلة) فانتهى إلى البيت وهو يغسل ، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعداً حزامه وجداً

فقال: (كل باكية تكذب إلا أم سعد) ثم خرج به ، قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه ، قال: (ما يمنعه أن يخف ، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم ، قد حملوه معكم)^(١).

١٥- شهادة الرسول عليه السلام لسعد بالخير

٤٦٨- من حديث عبدالله بن شداد رضي الله عنه قال: « دخل رسول الله ﷺ على سعد وهو يكيد نفسه فقال: (جزاك الله خيراً من سيد قوم ، فقد أنجزت ما وعدته ، ولينجزنك الله ما وعدك)^(٢) .

(١) أخرجه ابن سعد: ٧/٢/٣ - ٨ من طريق الفضل بن دكين قال: حدثنا عبدالرحمن بن سليمان الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد ، وإسناده حسن ، وقد جاء حمل الملائكة لجنازته من حديث أنس ، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف رقم: ٢٠٤١٤ ، والترمذي في المناقب باب مناقب سعد بن معاذ رقم: ٣٩٣٨ ، وقال صحيح غريب ، والحاكم في المستدرک: ٢٠٧/٣ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي ، والطبراني في الكبير: ١٢/٦ - ١٣ ، رقم: ٥٣٤٥ ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٩/٢/٣ ورجاله ثقات .

١٦- القبر ضم سعد بن معاذ:

٤٦٩- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد)^(١) .

١٧- اهتزاز العرش لموت سعد:

٤٧٠- من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد)^(٢) .

١٨- مناديل سعد في الجنة:

٤٧١- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أهدي للنبي ﷺ جبة سندس ، وكان ينهى عن الحرير ، فعجب الناس منها فقال: (والذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا)^(٣) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥٥/٦ ، ٩٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر: من ٨٢ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ١٠٧/١ . وللحديث شواهد من حديث ابن عمر عند ابن سعد في الطبقات: ٤٣٠/٣ ، والحاكم: ٢٠٦/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي ، والنسائي: ١٠٠/٤-١٠١ ، وسنده صحيح ، ومن حديث ابن عباس ؛ أخرجه الطبراني في الكبير رقم: ١٠٨٢٧ ، ١٢٩٧٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٤٦/٣-٤٧ ، رواه الطبراني في الكبير والأوسط وورجاله موثقون « قلت: فيكون إسناده صحيح لغيره .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مناقب سعد رقم: ٣٨٠٣ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل سعد بن معاذ رقم: ٢٤٦٦ ، والترمذي في المناقب باب مناقب سعد رقم: ٣٧٤٨ وابن ماجه في المقدمة باب مناقب سعد رقم: ١٥٨ ، وأحمد: ٣٢٧/٣ ، وابن سعد في الطبقات: ٤٣٠/٣ ، والنسائي في فضائل الصحابة: ص: ٣٦ ، والبيهقي في الدلائل: ٢٩/٤ . والحديث متواتر جاء عن عشرة من الصحابة . انظر نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص: ١٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة رقم: ٣٢٤٨ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل سعد بن معاذ رقم: ٢٤٦٩ ، والترمذي رقم: ١٧٧٧ ، والنسائي: ١٩٩/٨ ، أحمد في المسند: ١١١/٣ ، ١٢١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ، ٢٧٧ .

المبحث الثاني

زواجه عليه الصلاة والسلام بزینب بنت جحش

١- إرسال زيد بن حارثة لخطبتها للرسول عليه الصلاة والسلام:

٤٧٢- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد (فاذكرها علي) قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها^(١) قال: فلما رأيتها عظمت في صدري^(٢) حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ ، فدخل عليها بغير إذن .

قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته ، فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ، ويقولن: يا رسول الله ! كيف وجدت أهلك ، قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني . قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فألقي الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب . قال: ووعظ القوم بما وعظوا به « لفظ مسلم^(٣) .

وفي لفظ آخر عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: « أن أم سليم أهدت إلى رسول الله طعاماً يوم زواج زينب فيقول: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله ، قال: فصنعت أمي أم سليم حيساً ، فجعلته في تور^(٤) فقالت: يا أنس ، اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، فقل: بعث بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام . وتقول: إن هذا لك منا قليل ، يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ . فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله!

(١) تخمر عجينها: تجعل منها الخمير .

(٢) عظمت في صدري: هبتا من أجل إرادة رسول الله الزواج منها .

(٣) أخرجه مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ٨٩١٤٢٨ والنسائي في النكاح باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربه: ٧٩/٦ - ٨٠ ، الفتح الرباني للساعاتي: ٨٧/٢١ - ٨٨ .

وأما اللفظ الثاني فقد أخرجه البخاري في النكاح باب الهدية للعروس رقم: ٥١٦٣ ، ومسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ٩٤/١٤٢٨ .

(٤) التور: الإناء .

فقال: (ضعه) ، ثم قال: (اذهب ، فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ، ومن لقيت) وسمى رجالاً قال: فدعوت من سمي ، ومن لقيت .

قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا ؟ قال: زهاء ثلاثمائة .

وقال لي رسول الله ﷺ: (يا أنس ! هات التور) قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة . فقال رسول الله ﷺ: (ليتخلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه) قال: فاكلوا حتى شبعوا . قال: فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم ، فقال لي: (يا أنس ! ارفع) . قال: فرفعت ، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت .

قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ جالس ، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله ﷺ ، فخرج رسول الله ﷺ ، فسلم على نسائه ، ثم رجع ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، قال: فابتدروا الباب ، فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ، ودخل ، وأنا جالس في الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ ، وأنزلت هذه الآية .

فخرج رسول الله ﷺ وقراهن على الناس: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي ﴾ إلى آخر الآية .

قال الجعد: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات وحجب نساء النبي ﷺ .

٢- نزول الحجاب

٤٧٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أنا أعلم الناس بالحجاب ، لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش . قال: وكان تزوجها بالمدينة ، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلس معه رجال بعد ما قام القوم ، حتى قام رسول الله ﷺ ، فمشى ، فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه ، فإذا هم جلوس مكانهم ، فرجع فرجعت الثانية ،

حتى بلغ حجرة عائشة ، فرجع فرجعت ، فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه بالستر ، وأنزل الله آية الحجاب ^(١) .

٣- مفاخرة السيدة زينب:

٤٧٤- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش ، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ ، وكانت تقول: إن الله أنكحنى في السماء » ^(٢) .

٤- شكوى زيد بن حارثة ومقالة رسول الله له قبل طلاقها منه:

٤٧٥- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « جاء زيد بن حارثة يشكو ، فجعل النبي ﷺ يقول: (اتق الله ، وأمسك عليك زوجك) قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة باب قوله تعالى ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ حديث رقم: ٥٤٦٦ ، مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ٩٣/١٤٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء رقم: ٧٤٢١ ، النسائي في النكاح باب صلاة المرأة واستخارتها ربه إذا خطبت: ٨٠-٧٩/٦ .

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء رقم: ٧٤٢٠ .

المبحث الثالث: مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق

٤٧٦- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبدالله بن عتيك بيته ليلاً ، وهو نائم فقتله »^(١).

٤٧٧- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار ، فأمر عليهم عبدالله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرهم ، فقال عبدالله لأصحابه: اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من البواب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت ، فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق^(٢) على عود.

قال: فقممت إلى الأقاليد^(٣) فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمرُ عنده ، وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره ، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل ، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله ، فانتهمت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، فقلت: أبا رافع ؟ قال: من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت ، فأضربه ضربة بالسيف ، وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح ، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟

فقال: لأملك الويل ، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال: فأضربه ضربة أمخنته ، ولم أقتله ، ثم وضعت خبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلت ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي ، وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقع في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله أم لا ، فلما صاح الديك قام الناعي على السور ،

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق ، ويقال سلام بن أبي الحقيق كان بخير ويقال في حصن له بأرض الحجاز حديث رقم: ٤٠٣٨.

(٢) الأغاليق: جمع غلق ما يغلَق به الباب وهو المفتاح .

(٣) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح .

فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: التجاء ، فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته ، فقال لي: (أبسط رجلك) ، فبسطت رجلي فمسحها ، فكانها لم أشتكها قط « ^(١) .

الفوائد المأخوذة من هذا الحديث :

- ١- جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر على الكفر .
- ٢- قتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه .
- ٣- جواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم .
- ٤- الأخذ بالشدة في محاربة المشركين .
- ٥- جواز إيهام القول للمصلحة .
- ٦- جواز تعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين .
- ٧- الحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن أبي عتيك على أبي رافع بصوته ، واعتماده على صوت الناس بموته ^(٢) .

المبحث الرابع : قصة ثمامة بن أثال الحنفي

٤٧٨- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: (ماذا عندك يا ثمامة ؟) فقال: عندي يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم ، تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله ﷺ . حتى كان من الغد ، فقال: (ما عندك يا ثمامة ؟) قال: ما قلت لك . إن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال: (ماذا عندك ! يا ثمامة ؟) فقال: عندي ما قلت لك ، إن تنعم ، تنعم على شاكرك ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال ، فسل تعط منه ما شئت .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق حديث رقم: ٤٠٣٩ .

(٢) فتح الباري: ٣٤٥/٧ .

فقال: رسول الله ﷺ: (أطلقوا ثمامة) فانطلق إلى نخيل قريب من المسجد، فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد ! والله ! ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي ، والله ! ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت ؟ فقال: لا ، ولكنني أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا ، والله ! لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ « ^(١) . واللفظ لمسلم .

فوائد من قصة ثمامة:

- ١- جواز ربط الكافر في المسجد .
- ٢- جواز المن على الأسير الكافر ، وتعظيم أمر العفو عن المسيء ، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل .
- ٣- الاغتسال عند الإسلام كما فعل ثمامة حين أسلم .
- ٤- الإحسان يزيل البغض وينبت الحب .
- ٥- يشرع للكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم أن يستمر في عمل ذلك الخير .
- ٦- الملائكة لمن يرجي إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه « ^(٢) .
- ٧- الإسلام يغير سلوك المؤمن حين يضع المسلم قدراته تحت تصرف الإسلام والمسلمين كما فعل ثمامة بعدم إرساله القمح لأهل مكة إلا بإذن من الرسول عليه السلام .
- ٨ - ينبغي أن يخلع المؤمن على عتبة الإيمان وعند تركه للكفر كل علاقاته السابقة، والتزامه بأوامر رب العالمين بعد إيمانه .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة ، حديث ثمامة بن أثال: رقم: ٤٣٧٢ ، مسلم في الجهاد والسير باب ربط الأسير وحسه ، وجواز المن عليه رقم: ١٧٦٤ ، أبو داود في السنن الجهاد باب في الأسير يوثقه رقم: ٢٦٧٩ ، النسائي في الطهارة باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم: ١٠٩/١ - ١١٠ باختصار ، وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ٨٨/٢١ - ٨٩ .

(٢) فتح الباري: ٨٨/٨ - ٨٩ .

المبحث الخامس : غزوة بني لحيان

كانت في أوائل السنة السادسة للهجرة على الصحيح كما قاله ابن كثير ^(١).

وقد صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف لأول مرة بعسفان كما جاء في :

٤٧٩- حديث أبي عياش الزرقني رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى رسول الله ﷺ الظهر فقالوا : قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿ وإذا كنت فيه فأقم لهم الصلاة ﴾ قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ ، فأخذوا السلاح ، قال : فصفنا صفين ، قال : ثم ركع ، فركعنا جميعاً ، ثم رفع ، فرفعنا جميعاً ، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون ، فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلس ، جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قال : فصلها رسول الله ﷺ مرتين ، مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم ^(٢) .

٤٨٠- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : (إن رسول الله ﷺ نزل بين ضحجان وعسفان ، فقال المشركون : إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ، وهي العصر ، فأجمعوا أمرهم ، فميلوا عليهم ميلاً واحدة ، وإن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم لياخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتي الأخرى فيصلون معه ، وياخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ، ولرسول الله ﷺ ركعتان) ^(٣) .

(١) السيرة النبوية ابن كثير : ٢٨٥/٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٥٩/٤ - ٦٠ ، أبو داود في الصلاة باب صلاة الخوف رقم : ١٢٣٦ ، النسائي في الصلاة صلاة الخوف : ١٧٦/٣ - ١٧٨ ، والحاكم في المستدرک : ٣٣٧/١ - ٣٣٨ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ٥٢٢/٢ ، الترمذي في التفسير سورة النساء حديث رقم : ٣٠٣٨ ، وقال الترمذي حسن صحيح ، النسائي : ١٧٤/٣ كتاب صلاة الخوف .

المبحث السادس : قصة العرنيين

٤٨١- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن ناساً من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، واستوخموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع ، وأمرهم أن يخرجوا فيه ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ﷺ ، واستاقوا الذود ، فبلغ النبي ﷺ ، فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم) . واللفظ للبخاري .

وأما رواية مسلم « أن نفرأ من عكل ، ثمانية ، قدموا على رسول الله ﷺ ، فبايعوه على الإسلام ، فاستوخموا الأرض ، وسقمت أجسامهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله ، فتصيبون من أبوالها وألبانها ؟ فقالوا: بلى ، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها ، فصحوا ، فقتلوا الراعي وطرדوا الإبل ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث في آثارهم ، فأدركوا فجيء بهم ، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمروا أعينهم ، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا) ^(١) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة عكل وعرينة حديث رقم: ٤١٩٢ ، وقد أوردته في مواطن أخرى كثيرة تبلغ أربعة عشر موضعاً ، مسلم في صحيحه في القسامة باب حكم المحاررين والمرتدين حديث رقم: ١٦٧١ ، أبو داود في الحدود باب ما جاء في المحاربة حديث رقم: ٤٣٦٤ ، والترمذي في الطهارة باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمة حديث رقم: ٧٢ ، والنسائي في كتاب التحريم: ٩٤/٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، وابن ماجه في الحدود حديث رقم: ٢٥٧٨ ، وأحمد في المسند: ١٠٧/٣ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ .

الفصل الثامن

الأحداث من غزوة الحديبية إلى فتح مكة

المبحث الأول: غزوة الحديبية

١- وقتها:

كانت غزوة الحديبية سنة ست للهجرة في ذي القعدة ، وهذا هو الصحيح ، وهو قول الزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد ابن إسحاق وغيرهم وهذا هو رأي الجمهور في ذلك ^(١) .

وقد جاء هذا التصريح من حديث أنس ، وعائشة ، والبراء بن عازب أن رسول الله ﷺ ما اعتمر إلا في ذي القعدة .

وأورد هنا حديث أنس رضي الله عنه لأنه أكثرها وضوحاً وتصريحاً بذلك:

٤٨٣- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجته » ^(٢) .

وقد شذ عن الجمهور في رواية عنه عروة بن الزبير فيما روى عنه ابنه هشام ابن عروة: « أن النبي ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال » .

وقد قال الحافظ ابن كثير فيما ذهب إليه عروة: وهذا غريب جداً عن عروة ، وقال ابن القيم: هذا وهم ، وقد جاء عن عروة من طريق أبي الأسود عنه: أنها كانت في ذي القعدة ، وهذا هو الصواب . والله أعلم ^(٣) .

(١) زاد المعاد: ٢٨٦/٣ دلائل النبوة للبيهقي: ٩٠/٤ ، السيرة النبوية ابن كثير: ٣١٢/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب كم اعتمر النبي ﷺ وسلم رقم: ١٧٨٠ ، وفي المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٨ ، ومسلم في الحج باب بيان عدد عُمَر النبي ﷺ رقم: ١٢٥٣ وأبو داود في الحج باب العُمَر: ١٩٩٤ ، والترمذي في الحج ، باب ما جاء في كم حج النبي ﷺ رقم: ٨١٥ وأحمد في المسند: ١٣٤/٣ ، ٢٥٦ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: ٣١٢/٣ زاد المعاد: ٢٨٧/٣ .

٢- عدد المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم :

جاءت الروايات في عددهم على ثلاثة أوجه :

فمن قائل إنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة ، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة ، وكلها في الصحيح نذكر بعض هذه الروايات ، ثم نحرر الخلاف بينها ووجه الجمع بين هذه الأقوال :

١- أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة :

٤٨٤- من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين ^(١) .

ب - أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة :

٤٨٥- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : « قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة » ^(٢) .

ج - أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة :

٤٨٦- من حديث جابر رضي الله عنه قال : « لو كنا مائة ألف لكفانا ^(٣) : كنا خمس عشرة مائة » ^(٤) .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألفاً وأربعمائة

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم : ٤١٥٥ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم : ١٨٥٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم : ٤١٥٥ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم : ٧١، ١٨٥٦ وأحمد في المسند : ٣٩٦/٣ .

(٣) معناه أن الصحابة لما وصلوا الحديبية وجدوا بئراً تنز مثل الشراك فبصق النبي ﷺ فيها ودعا بالبركة فجاشت بالماء ، فقال جابر : لو كنا مائة ألف لكفانا .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم : ٤١٥٢ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم : ٧٣، ٧٢ ، ١٨٥٦ .

ألفاه ، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء وأربعمئة أو أكثر « واعتمد هذا الجمع النووي .

وأما البيهقي فمال إلى الترجيح ، وقال إن رواية من قال ألف وأربعمئة أصح ، ثم ساقه من طريق أبي الزبير ومن طريق أبي سفيان كلاهما عن جابر كذلك ، ومن رواية معقل بن يسار وسلمة بن الأكوع ، والبراء بن عازب . ومن طريق قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه .

قلت : ومعظم هذه الطرق عند مسلم ، ووقع عند ابن سعد في حديث معقل ابن يسار زهاء ألف وأربعمئة وهو ظاهر في عدم التحديد ، وأما قول عبدالله بن أبي أوفى ألفاً وثلاثمئة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ، والزيادة من الثقة مقبولة ، ويمكن أن يقال : العدد الذي ذكره جملة من ابتداء الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك ، أو العدد الذي ذكره هو عدد المقاتلة والزيادة عليها من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم .

وأما قول ابن إسحاق أنهم كانوا سبعمئة فلم يوافق عليه ، لأنه قاله استنباطاً من قول جابر « نحرنا البدنة عن عشرة » وكانوا نحرروا سبعين بدنة ، وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن ، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً ، وفي حديث المسور ومروان أنهم خرجوا مع النبي ﷺ بضع عشرة مائة ، فيجمع أيضاً بأن الذين بايعوا كانوا كما تقدم ، وما زاد على ذلك كانوا غائبين عنها كمن توجه مع عثمان إلى مكة ، على أن لفظ البضع يصدق على الخمس والأربع فلا تخالف .

وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفاً وستمئة ، وفي حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبة ألفاً وسبعمئة ، وحكى ابن سعد أنهم كانوا ألفاً وخمسمئة وخمسة وعشرين ، وهذا إن ثبت تحرير بالغ ، ثم وجدته موصولاً عن ابن عباس عند ابن مردويه ، وفيه رد على ابن دحية حيث زعم أن سبب الاختلاف في عددهم أن الذي ذكر عددهم لم يقصد التحرير وإنما ذكره بالحدس والتخمين « ^(١) .

(١) فتح الباري : ٧ / ٤٤٠ - ٤٤١ .

٣- إحرار الرسول عليه السلام من ذي الحليفة :

٤٨٧- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق حديث كل منهما حديث صاحبه قالوا:

« خرج رسول الله ﷺ زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، حتى إذا كانوا بذي الحليفة ^(١) قلد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره ^(٢) ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عيناً ^(٣) له من خزاعة يخبره عن قريش » ^(٤).

٤- استعداد قريش لمحاربته عليه السلام:

« وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطا قريش من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي - لفظ البخاري (إن قريشاً جمعوا لك جمعوا لك الأحاشيش ^(٥) ، وجمعوا لك جمعوا وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ، فقال النبي ﷺ : (أشيروا علي ، أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانواهم فنصيبهم ، فإن قعدوا ، قعدوا موتورين محرويين ، وإن نجوا - (قال: قال يحيى بن سعيد عن ابن المبارك) نجوا محزونين ، وإن يجيئوا تكن عنقاً قطعها الله ، أوترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟) فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم يا نبي الله إنما جئنا معتمرين ، ولم نجح نقاتل أحداً ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه ، فقال النبي ﷺ : (فروحوا إذاً) » واللفظ لأحمد .

(١) ذي الحليفة: ماء لبني جشم على ستة أميال عن المدينة وهو ميقات أهل المدينة للحج وهو ما يسمى آبار علي .

(٢) أشعار الهدي: شق أحد جفني سنام البدنة حتى يسيل دفاها ويجعل ذلك علامة لها لتعرف بأنها هدي .

(٣) العين: الجاسوس .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٧٨ ، ٤١٧٩ ، ٤١٨٠ ، ٤١٨١ ، وأبو داود في الجهاد باب صلح العدو: ٢٧٦٥ ، وفي السنة باب في الخلفاء: ٤٦٥٥ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: ٣٧٢/٨ ، والبيهقي في السنن: ٢١٥/٥ ، ١٧٠/٧ ، ١٤٤/٩ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ١٠٩/١٠ ، والطبري: ٧١/٢٨ ، ٩٧ ، ١٠١ ، وعبد الرزاق في المصنف: ٩٧٢٠ ، والطبراني في الكبير: ١٣/٢٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٨٤٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٩٩/٤ ، ١٠٨ . وأحمد في المسند: ٣٢٨/٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٤ .

(٥) الأحاشيش: جماعات من قبائل شتى حلفاء لقريش ، تآلفوا عند جبل يسمى حبيش فسما بذلك .

٥- اعتراض خالد بن الوليد المسلمين ، وخروج النبي ﷺ عن طريقه:

٤٨٨- من حديث مروان والمصور السابق: « . . . فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: (إن خالد بن الوليد بالغميم ^(١)) ، في خيل لقريش طليعة ^(٢) ، فخذوا ذات اليمين) ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة ^(٣) الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية ^(٤) التي يهبط عليهم منها ، بركت راحلته ، فقال الناس: « حل حل ^(٥) » فألحت ، فقالوا: خلأت القصواء ، فقال ﷺ: (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل) ^(٦) » ^(٧) .

٤٨٩- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله ﷺ: إن عيون المشركين الآن على ضجنان فأیکم يعرف طريق الخنظل ؟ فقال رسول الله ﷺ حين أمسى: (هل من رجل فينزل فيسعی بين يدي الركاب ؟) فقال رجل: أنا يا رسول الله فنزل: فجعلت الحجارة تنكبه ^(٨) ، والشجر يتعلق بشيابه ، فقال رسول الله ﷺ: (اركب) ، ثم نزل آخر ، فجعلت الحجارة تنكبه ، والشجر يعلق بشيابه ، فقال رسول الله ﷺ: (اركب) ، ثم وقفنا على الطريق حتى سرنا في ثنية يقال لها الخنظل ، فقال رسول الله ﷺ: (ما مثل هذا الثنية إلا كمثل الباب الذي دخل فيه بنو إسرائيل ، قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ، لا يجوز أحد الليلة هذه الثنية إلا غفر له) ، فجعل الناس يسرعون ويجوزون ، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان في آخر القوم ، قال: فجعل

(١) الغميم: موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة .

(٢) طليعة: مقدمة الجيش لاستكشاف العدو .

(٣) قتره الجيش: غبار الجيش .

(٤) الثنية: هي ثنية الممرار موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية .

(٥) حل حل: لفظ يزجر به الدابة إذا حملت على السير .

(٦) حبسها: حابس الفيل: حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط رقم: ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، بلفظ أطول من لفظه في المغازي ، وأحمد في المسند: ٣٢٨/٤ - ٣٣١ .

(٨) تنكبه : تالاه وتصيبه .

الناس يركب بعضهم بعضاً حتى تلاحقنا ، قال : فنزل رسول الله ﷺ ونزلنا «^(١) .

٦- استعداد النبي صلى الله عليه وسلم للمفاوضة :

٤٩٠- من حديث مروان والمسور السابق : « ... فقال النبي ﷺ : (ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل) ، ثم قال : (والذي نفسي بيده ، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها) . ثم زجرها فوثبت . قال : فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء «^(٢) .

٧- تفجير الماء من البئر الذي نضب في الحديبية ببركته صلى الله عليه وسلم :

٤٩١- من الحديث السابق قال : « فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه «^(٣) .

وقد جاء أيضاً تفجير الماء من البئر من حديث البراء بن عازب ، ومن حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما نوردتهما لزيادة الفائدة :

٤٩٢- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : « تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح : بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر فتزحناها ، فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء منها ، فتوضأ ، ثم مضمض ، ودعا ، ثم صبه فيها ، فتركها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا نحن وركائبنا « .

وفي رواية أخرى قال بدل (إناء من ماء منها) ، (اتنوني بدلو من مائها)

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار : ١٨١٢ ، ٣٧٧/٢ - ٣٣٨ ، وقال الهيمثي في المجمع : ١٤٤/٦ ، رواه البزار ورجاله ثقات .

(٢) سبق تخريجهما حديث رقم : ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، فإنهما قطعتين منه .

(٣) سبق تخريجهما حديث رقم : ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، فإنهما قطعتين منه .

وقال بدل (فتركها غير بعيد) (دعوها ساعة) ^(١) .

٤٩٣- ومن حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا ترويهما . قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية ^(٢) ، فإما دعا وإما يزق فيها ، فجاشت ^(٣) فسقينا ، واستقينا » ^(٤) .

٨ - تكثيره صلى الله عليه وسلم الطعام :

٤٩٤- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فأصابنا جهد ^(٥) حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا ، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزادونا ^(٦) فبسطنا له نطعاً ^(٧) ، فاجتمع زاد القوم على النطع ، قال: فتناولت لأحزره ^(٨) كم هو ؟ فحزرتة كربضة العنز ^(٩) ونحن أربع عشرة مائة ، قال: فاكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جربنا ^(١٠) » ^(١١) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث: ٤١٥٠ ، ٤١٥١ .

(٢) جبا الركية: ما حول البئر ، والركي: البئر .

(٣) جاشت: ارتفعت وفاضت .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه الجهاد باب غزوة ذي قرد حديث رقم: ١٨٠٧ وأبو داود في الجهاد باب في السرية ترد على أهل العسكر: ٢٧٥٢ ، وابن سعد: ٨٤٨١/٢ ، وأحمد في المسند: ٥٢/٤ - ٥٤ ، والطبري في التاريخ: ٥٩٦/٢ - ٦٠٠ ، والبيهقي في الدلائل: ١٨٢/٤ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٣٣/١٤ - ٥٣٨ .

(٥) الجهد: المشقة .

(٦) مزادونا: جمع مزود وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد .

(٧) بسطنا له نطعاً: وضعنا له بساطاً أي لما معنا من الزاد .

(٨) تناولت لأحزره: أي لأقدره وأخمنه .

(٩) ربيعة العنز: مبركها أو كقدرها وهي رابضة .

(١٠) جربنا: جمع جراب: الوعاء من الجلد يجعل فيه الزاد .

(١١) أخرجه البخاري في الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض رقم: ٢٤٨٤ ، ٢٩٨٢ ، مسلم في اللقطة باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمؤاسة فيها حديث رقم: ١٧٢٩ ، ١٣٥٤/٣ ، والطبراني في الكبير رقم: ٦٢٤٤ .

- نصيحة بديل بن ورقاء الخزاعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

٤٩٥- من حديث مروان والمصور الذي سبق بعضه «... فبينما هم كذلك ، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح^(١) رسول الله ﷺ من أهل تهامة ، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية^(٢) ، ومعهم العوذ المطافيل^(٣) ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ: (إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب ، وأضررت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ، ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا^(٤) ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي . لينفذن الله أمره) ، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول .

قال: فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنا جئناكم من هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً: فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرونا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول: قال: سُمعته يقول: كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ «^(٥) .

١٠- وفود عروة بن مسعود الثقفي ومفاوضته لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

من حديث مروان والمصور السابق: «... فحدثهم بما قال النبي ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ، أستم بالوالد^(٦)؟ قالوا: بلى ، قال: أولست

(١) عيبة نصح: موضع الأمانة والسر والنصيحة .

(٢) نزلوا أعداد مياه الحديبية: الماء الذي لا انقطاع له ، وهذا يدل على أنه كان بالحديبية ماء كثير ، ولكن سبقت إليه قريش ولذلك عطش المسلمون حين نزلوا على الشد .

(٣) العوذ المطافيل: العوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل: الأمهات اللاتي معهن أولادها: كناية أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه .

(٤) جموا: استراحوا من القتال .

(٥) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، فقد سبق تخريجه هناك .

(٦) أستم بالوالد: مثل الأب في الشفقة لولده .

بالولد ؟ ^(١) قالوا: بلى ، قال: فهل تتهمونني ، قالوا: لا ، قال: ألستم تعلمون أنني استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا علي ^(٢) جثتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ، ودعوني آتة ، قالوا: آتته ، فاتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك: أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإنني والله لا أرى وجوهاً ^(٣) وإنني لأرى أشواباً ^(٤) من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات ^(٥) ، أنحن نفرعنه وندعه ؟

فقال: من ذا ؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد ^(٦) كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك ، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ، ومعه السيف ، وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ، ضرب يده بنعل السيف ، وقال له: آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا ؟ قال: المغيرة بن شعبة ، فقال: أي غدر ^(٧) ألست أسعى في غدرتك ؟

وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي ﷺ: (أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء) ، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه ، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفَضُوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له .

(١) أولست بالولد: مثل الابن في النصيح لآيه .

(٢) بلحوا علي: امتنعوا وعجزوا .

(٣) وجوهاً: الوجوه: يعني الأعيان والأشراف .

(٤) الأشواب: الأخلاط .

(٥) امصص بظر اللات: البظر ما تقطعه الخافضة من بظر المرأة عند الختان وكان هذا يستعمل عند العرب للشتن ، لكن بلفظ الأم فاستعار الصديق ذلك مبالغة في سب عروة وإهانة لمعبوده ، الذي حمله على ذلك نسبة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى الفرار .

(٦) اليد: النعمة .

(٧) غدر: يا غادر .

فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال: أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ ، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها » ^(١) .

٤٩٦- من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: « إنه كان قائماً على رأس رسول الله ﷺ وعروة بن مسعود يكلمه ، فقال له المغيرة: لتكفن يدك أو لا ترجع إليك يدك ، والمغيرة متقلد سيفاً ، فقال عروة: من هذا ؟ قال: ابن أخيك المغيرة ، فقال: يا غدر ما غسلت رأسي من غدرتك » ^(٢) .

١١- إرسال عثمان بن عفان إلى قريش:

من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قالوا: « ... وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعهم الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ ، فدعا عمر ليعثه إلى مكة ، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني ، عثمان بن عفان .

قال: فدعاه رسول الله ﷺ ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة ، فخرج عثمان حتى أتى مكة ، ولقيه أبان ابن سعيد بن العاص فتزل عن دابته ، وحمله بين يديه ، وردف خلفه ، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ،

(١) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

(٢) المطالب العالمة: ٢٠٦٤ ، ٤٣٤٧ ، ونسبه لأبي بكر بن أبي شيبة وقال: إسناده في نهاية الصحة ، ورواه ابن حبان في صحيحه: ١٦٩٦ .

فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل^(١) .

وهذه رواية للحديث من طريق أخرى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم من طريق محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري محمد بن مسلم بن شهاب عن عروة بن الزبير عنهما .

١٢- بيعة الرضوان :

لما بلغ النبي ﷺ أن عثمان رضي الله عنه قتل ، دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ، ومناجزتهم ، وها نحن نثبت هنا وصفاً لتلك البيعة وأحداثها كما يرويها من حضرها من أصحاب رسول الله ﷺ :

أ- قيام معقل بن يسار برفع أغصان الشجرة لثلاث تصطدم بالرسول عليه السلام :

٤٩٧- من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال : « لقد رأيتني يوم الشجرة ، والنبي ﷺ يبايع الناس ، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : لم نبايعه على الموت ، ولكن بايعناه أن لا نفر »^(٢) .

ب - أول من بايع الرسول عليه السلام :

٤٩٨- قال الحافظ في الإصابة : أخرج الحاكم أبو أحمد من طريق عاصم الأحول عن الشعبي قال : « أتاني عامري وأسدي يعني كانا متفاخرين ، فقلت : كان لبني أسد ست خصال ما كانت لحي من العرب أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبدالله بن وهب الأسدي قال : يا رسول الله ابسط يدك أبايك قال : (على ماذا ؟) قال : على ما في نفسي قال : (فتح وشهادة) قال : نعم ، فبايعه قال : فخرج الناس يبايعون على بيعة أبي سنان »^(٣) .

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٣٢٣/٤ - ٣٢٦ ، وابن هشام : ٣٠٨/٣ المجلد الثاني وابن سعد في الطبقات : ٩٦/٢ - ٩٧ ، والطبري في تاريخه : ٦٣١/٢ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق بسند صحيح قد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث ، وهو قطعة من حديث طويل في صلح الحديبية وهو جزء من حديث رقم : ٤٩٥ .

(٢) أخرجه مسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم : ٧٦/١٨٥٨ - وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني : ١٠٦/٢١ .

(٣) الإصابة : ٩٦/٤ ترجمة رقم : ٥٧١ ، وقال أخرجه الحسن بن علي الحلواني ، ومحمد بن إسحاق والسراج من طريقه عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، وأخرجه ابن مندة من طريق عاصم عن زر بن حبش قال : أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب « انتهى . قلت : وقد جاء أيضاً في دلائل البيهقي : ١٣٧/٤ ، من طريق ابن أبي خالد عن الشعبي .

ج - من تخلف عن البيعة :

٤٩٩- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « قال أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل : كم كانوا يوم الحديبية قال : كنا أربع عشر مائة ، فبايعناه ، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة ^(١) ، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره » ^(٢) .

د - مبايعة سلمة بن الأكوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات :

٥٠٠- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه « ... قال : ثم إن رسول الله ﷺ دعانا إلى البيعة في أصل الشجرة فبايعه أول الناس ، ثم بايع وبايع ، حتى إذا كان في وسط الناس قال : (بايعني يا سلمة) قال : قلت : يا رسول الله قد بايعتك أول الناس ، قال : (وأيضاً) ، قال : ورآني رسول الله ﷺ عزلاً ^(٣) ، فأعطاني جحفة أو درقة ^(٤) ، ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال : (ألا تباع يا سلمة ؟) قال : قلت : يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم ، قال : (وأيضاً) فبايعته الثالثة فقال : (يا سلمة أين جحفتك أو درقتك التي أعطيتك ؟) قال : قلت : يا رسول الله لقيني عامر عزلاً فأعطيتها إياه ، فضحك رسول الله ﷺ ، ثم قال : (إنك كالذي قال الأول ^(٥) ، اللهم ابغني ^(٦) حبيباً هو أحب إليّ من نفسي) ^(٧) .

هـ - مبايعة النبي عليه السلام نفسه عن عثمان رضي الله عنه :

٥٠١- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما رواه عنه عثمان بن وهب قال : « جاء رجل حج للبيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قریش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني

(١) سمرة : شجر الطلع .

(٢) أخرجه مسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم : ٧٦ / ١٨٥٦ .

(٣) عزلاً : الذي لا سلاح معه .

(٤) الجحفة أو الدرقة : الترس .

(٥) إنك كالذي قال الأول : إن شأنك مع عمك يشبه فحوى القول الذي قال الرجل المتقدم زمانه .

(٦) ابغني : أعطني

(٧) قد تقدم جزء من هذا الحديث رقم : ٤٩٣ ، فانظر تخريجه هناك .

سائلك عن شيء أتحدثني ؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال: نعم ، قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا ؟ قال: نعم ، قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا ؟ قال: نعم . قال: فكبر .

قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه يوم بدر فإنه كان تحت بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدرأً وسهمه)، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فإنه لو كان أحد أعز يبطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمين: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده فقال: (هذه لعثمان) ، اذهب بها الآن معك ^(١) .

و- بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

٥٠٢- قال نافع: « إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبدالله إلى فارس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبدالله ، ثم ذهب إلى الفرس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلثم للقتال، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة قال: فانطلق ، فذهب معه » .

وفي رواية أخرى من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر ، فلما الناس محدقون بالنبي ﷺ ، فقال: يا عبدالله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ، فوجدهم يبايعون ، فبايع ، ثم رجع إلى عمر ، فخرج ، فبايع ^(٢) » .

قال الحافظ ابن حجر: « ويمكن الجمع بينهما بأنه بعثه يحضر له الفرس، ورأى

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قول الله: ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان ... ﴾ حديث رقم: ٤٠٦٦ ، الترمذي في المناقب باب مناقب عثمان بن عفان حديث رقم: ٣٧٠٦ ، وقال: حسن صحيح ، وأحمد في المسند: ٥٩/١ ، والحاكم في المستدرک: ٩٨/٣ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي من طريق حبيب بن أبي مليكة « قلت: وقد أخرجه البخاري كما سبق من طريق عثمان بن موهب .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٨٦ ، ومعلقا رقم: ٤١٨٧ .

الناس مجتمعين فقال له: انظر ما شأنهم ؟ فبدأ بكشف حالهم ، فوجدهم يبائعون ، فبايع ، وتوجه إلى الفرس ، فأحضرها ، وأعاد حيثئذ الجواب على أبيه^(١) .

ز - علام بايع الصحابة رسول الله يوم الحديبية :

اختلف الصحابة في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: قالوا بايعنا على الموت، وهو قول سلمة بن الأكوع ، وعبدالله بن زيد بن عاصم .

٥٠٣ - حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن يزيد بن أبي عبيد - رحمه الله - قال: « قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال: على الموت »^(٢) .

٥٠٤ - وحديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: « أتاه آت فقال: هذا ابن حنظلة يبايع الناس ، فقال: على ماذا ؟ قال: على الموت . قال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ ، وكان شهد معه الحديبية »^(٣) .

الثاني: قالوا أنه بايعوه على عدم الفرار وهو قول جابر بن عبدالله ومعقل بن يسار .

٥٠٥ - من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة ، فبايعناه ، وعمر رضي الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة قال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت »^(٤) وحديث معقل بن يسار تقدم رقم: ٤٩٧ .

(١) فتح الباري: ٤٥٦/٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٦٩ ، ومسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ١٨٦٠ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٦٧ ، ومسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ١٨٦١ .

(٤) أخرجه مسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الجيش عند إرادة القتال حديث: ٦٧/١٨٥٦ ، والترمذي في السير باب ما جاء في بيعة النبي ﷺ حديث رقم: ١٥٩٤ ، وقال: حسن صحيح وانظر حديث رقم: ٤٩٩ .

الثالث: أنهم بايعوه على الصبر ، وقد جاء هذا من حديث ابن عمر .

٥٠٦- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « رجعنا من العام المقبل ، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها » كانت رحمة من الله فسالنا نافعاً: على أي شيء بايعهم ؟ على الموت ؟ قال: لا ، بل بايعهم على الصبر^(١) .

وفي التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة أسوق قولين للإمام النووي وابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى وبين يدي قوليهما أقول: « إن رسول الله ﷺ تكررت منه البيعة للصحابة رضوان الله عليهم في مواطن عديدة كان هذا الموطن من بينها ، فتارة كان يبايع الصحابة على الجهاد كما حصل يوم الخندق ، وتارة على الإسلام والجهاد كما حصل مع مجاشع بن مسعود يوم فتح مكة ، وتارة على النصح لكل مسلم كما حصل مع جرير بن عبدالله البجلي ، وتارة على عدم الفرار ، وعلى الموت ، وعلى الصبر كما حصل يوم الحديبية فقد بايع قسماً من الصحابة على عدم الفرار ، والآخرى على الموت ، وقسم على الصبر » .

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: « قوله في رواية جابر ومعقل بن يسار بايعناه يوم الحديبية على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت .

وفي رواية سلمة: أنهم بايعوه يومئذ على الموت ، وهو معنى رواية عبدالله بن زيد بن عاصم ، وفي رواية مجاشع بن مسعود: البيعة على الهجرة والبيعة على الإسلام والجهاد ، وفي حديث ابن عمر وعبادة بايعنا على السمع والطاعة ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وفي رواية ابن عمر في غير صحيح مسلم: البيعة على الصبر .

قال العلماء: هذه الرواية تجمع المعاني كلها ، وتبين مقصود كل الروايات ، فالبيعة على أن لا نفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل ، وهو معنى البيعة على الموت ، أي نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت ، لا إن الموت مقصود في نفسه ، وكذا البيعة على الجهاد أي والصبر فيه والله أعلم^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب البيعة في الحرب أن لا يفروا ، وقال بعضهم على الموت حديث رقم: ٢٩٥٨ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: ٣-٢/١٣ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: « إن المبايعة فيها مطلقة ، وقد أخبر سلمة بن الأكوع ، وهو ممن بايع تحت الشجرة أنه بايع على الموت ، فدل ذلك على أنه لا تنافي بين قولهم بايعوه على الموت ، وعلى عدم الفرار ، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفرّوا ولو ماتوا ، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد ، وهو الذي أنكره نافع وعدل إلى قوله (بل بايعهم على الصبر) أي على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا ، والله أعلم » ^(١) .

ويقول في موطن آخر: « وحاصل الجمع أن من أطلق أن البيعة كانت على الموت أراد لازمها ، لأنه إذا بايع على أن لا يفرّ لزّم من ذلك أن يثبت ، والذي يثبت إما أن يغلب وإما أن يؤسر ، والذي يؤسر إما أن ينجو وإما أن يموت ، ولما كان الموت لا يؤمن في مثل ذلك أطلقه الراوي ، وحاصله أن أحدهما حكى صورة البيعة ، والآخر حكى ما تؤول إليه » ^(٢) .

وقال الإمام الترمذي في سننه في تعليقه على الحديث رقم: ١٥٩٣: ومعنى كلا الحديثين صحيح قد بايعه قوم من أصحابه على الموت وإنما قالوا: لا نزال بين يديك حتى نقتل وبايعه آخرون فقالوا: لا نفر ^(٣) .

١٣- إرسال سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي:

٥٠٧- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الآنف الذكر « ... فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه ؟ فقالوا: اتته ، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان: وهو من قوم يعظمون البدن ، فابعثوها له) ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبنون ، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت: فما أرى أن يصدوا عن البيت » ^(٤) .

وقد صرح ابن إسحاق - رحمه الله - في روايته لهذا الحديث باسم ذلك الرجل، وإسناد ذلك الحديث صحيح ، وها أنذا أسوق لفظه ذلك قال ابن إسحاق

(١) فتح الباري: ١١٨/٦ ، في كتاب الجهاد باب البيعة في الحرب على أن لا يفرّوا .

(٢) فتح الباري: ٤٥٠/٧ ، المغازي باب غزوة الحديبية ، في التعليق على حديث سلمة رقم: ٤١٦٩ .

(٣) سنن الترمذي السير باب بيعة النبي ﷺ حديث رقم: ١٥٩٣ .

(٤) انظر التعليق على الحديث ٤٨٨ فإنه جزء منه .

« ... ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحاييش ، وهو أحد بني الحارث بن عبدمناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (إن هذا من قوم يتألهون ^(١)) ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه) ، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي ^(٢) في قلائده ^(٣) وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ^(٤) ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك » .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر : « أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد ، قال : فقالوا له : صه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى » ^(٥) .

١٤- تحذير النبي الصحابة من إيقاد النار في الليل :

٥٠٨- من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ لما كان يوم الحديبية قال : (لا توقدوا ناراً بليل ، فلما كان بعد ذلك قال : أوقدوا واصطنعوا ، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم) ^(٦) .

١٥- أسر رجال من المشركين حاولوا الاعتداء على المسلمين :

٥٠٩- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ضمن حديث طويل سبق ذكر أجزاء منه قال : « ... أتيت شجرة فكسحت شوكتها ^(٧) ، واضطجعت في

(١) يتألهون : يتعبدون ويعظمون أمر الإله .

(٢) عرض الوادي : جانبه .

(٣) القلائد : ما يعلق في أعناق الهدي ليعلم أنه هدي .

(٤) محله : موضعه الذي ينحرف فيه من الحرم .

(٥) سيرة ابن هشام : ٣/ ٣١٢ ، المجلد الثاني من طريق ابن إسحاق بسند صحيح صرح فيه بالتحديث وهو قطعة من حديث طويل في صلح الحديبية .

(٦) أخرجه أحمد في المسند : ٣/ ٢٦ ، قال الهيثمي في المجمع : ٦/ ١٤٥ ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات : وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٣/ ٣٦ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٧) كسحت شوكتها : كنت ما تحتها من الشوك .

أصلها، فأتاني أربعة من أهل مكة من المشركين ، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ ، فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا .
 فينما هم كذلك ، إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين ، قتل ابن زنيم
 قال: فاخترطت سيفي ^(١) ثم شددت ^(٢) على هؤلاء الأربعة ، وهم رقاد ،
 فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً ^(٣) في يدي . قال: ثم قلت: والذي كرم وجه
 محمد ! لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ^(٤) قال: ثم جئت
 بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ .

قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات ^(٥) يقال له مكرز يقوده إلى رسول
 الله ﷺ ، على فرس مجفف ^(٦) في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله
 ﷺ فقال: (دعوهم . يكن لهم بدء الفجور وثناه ^(٧)) فعفا عنهم رسول الله
 ﷺ ، وأنزل الله: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن
 أظفركم عليهم ﴾ ^{(٨)(٩)} .

٥١٠- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن ثمانين رجلاً من أهل
 مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين ، يريدون غرة النبي
 ﷺ وأصحابه ، فأخذهم سلماً ، فاستحياهم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وهو الذي
 كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ ^(١٠) .

(١) اخترطت سيفي: سلته .

(٢) شددت: حملت وكررت .

(٣) ضغثاً: الضغث: الحزمة .

(٤) الذي فيه عينه: رأسه .

(٥) العبلات: قال الجوهري في الصحاح: العبلات من قريش وهم أمية الصغرى ، والنسبة إليهم عبل: ترك
 إلى الواحد .

(٦) مجفف: عليه نجفاف: وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقه السلاح .

(٧) يكن لهم بدء الفجور وثناه: البدء هو الابتداء ، وأما ثناه فمعناه عودة تائبة .

(٨) سورة الفتح: ٢٤ الآية كلها .

(٩) سبق تخريجه في الحديث رقم: ٤٩٣ .

(١٠) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب قوله تعالى: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم ﴾ الآية رقم:
 ١٨٠٨ ، أبو داود في الجهاد باب في المن على الأسير بغير فداء: ٢٦٨٨ ، الترمذي في التفسير باب
 ومن سورة الفتح رقم: ٣٢٦٤ ، وقال حسن صحيح ، وأحمد في المسند: ١٢٢/٣ ، ١٢٥ ، وابن
 جرير في التفسير: ٩٤/٢٦ ، البيهقي في الدلائل: ١٤١/٤ .

وقد جاء من حديث عبدالله بن مغفل ما يدل على أن هذا الأمر حصل أثناء كتابة الصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو، وأن رسول الله دعا على الذين حاولوا مهاجمة المسلمين ، فأخذ الله أبصارهم ، فقبض عليهم المسلمون ، وكان عدد هؤلاء ثلاثين شاباً من قريش ، ثم أطلق رسول الله ﷺ سراحهم ، فلعل ذلك حصل مرة أخرى والله أعلم .

٥١١- من حديث عبدالله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: « كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله عز وجل في القرآن ، وكان يقع في أغصان الشجرة على ظهر النبي ﷺ ، وعلى بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ: (اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، وأنا رسول الله ، فكتب فينما نحن كذلك فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح ، فشاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، فأخذ الله أبصارهم ، فقمنا إليهم ، فقال رسول الله ﷺ: (هل جئتم في عهد أحد وهل جعل لكم أماناً ؟) قالوا: لا ، فخلى سبيلهم ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ (١) .

١٦- نزول المطر على المسلمين يوم الحديبية :

٥١٢- من حديث زيد بن خالد الأنصاري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل علينا فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم ؟) قلنا: الله ورسوله أعلم ، فقال: (قال الله: أصبح من عبادي مؤمن وكافر يي ، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله ، فهو مؤمن يي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنجم كذا ، فهو مؤمن بالكوكب كافر يي) (٢) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٨٧/٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٤٥/٦ ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والحاكم: ٤٦١/٢ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي ، والبيهقي في السنن: ٣١٩/٦ ، وابن جرير في التفسير: ٩٤/٢٦ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٧ ، مسلم في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء حديث رقم: ٧١ ، مسالك في الموطأ: ١٩٢/١ ، أبو داود في السنن رقم: ٣٩٠٦ ، والنسائي: ١٥٦/٣ ، وأحمد في المسند: ١١٧/٤ .

١٧- إرسال مكرز بن حفص لمفاوضة الرسول عليه السلام:

٥١٣- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الطويل الذي سبق أجزاء منه « .. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته ، فقالوا: اتته ، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز ، وهو رجل فاجر) فجعل يكلم النبي ﷺ » (١) .

١٨- إرسال النبي عليه السلام خراش بن أمية الخزاعي لمفاوضة قريش:

٥١٤- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم من رواية الإمام أحمد وابن إسحاق بسند صحيح وسبق أجزاء منه « ... وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحمله على جمل يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعهم الأحابيش ، حتى أتى رسول الله ﷺ » (٢) .

١٩- إرسال سهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول عليه السلام:

٥١٥- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم السابق: « ... أن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي فقالوا: انت محمداً فصالحه ، ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا نتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً » (٣) .

٥١٦- من حديث المسور بن مخرمة ومروان عند البخاري: « ... فبينما هو يكلمه (٤) إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: (قد سهل الله أمركم) قال معمر قال الزهري في حديثه: « فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً ، فدعا النبي ﷺ الكاتب » (٥) .

(١) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

(٢) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٩٦ ، فإن هذا الحديث قطعة من ذلك الحديث الطويل .

(٣) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٩٦ .

(٤) مكرز بن حفص وهو يكلم النبي عليه السلام .

(٥) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

٢٠- كاتب صلح الحديبية:

٥١٧- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية »^(١) .

وقد جاء عن عدد من الصحابة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان هو كاتب الصلح: من حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم^(٢) ، ومن حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم عند أحمد وأبي داود^(٣) ، ومن حديث ابن عباس عند إسحاق بن راهويه^(٤) .

٢١- اعتراض عمر بن الخطاب على كتابة الصلح:

٥١٨- من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه من طريق أبي وائل عنه قال: « قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال: أيها الناس ! اتهموا أنفسكم ، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال: (بلى) ، قال: ليس قتالنا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: (بلى) ، قال: ففيم نعطي الدنية^(٥) في ديننا ، ونرجع ، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال: (يا ابن الخطاب إني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبداً) قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً ، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ! ألسنا على حق ، وهم على باطل ؟ قال: بلى . قال: أليس قتالنا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلى . قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ .

فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ، ولن يضيعه الله أبداً . قال: فتزل

(١) أخرجه البخاري في الصلح باب كيف يكتب ، وهذا ما صالح عليه فلان بن فلان .. حديث رقم: ٢٦٩٨ ، مسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية حديث رقم: ٩٠/١٧٨٣ ، أبو داود في الحج باب المحرم يحمل السلاح حديث رقم: ١٨٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في السير باب صلح الحديبية حديث رقم: ١٧٨٤ .

(٣) أحمد في المسند: ٣٢٥/٤ ، أبو داود في السنن: ٢٧٦٦ ، ورجاله ثقات .

(٤) المطالب العالية رقم: ٤٣٤٥ ، وقال ابن حجر: هذا إسناد صحيح له شاهد في الصحيحين من حديث المسور وغيره .

(٥) الدنية: النقيصة والحالة الناقصة .

القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح. فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه. فقال: يا رسول الله !! أو فتح هو ؟ قال: (نعم) ، فطابت نفسه ورجع ^(١) .

وقد جاءت قصة عمر هذه أيضاً من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الوارد في الصحيحين كما سبق التعليق عليه ^(٢) .

وقد كان موقف بعض الصحابة شبيهاً بموقف عمر بن الخطاب ، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن أنفسهم كما عبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما يتضح لنا من موقف سهل بن حنيف رضي الله عنه في الحديث الذي سأسوقه لاحقاً:

٥١٩- من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: بصفين: « أيها الناس ! اتهموا رأيكم والله لقد رأيتموني يوم أبي جندل ، ولو أنني أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، والله ! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط ، إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه إلا أمركم هذا » ^(٣) .

٢٢- محاوراة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو حول كتابة الكتاب:

٥٢٠- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الذي في الصحيح والذي سبق أجزاء منه « ... فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً ، فدعا النبي ﷺ الكاتب ، فقال النبي ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب باسمك اللهم » كما كنت تكتب ، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال النبي ﷺ: اكتب (باسمك اللهم) ، ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية باب ١٨ ، حدثنا عبدان حديث رقم: ٣١٨٢ ، ومسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية حديث رقم: ١٧٨٥ / ٩٤ ، وأحمد في المسند: ٤٨٦ / ٣ ، وابن جرير في التفسير: ٧٠ / ٢٦ .

(٢) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية باب: ١٨ ، حدثنا عبدان حديث رقم: ٣١٨١ ، وفي المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٨٩ ، مسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية حديث رقم: ٩٥ / ١٨٧٥ ، وانظر حديث رقم: ٥١٨ .

البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبدالله » .

فقال النبي ﷺ : (والله إنني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتب محمد بن عبدالله) قال الزهري: وذلك لقوله: (لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها) فقال له النبي ﷺ : (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به) ، فقال سهيل: « والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ، وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا ، قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً » ^(١) .

٢٣- اعتذار علي عن محو الشهادة للنبي بالرسالة وقيام النبي بذلك:

٥٢١- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية ، فكتب « هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله ، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ، فقال النبي ﷺ لعلي: (امحُ) فقال: ما أنا بالذي أمحاه ، فمحاه النبي ﷺ بيده » ^(٢) .

٢٤- شروط الصلح وبنوده:

وقد جاءت شروط الصلح وبنوده مستوفاة تقريباً في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسند أحمد ، ومن طريق ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام ، وهذا لا يعني أنها ليست موجودة في كتب الحديث الأخرى ، بل وجدت هذه الشروط مفرقة في أحاديث متعددة ، ومن طرق عن صحابة متعددين ، ولكن وجودها في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بصورة جامعة يجعلني أقدم هذه الرواية ، وقد أخرجت بعض ذلك الحديث مفرقاً في عدة مواطن من حديثنا عن غزوة الحديبية كما أشرت إلى ذلك في التعليقات عليه ، وها أنذا أسوق هذه البنود كما جاءت في ذلك الحديث مع حذف بعض الجمل المعترضة خلالها .

(١) انظر تخريجه في الحديث رقم: ٤٨٨ ، فإنه جزء منه .

(٢) سبق تخريجه حديث: ٥١٧ .

٥٢٢- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم « .. باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة ^(١) مكفوفة ^(٢) ، وأنه لا إسلال ^(٣) ، ولا إغلal ^(٤) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وإنك ترجع عنا عامنا هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فتدخلها بأصحابك ، وأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب ، لا تدخلها بغير السيوف في القرب ^(٥) » ^(٦) .

وقد جاءت بعض هذه الشروط من حديث البراء بن عازب عند البخاري ومسلم ^(٧) ومن حديث أنس عند مسلم ^(٨) ، ومن حديث ابن عمر عند البخاري ^(٩) .

٢٥- دخول خزاعة في عهد النبي وبنو بكر في عهد قريش :

٥٢٣- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : « أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتوالت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده ، وتوالت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم » ^(١٠) .

(١) عيبة: مستودع الثياب ، والعرب تكني عن القلوب والصدور بالعياب لأنها مستودع السرائر ، ويريد بذلك أن بينهم صدراً نقياً من الغل والخداع مطوياً على الوفاء بالصلح .

(٢) مكفوفة: المشدودة ، وقيل أراد أن بينهم موادة ومكافة عن الحرب تحريان مجرى المودة التي تكون بين المتخاصمين .

(٣) إسلال: السرقة الخفية .

(٤) إغلal: الحقد والشحناء .

(٥) القرب: ما يوضع فيه السيف وهو الغمد .

(٦) انظر التعليق على الحديث: ٤٩٦ .

(٧) أخرجه البخاري في الصلح باب الصلح مع المشركين حديث رقم: ٢٧٠٠ ، مسلم حديث رقم: ١٧٨٣ .

(٨) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٧٨٤ .

(٩) أخرجه البخاري في الصلح باب: الصلح مع المشركين حديث رقم: ٢٧٠١ .

(١٠) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٩٦ .

٢٦- قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو:

٥٢٤- من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة الذي في الصحيح ، وسبقت منه أجزاء متعددة في أماكن شتى من هذه الغزوة وأشير إليها في أمكنتها ، وما جاء فيها أنهم في أثناء كتابتهم لبند الاتفاقية جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فطالب والده برده التزاماً بالشروط « ... فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرصف في قيوده ^(١) ، وقد خرج من أسفل الكعبة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي .

فقال النبي ﷺ: (إنا لم نقض الكتاب بعد) ^(٢) ، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً قال النبي ﷺ: (فأجزه لي) ، قال: ما أنا بمجيزه لك ، قال: (بلى فافعل) ، قال: ما أنا بفاعل ، قال مكرز: بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله ^(٣) .

وفي الطريق الآخر عند الإمام أحمد وابن إسحاق زيادة لطيفة أوردها هنا ، وهي أيضاً من طريق مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة « ... فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذا جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقال: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوها رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ثم قال: « يا محمد قد لجت القضية ^(٤) بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا » ، قال: (صدقت) ، فقام إليه ، فأخذ بتلييه ^(٥) .

قال: وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معاشر المسلمين أتردونني إلى أهل

(١) يرصف في قيوده: يمشي بطيئاً بسبب قيوده .

(٢) إنا لم نقض الكتاب بعد: أي لم نفرغ من كتابته .

(٣) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٨٨ .

(٤) لجت القضية: وجبت .

(٥) تلييه: يقال أخذت بتلييب فلان: إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسُه وقبضت عليه

الشرك فيفتنونني في ديني ، قال: فزاد الناس شراً إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله عز وجل جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، فأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عليه عهداً ، وإنا لن نغدر بهم) .

قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل ، فجعل يمشي إلى جنبه ، وهو يقول: اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال: ويدني قائم السيف منه ، قال: يقول: رجوت أن يأخذ السيف ، فيضرب به أباه قال: فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية) ^(١) .

٢٧- مشورة أم سلمة على رسول الله ﷺ في الحلق والنحر:

٥٢٥- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الذي في الصحيح جاء ما يلي: « ... قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا ، فأنحروا ، ثم احلقوا) ، قال: فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد ، دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو بالحق فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه ، فلما رأوا ذلك قاموا ، فأنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً » ^(٢) .

٢٨- الشجرة التي بويع النبي تحتها وشأنها:

٥٢٦- من حديث طارق بن عبد الرحمن قال: « انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، قلت: ما هذا المسجد ؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب ، فأخبرته: فقال سعيد: حدثني أبي « أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها ، وعلمتموها أنتم ؟ فأنتم أعلم » ^(٣) .

(١) انظر الحديث رقم: ٤٩٦ .

(٢) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٦٣ ، مسلم في الإمامة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال حديث رقم: ٧٧/١٨٥٩ .

٢٩- قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية...﴾:

٥٢٧- من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية، ونحن محرمون، وقد حصرنا المشركون، قال: وكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط من رأسي، فمر بي النبي ﷺ فقال: (أيؤذيك هوام رأسك؟) قلت: نعم: وأنزلت هذه الآية ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾^{(١) (٢)}.

٣٠- منزلة أهل الحديبية:

٥٢٨- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النبي ﷺ: (وأنتم اليوم خير أهل الأرض) وقال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة»^(٣).

٥٢٩- ومن حديث جابر أيضاً قال: «أن عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله! ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية)^(٤).

٥٣٠- ومن حديث جابر بن عبد الله أيضاً قال: أخبرني أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها. فقالت: حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردةا﴾^(٥) فقال النبي ﷺ: (قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾)^(٦).

(١) سورة البقرة: ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية أحاديث رقم: ٤١٥٩، ٤١٩٠، ٤١٩١، ومسلم رقم: ١٢٠١، وأبو داود رقم: ١٨٥٦، ١٨٥٧، ١٨٥٩، ١٨٦٠، والترمذي رقم: ٩٥٣، ٢٩٧٣، ٢٩٧٤، والنسائي رقم: ٢٨٥١، وأحمد في المسند: ٢٤١/٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ومالك في الموطأ: ٤١٧/١.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٤، مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام للجيش عند إرادة القتال حديث رقم: ٧١/١٨٥٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر حديث رقم: ٢٤٩٥، والترمذي في المناقب باب ٥٩، حديث رقم: ٣٨٦٤، وأحمد في المسند: ٣٢٥/٢، ٣٤٩، والحاكم: ٣٠١/٣، والبيهقي في الدلائل: ١٥٣/٣، ١٤٤/٤.

(٥) مريم: ٧١.

(٦) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب عن فضائل أصحاب الشجرة حديث رقم: ٢٤٩٦.

٣١- فتیان الصحابة يستقون الماء :

٥٣١- من حديث جابر رضي الله عنهما قال : « أقبلنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا كنا بالسقيّا ^(١) ، قال معاذ : من يسقينا في أسقيتنا ؟ قال : فخرجت في فتیان معي حتى أتينا الأثاية ^(٢) ، فأسقينا ، واستقينا ، قال : فلما كان بعد عتمة الليل ، إذا رجل ينازعه بعيه الماء ، فإذا رسول الله ﷺ ، فأخذت راحلته فأنختها ، قال : فتقدم فصلى العشاء ، وأنا عن يمينه ، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة » ^(٣) .

٣٢- الفتح هو صلح الحديبية :

٥٣٢- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » ^(٤) .

٥٣٣- من حديث مجمع بن جارية رضي الله عنه قال : « شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس قرأ عليهم : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ الآية ، فقال رجل : يا رسول الله أوفتح هو ؟ قال : أي والذي نفسي بيده إنه لفتح » ^(٥) .

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر في الفتح : « وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات ، فقوله تعالى : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ المراد بالفتح هنا الحديبية ، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين ، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ، ورفع الحرب ، وتمكن من

وابن ماجه رقم : ٤٢٨١ ، وابن أبي عاصم رقم : ٨٦٠ ، وابن سعد في الطبقات : ٣٣٦/٨ ، وأحمد في المسند : ٢٨٥/٦ ، ٣٦٢ ، ٤٢٠ والطبري في التفسير : ٨٥/١٦ ، والبيهقي في الدلائل : ١٤٣/٤ ، والطبراني في الكبير : ٢٥/٢٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ .

(١) السقيّا : قرية على بعد مائة ميل إلا أربعة أميال عن المدينة نحو مكة .

(٢) الأثاية : موضع بطريق الجحفة بينه وبين المدينة ٧٥ ميلاً ، وفيه بئر وعليها مسجد .

(٣) المطالب العالبي رقم : ٤٣٤٦ ، وقال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن ، وقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ، ووافقه البوصيري على ذلك .

(٤) سبق تخريجه حديث رقم : ٤٩٢ .

(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد باب فيمن أسهم له سهماً حديث : ٢٧٣٦ ، والحاكم : ٤٥٩/٢ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه وقال الذهبي : ولم يخرج مسلم لمجمع ولا لأبيه شيئاً ، هما نقتان ، وابن جرير : في التفسير : ٧١/٢٦ .

يخشى الدخول في الإسلام، والوصول إلى المدينة من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما ، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح .

وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي عن الزهري قال: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه ، إنما كان الكفر حيث القتال ، فلما أمن الناس كلهم ، كلم بعضهم بعضاً ، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل في تلك الستين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام: ويدل عليه أنه ﷺ خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد ستين إلى فتح مكة في عشرة آلاف « انتهى » .

وهذه الآية نزلت منصرفه عليه السلام من الحديبية ، وأما قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ وَأَنَابِهِمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ ، فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح ، لأنها هي التي وقعت فيها المغنم الكثيرة للمسلمين .

وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن حارثه قال: شهدنا الحديبية ، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ الآية فقال رجل: يا رسول الله أوفتح هو ؟ قال: (أي والذي نفسي بيده إنه لفتح) . ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية .

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ قال: صلح الحديبية ، وغفر له ما تقدم وما تأخر ، وتبايعوا ببيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المسلمون بنصر الله .

أما قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ فالمراد الحديبية ، وأما قوله: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وقوله: ﴿ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ﴾ ، فالمراد بها فتح مكة باتفاق ، فهذا يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال . بعون الله تعالى ^(١) .

(١) فتح الباري: ٤٤٢/٧ ، في التعليق على حديث البراء رقم: ٤١٥٠ .

٣٣- نزول سورة الفتح أثناء الرجوع من صلح الحديبية :

٥٣٤- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ قال: الحديبية . قال أصحابه: هنيئاً مريئاً ، فما لنا ؟ فأنزل الله ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ قال شعبة فقدمت الكوفة ، فحدثت بهذا كله عن قتادة ، ثم رجعت فذكرت له ، فقال: أما ﴿ إنا فتحنا ﴾ فعن أنس بن مالك وأما « هنيئاً مريئاً » فعن عكرمة ، واللفظ للبخاري .

وفي رواية مسلم بعض الزيادة اللطيفة أوردوها لتمام الفائدة فعن قتادة أن أنس ابن مالك حدثهم قال: « لما نزلت: ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ﴾ - إلى قوله: ﴿ فوزاً عظيماً ﴾^(١) مرجعه من الحديبية ، وهم يخالطهم الحزن والكآبة ، وقد نحر الهدي بالحديبية ، فقال: (لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً)^(٢) .

٥٣٥- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال زيد بن أسلم عن أبيه: (أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره - وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله ، فلم يجبه . وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل في قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، فقال: (لقد أنزلت علي الليلة سورة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) ، ثم قرأ: ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾^(٣) .

(١) سورة الفتح: ٥-١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٧٢ ، مسلم في الصحيح الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية رقم: ١٧٨٦ ، الترمذي في السنن تفسير سورة الفتح: ٣٢١٣ ، وأحمد في المسند: ١٢٢/٣ ، ١٣٤ ، ١٥٣ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٢٥٢ ، وابن حبان في موارد الظمان: ٤٣٦ ، والحاكم: ٤٥٩/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٧٧ ، وقد جاء أيضاً بأرقام: ٤٨٣٣ ، ٥٠١٢ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة الفتح حديث رقم: ٣٢٦٢ ، وقال: حسن صحيح غريب ، وأحمد في المسند: ٣١/١

المبحث الثاني: إسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهجرتها

٥٣٦- من حديث مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: « لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أن لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا ، وخليت بيننا وبينه ، فكره المؤمنون ذلك ، وامتنعوا منه ، وأبى سهيل إلا ذلك ، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك ، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة ، وإن كان مسلماً .

وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ ، وهي عاتق ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بأيمانهن - إلى قوله: ولا هم يحلون لهن ﴾^{(٢)(١)} .

المبحث الثالث: مبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء

٥٣٧- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله عز وجل ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ﴾^(٣) ، إلى آخر الآية . قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة .

وكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن ، قال لهن رسول الله ﷺ : (انطلقن فقد بايعتكن) ، ولا والله: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط . غير أنه يبایعن بالكلام .

قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط ، إلا بما أمره الله تعالى ، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: (قد بايعتكن) كلاماً « اللفظ لمسلم^(٤) .

(١) الممتحنة: آية رقم: ١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الشروط باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة رقم: ٢٧١١ ، ٢٧١٢ .

(٣) سورة الممتحنة: ١٢ .

(٤) أخرجه البخاري في الطلاق باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي رقم: ٥٢٨٨ ،

المبحث الرابع : قصة أبي بصير رضوان الله عليه

٥٣٨- من حديث مروان بن الحكم والمصور بن مخزوم الوارد في الصحيح في قصة صلح الحديبية والذي أخرجه البخاري في كتاب الشروط « ... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم (وقال يحيى عن ابن المبارك) فقدم عليه أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلماً مهاجراً .

فاستأجر الأخنس بن شريق رجلاً كافراً من بني عامر بن لؤي ومولى معه ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا فيه ، فدفعه إلى الرجلين .

فخرجوا به حتى بلغا به ذا الحليفة ، فزلاوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً ، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ، ثم جربت ، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه به حتى برد ^(١) ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ: (لقد رأى هذا ذعراً) ^(٢) .

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإنني لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم ، فقال النبي ﷺ: (ويل أمه ^(٣) مسعر حرب لو كان له أحد) ^(٤) فلما عرف ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر ^(٥) قال: وينفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت فيهم عصابة ^(٦) .

مسلم في الإمارة باب كيفية بيعة النساء رقم: ١٨٦٦ ، الترمذي في تفسير القرآن باب ومن سورة المنتحة: ٣٣٠٦ ، وقال: حسن صحيح وابن ماجه في الجهاد باب بيعة النساء رقم: ٢٨٧٥ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف رقم: ١٦٦٤٧ .

(١) برد: مات .

(٢) ذعراً: خوفاً .

(٣) ويل أمه: كلمة ذم تقولها العرب ولا يقصدون معنى لها من الذم لأن الويل الهلاك كقولهم لأمه الويل . والمراد هنا التعجب من إقدامه إلى الحرب والنهوض لها وإسعاد ناراها .

(٤) لو كان له أحد ينصره ويؤازره على إيقاد نار الحرب لأثار الفتنة وأفسد الصلح .

(٥) سيف البحر: ساحل البحر وهو طريق قريش إلى الشام .

(٦) عصابة: الجماعة وهي ما بين العشر إلى الأربعين .

قال: فوالله لا يسمعون بعير ^(١) خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها ، فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ إليهم ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ حتى بلغ الحمية حمية الجاهلية (^(٢)).

وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله ﷺ ، ولم يقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت ^(٣) .

المبحث الخامس: غزوة ذي قرد أو غزوة الغابة ^(٤)

١- وقتها:

اختلف في وقتها على قولين:

١- قول للإمام البخاري بأنها قبل خيبر بثلاث - يعني ليل - أي بعد الحديبية ، وجزم بذلك ، ورجح ذلك الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح ، وأيده في ذلك البيهقي في الدلائل ، وابن القيم في زاد المعاد ^(٥) .

٢- أما أصحاب المغازي والسير فيذكرون أنها قبل الحديبية ، وعلى ذلك ابن إسحاق ، وابن سعد ، ومحمد بن عمر الواقدي .

وما في الصحيح أصح من قول أصحاب المغازي والسير ؛ لأن له مستند من حديث سلمة بن الأكوع الذي أخرجه مسلم من طريقه فقال: « فرجعنا أي من الغزوة إلى المدينة ، فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليل حتى خرجنا إلى خيبر » .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح « ومستنده في ذلك حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ، فإنه قال في آخر الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم من طريقه: « قال فرجعنا - أي من الغزوة - إلى المدينة فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليل »

(١) العير: القافلة .

(٢) الفتح: آية: ٢٤ .

(٣) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٨٨ .

(٤) ذي قرد: ماء على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان .

(٥) فتح الباري: ٧/٤٦٠ ، البيهقي في الدلائل: ٤/١٧٨ ، زاد المعاد: ٣/٢٧٩ .

حتى خرجنا إلى خيبر « أما ابن سعد فقال كانت غزوة ذي قرد في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية ، وقيل في جمادى الأولى » وعن ابن إسحاق في شعبان منها فإنه قال : « كانت بنو لحيان في شعبان سنة ست ، فلما رجع النبي ﷺ إلى المدينة فلم يقم بها إلا ليالي حتى أغار عيينة بن حصن على لقاحه » .

قال القرطبي شارح مسلم في الكلام على حديث سلمة بن الأكوع : لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية ، فيكون ما وقع في حديث سلمة ابن الأكوع من وهم بعض الرواة ، قال : ويحتمل أن يجمع بأن يقال : يحتمل أن يكون النبي ﷺ كان أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها ، فأخبر سلمة عن نفسه ، وعمن خرج معه يعني حيث قال : خرجنا إلى خيبر ، قال ويؤيده أن ابن إسحاق ذكر أن النبي ﷺ أغزى إليها عبدالله بن رواحة قبل فتحها مرتين . انتهى .

قال الحافظ « وسياق الحديث يأبى هذا الجمع ، فإن فيه بعد قوله وحين خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ ، فجعل عامر يرتجز بالقول ، وفيه قول النبي ﷺ مَنْ السائق ؟) ، وفيه مبارزة علي لمرحب ، وقتل عامر ، وغير ذلك مما وقع في غزوة خيبر حين خرج إليها النبي ﷺ ، فعلى هذا ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أهل السير ، ويحتمل في طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقاح وقعت مرتين الأولى التي ذكرها ابن إسحاق ، وهي قبل الحديبية ، والثانية بعد الحديبية قبل الخروج إلى خيبر ، وكان رأس الذين أغاروا عبدالرحمن بن عيينة كما في سياق سلمة عند مسلم .

ويؤيده أن الحاكم ذكر في (الإكليل) أن الخروج إلى ذي قرد تكرر ، ففي الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد ، وفي الثانية خرج إليها النبي ﷺ في ربيع الآخر سنة خمس ، والثالثة هذه المختلف فيها . انتهى . فإذا ثبت هذا قوي هذا الجمع الذي ذكرته ، والله أعلم ^(١) .

(١) فتح الباري : ٤٦١/٧ - ٤٦١ .

٢ - أحداثها:

٥٣٩- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من طريق يزيد بن أبي عبيد: قال: « سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالأولى^(١) . وكانت لقاح^(٢) رسول الله ﷺ ترعى بذئ قدرد قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان ، قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه ! قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة^(٣) ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذئ قدرد ، وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم ببلي ، وكنت رامياً وأقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٤)

فارتجز ، حتى استنفذت^(٥) اللقاح منهم ، واستلبت منهم ثلاثين بردة ، قال: وجاء النبي ﷺ والناس، فقلت: يا نبي الله ! إني قد حميت^(٦) القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال: (يا ابن الأكوع ! ملكت فاسجح)^(٧) ، قال: ثم رجعنا ، ويردني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة^(٨) .

٥٤٠- ومن حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه: في حديث طويل سبق ذكر أجزاء منه في صلح الحديبية سأشير إلى رقمها في التعليق على الحديث « ... قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة ، فنزلنا منزلاً ، بيننا وبين بني لحيان جبل ،

(١) قبل أن يؤذن بالأولى: أي الصلاة الأولى يريد بها صلاة الصبح .

(٢) لقاح: واحدا لقحة وهي ذات اللبن قرية العهد بالولادة .

(٣) ما بين لابتي المدينة: اللابة: أكرة الأرض ذات الحجارة السوداء ، والمدينة واقعة بين حرتين عظيمتين يريد أنه أسمع بصرخاته جميع أهل المدينة .

(٤) يوم الرضع: معناه اليوم يوم هلاك اللثام .

(٥) استنفذت: أنقذت .

(٦) حميت القوم: منعتهم الماء .

(٧) اسجح: احسن وارفق ، والسجاجة السهولة .

(٨) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات القرد رقم: ٤١٩٤ ، ومسلم في الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها حديث رقم: ١٨٠٦ ، وأبو داود في السنن رقم: ٢٧٥٢ ، وأحمد في المسند: ٤٨/٤ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم: ٩٧٨ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١٨٠-١٨١ ، وفي السنن: ٢٣٦/١٠ ، والطبراني في الكبير: ٦٢٨٤ .

وهم المشركون ^(١) . فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة ، كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه . قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً . ثم قدمنا المدينة ، فبعث رسول الله ﷺ بظهره ^(٢) مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه ، وخرجت معه بفرس طلحة ، أنديه ^(٣) مع الظهر ، فلما أصبحنا إذا عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه ، قال: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس ، فأبلغه طلحة بن عبيد الله ، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه . قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة ، فناديت ثلاثاً: يا صباحاه ، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل . وأرتجز . أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع
فألحق رجلاً منهم . فأصك سهماً في رحله ، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه ، قال: قلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع
قال: فوالله ! ما زلت أرميهم وأعقر بهم ^(٤) « فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة ، فجلست في أصلها ثم رميته ، فعقرت به . حتى إذا تضايق الجبل ، فدخلوا في تضايقه ^(٥) ، علوت الجبل ، فجعلت أرديهم بالحجارة ^(٦) . قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، واخلوا بيني وبينه ، ثم أتبعتهم أرميهم ، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة ، وثلاثين رمحاً ، يستخفون ^(٧) ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من

(١) وهم المشركون: هم أمر المشركين النبي ﷺ خوف أن يبيتهم ويغيروا عليهم لقربهم منهم .

(٢) ظهره: الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال .

(٣) أنديه: معناه أن يورد الماشية الماء فتسقي قليلاً ثم ترسل إلى المرعى ، ثم ترد الماء فتزد قليلاً ثم ترد إلى المرعى .

(٤) أعقر بهم: أقتل رواحلهم .

(٥) دخلوا في تضايقه: التضايق ضد الاتساع أي دخلوا في تضايقه أي المحل المتضايق منه بحيث استتروا به عنه فصار لا يبلغهم ما يرميهم به من السهام .

(٦) أرديهم بالحجارة: أسقطهم عن رواحلهم بضربهم بالحجارة من أعلى الجبل .

(٧) يستخفون: يطلبون الخفة .

الحجارة ، يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى أتوا متضايقاً من ثنية ^(١) ، فإذا هم قد أتاهاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعني يتغذون) وجلست على رأس قرن ^(٢) فقال الفزاري: ما هذا الذي أرى ؟ قالوا: لقينا من هذا البرح ^(٣) . والله ما فارقنا منذ غليس . يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا . قال: فليقم إليه نفر منكم . أربعة . قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل . قال: فلما أمكنوني من الكلام . قال: قلت: هل تعرفوني ؟ قالوا: لا . ومن أنت ؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجهه محمد ﷺ ! لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم: أنا أظن . قال: فرجعوا . فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر ^(٤) .

قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي ، على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي . قال: فأخذت بعنان الأخرم . قال: فولوا مدبرين . قلت: يا أكرم ! احذرهم . لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال: يا سلمة ! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال: فخليته . فالتقى هو وعبدالرحمن ، قال فعقر بعبدالرحمن فرسه ، وطعنه عبدالرحمن فقتله وتحول على فرسه . ولحق أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فقتله ، فوالذي كرم وجهه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي ، حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم ، شيئاً ، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء ، يقال له ذو قرد ، ليشربوا منه وهم عطاش ، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم ، فحليتهم عنه ^(٥) (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة .

قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية . قال: فأعدو فالحق رجلاً منهم ، فاصكه

(١) الثنية: العقبة والطريق في الجبل .

(٢) القرن: جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير .

(٣) البرح: الشدة .

(٤) يتخللون الشجر: يدخلون من خلالها .

(٥) حليتهم عنه: طردتهم عنه .

بسهم في نغض كتفه ^(١) . قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع، قال: يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ^(٢) . قال: قلت: نعم يا عدو نفسه ! أكوعك بكرة . قال: وأردؤا فرسين على ثنية . قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ . وقال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن ^(٣) ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضأت وشربت .

ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حللته عنهم ^(٤) ، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل ، وكل شيء استنقذت من المشركين، وكل ربح وبردة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم ، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله! خلني فانتخب من القوم مائة رجل . فاتبع القوم ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته .

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجده ^(٥) في ضوء النار . فقال: (يا سلمة أترأك كنت فاعلاً ؟) قلت: نعم . والذي أكرمك ! فقال: (إنهم الآن ليقرؤن ^(٦) في أرض غطفان) ، قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً ، فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً . فقالوا: أتاكم القوم . فخرجوا هارين ، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ (كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة) قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الراجل . فجمعها لي جميعاً ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء . راجعين إلى المدينة .

(١) نغض: العظم الرقيق على طرف الكتف .

(٢) يا ثكلته أمه ، أكوعه بكرة: ثكلته أمه ، فقدته ، وقوله أكوعه بكرة: أي أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار ، ولهذا قال: نعم .

(٣) سطيحة فيها مذقة من لبن: إناء من جلود سطح بعضها على بعض والمذقة قليل من لبن ممزوج بماء .

(٤) حللته: أبعدتهم .

(٥) نواجده: أنيابه .

(٦) يقرؤن: يضافون . القرى: الضيافة .

٣- سباق بين سلمة ورجل من الأنصار:

« قال: فبينما نحن نسير . قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً^(١) ، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال: لا . إلا أن يكون رسول الله ﷺ . قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي ! ذرني فلاسابق الرجل . قال: (إن شئت) . قال: قلت: أذهب إليك . وثنيت رجلي فطفرت^(٢) فعدوت . قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي^(٣) ، ثم عدوت في إثره ، فربطت عليه شرفاً أو شرفين ، ثم إنني رفعت حتى الحقه^(٤) . قال: فأصكه بين كتفيه . قال: قلت: قد سبقت والله ! قال: أنا أظن . قال: فسبقته إلى المدينة »^(٥) .

٤- قصة المرأة المسلمة التي أسرت مع ناقة رسول الله العضاء:

٥٤١- من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: « كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل ، وأصابوا معه العضاء^(٦) . فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق . قال: يا محمد ! فاتاه فقال: (ما شأنك ؟) قال: بم أخذتني ، وبم أخذت سابقة الحاج^(٧) ؟ فقال: (إعظماً لذلك) : (أخذتك بجزيرة حلفائك ثقيف) ثم انصرف عنه فناداه ، فقال: يا محمد ! يا محمد !

(١) شداً: عدوا على الرجلين .

(٢) طفرت: وثبت وقفرت .

(٣) ربطت شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي: ربطت حبست نفسي عن الجري الشديد والشرف ما ارتفع من الأرض ، أستبقي نفسي: أي لئلا يقطعني البهر .

(٤) رفعت حتى الحقه: أسرعت .

(٥) أخرجه مسلم في الجهاد باب غزوة ذي قرد وغيرها رقم: ١٨٠٧ ، وأبو داود في الجهاد باب في السرية ترد على أهل العسكر رقم: ٢٧٥٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٣٣/١٤ ، ٣٥٨ ، والبيهقي في الدلائل: ١٨٢/٤ ، ١٨٦ ، وابن سعد في الطبقات: ٨١/٢ ، ٨٤ ، والطبري في التاريخ: ٥٩٦/٢ ، ٦٠٠ ، وأحمد في المسند: ٥٢/٤ ، ٥٤ ، وقد سبق أجزاء من الحديث تحت رقم: ٤٩٣ ، ٥٠٠ ، ٥٠٩ ، فانظرها .

(٦) العضاء: ناقة نجية كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ .

(٧) سابقة الحاج: أراد بها العضاء فإنها كانت لا تسبق ، ولا تكاد تسبق . معروفة بذلك .

وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً ، فرجع إليه فقال: (ما شأنك ؟) قال: إني مسلم . قال: (لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح) ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد ! يا محمد ! فاتاه فقال: (ما شأنك ؟) قال: إني جائع فأطعمني ، وظمآن فاسقني قال: (هذه حاجتك) ، ففدى الرجلين .

قال: وأسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء ، فكانت المرأة في الوثاق . وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي ييوتهم . فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل . فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه . حتى تنتهي إلى العضباء . فلم ترغ . قال: وناقة منوقة ^(١) فقعدت في عجزها ، ثم زجرتها ، فانطلقت ونذروا بها ^(٢) ، فطلبوها ، فأعجزتهم ، وقال: ونذرت لله ! إن نجأها الله عليها لتتحرنها ، فلما قدمت المدينة رآها الناس . فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ . فقالت: إنها نذرت إن نجأها الله عليها لتتحرنها . فأتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له فقال: (سبحان الله ! بشما جزتها ، نذرت لله إن نجأها الله عليها لتتحرنها . لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك العبد) ^(٣) .

(١) وناقة منوقة: مذلة .

(٢) نذروا بها: علموا وأحسوا بهربها .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب النذور باب لا وفاء لنذر في معصية الله رقم: ١٦٤١ ، أحمد في المسند: ٤٣٣/٤ - ٤٣٤ ، الدارمي في السنن كتاب السير باب إذا أحرز العدو من مال المسلمين: ٢٣٦/٢ .

المبحث السادس: غزوة خيبر

١- وقتها:

اختلف أهل السير في وقتها على قولين:

الأول: قول ابن إسحاق في المغازي وموسى بن عقبة بأنها كانت في آخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة ، وقال ابن القيم: والجمهور على أنها في السابعة ، وأيده أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح .

ويؤيد هذا القول ما أورده ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري ، عن عروة ، عن مروان بن الحكم ، والمسور بن مخرمة أنهما قالوا: « انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة ، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ﴾^(١) يعني خيبر فقدم المدينة في ذي الحجة ، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم » ، ورجاله ثقات ، وسنده حسن^(٢) .

ويؤيده أيضاً ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليال كما جاء في نص الحديث بقوله « قال فسبقتة إلى المدينة . قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ » .

الثاني: قول مالك بأنها كانت في السنة السادسة وأيده ابن حزم في ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: « وهذه الأقوال متقاربة ، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق ، ويمكن الجمع بينها بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول^(٣) » .

(١) سورة الفتح: ٢٠ .

(٢) فتح الباري: ٤٦٤/٧ ، دلائل النبوة لليهقي: ١٩٧/٤ ، زاد المعاد: ٣/٣١٧ ، السيرة النبوية لابن كثير: ٣/٢٤٤ .

(٣) فتح الباري: ٤٦٤/٧ .

٢- استخلاف النبي سباع بن عرفطة الغفاري أثناء غيابه :

٥٤٢- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الهيثم بن عراك عن أبيه : « أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه ، والنبي ﷺ بخير ، وقد استخلف سباع ابن عرفطه على المدينة ^(١) قال : فانتهيت إليه ، وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بكهيعص ، وفي الثانية ويل للمطففين قال : فقلت لنفسي : ويل لفلان إذا اكتال ! اكتال بالوافي ، وإذا كال كال بالناقص ، قال : فلما صلى زودنا شيئاً حتى آتينا خبير ، قال فكلّم رسول الله ﷺ المسلمين فأشركونا في سهامهم » ^(٢) .

٣- حذاء عامر بن الأكوع بجيش المسلمين :

٥٤٣- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والقين سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أيينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ : (من هذا السائق ؟) قالوا : عامر بن الأكوع ، قال : (يرحمه الله) . قال رجل من القوم : وجبت يا نبي الله ، لولا أمتعتنا به... » ^(٣) .

وفي رواية أخرى لسلمة بن الأكوع رضي الله عنه انفرد بها الإمام مسلم في

(١) في السيرة النبوية لابن هشام : ٣٢٨/٢ ، أنه استعمل نيلة بن عبدالله الليثي ، فالمقدم عندنا ما في رواية أبي هريرة ، لأن الخبر عند ابن هشام روي بغير إسناد بل هو مقطوع .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٣٤٦-٣٤٥/٢ ، وقال الشيخ الساعاتي : إسناده جيد ، وأخرجه البيهقي في الدلائل : ١٩٨/٤ ، الطيالسي : ١٠٥/٢ ، رقم : ٢٣٦٣ ، والحاكم في المستدرک : ٣٧٠-٣٦٦/٣ ، وقال : صحيح ، ووافقه الذهبي ، والبخاري في التاريخ الصغير : ١٨/١ ، وأشار الحافظ ابن حجر في الإصابة : ١٣/٢ ، أن حديث أبي هريرة هذا رواه ابن خزيمة والبخاري في التاريخ الصغير والطحاوي .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم : ٤١٩٦ ، مسلم في الصحيح الجهاد باب غزوة خيبر رقم : ١٨٠٢ .

صحيحه من ضمن حديث طويل ، ذكر فيه سلمة قصة غزوة الحديبية ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة خيبر ، وقد سبق أجزاء منه في مواطن متعددة أشرنا إليها في أمكتنها قال سلمة بعد مسابقته للأنصاري وسبقه له « ... قال: فسبقته إلى المدينة. قال: فوالله ! ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ ، قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغينا فثبت الأقدام إن لاقينا
وانزلن سكينه علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا ؟) قال: أنا عامر ، قال: (غفر لك ربك) قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنأدى عمر بن الخطاب ، وهو على جملة: يا نبي الله؟ لولا ما متعتنا بعامر... »^(١).

٥٤٤- وقد جاء من حديث دهر الأسلمي رضي الله عنه « أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان: (انزل يا ابن الأكوع ، فخذ لنا من هنالك) ، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إننا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينه علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا

زاد الطبري في روايته « فقال رسول الله ﷺ: (يرحمك الله) فقال عمر: وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ، فقتل يوم خيبر شهيداً »^(٢).

(١) انظر التعليق على حديث رقم: ٥٤٠ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤٣١/٣ ، وابن هشام في السيرة: ٤٥٥/٣ . قال الهيثمي في المجمع: ١٤٨/٦ - ١٤٩ ، رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات .

٤- طعام جيش المسلمين في طريقهم إلى خيبر :

٥٤٥- من حديث سويد بن النعمان رضي الله عنه: « أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد ، فلم يؤت إلا بالسويق ، فأمر به فشري ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ » ^(١).

٥- مفاجأة المسلمين لأهل خيبر وقوله عليه السلام (الله أكبر ! خربت خيبر)

٥٤٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ غزا خيبر قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس ، فركب نبي الله ﷺ ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر ، وإن ركبتني لتمس فخذ نبي الله ﷺ ، فلما دخل القرية قال: (الله أكبر ! خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) قالها ثلاث مرار .

قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد - قال عبدالعزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس ، قال: وأصبناها عنوة « لفظ مسلم .

وأما لفظ البخاري فيقول: « إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس . فقال النبي ﷺ: خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ^(٢).

٥٤٧- ومن حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: « كنت رديف رسول الله ﷺ ، فسكت عنهم حتى إذا كان عند السحر ، وذهب ذو الضرع إلى ضرعه ،

(١) أخرجه البخاري في الوضوء باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ حديث رقم: ٢٠٩ ، وقد جاء بأرقام عدة عند البخاري: ٢١٥ ، ٢٩٨١ ، ٤١٧٥ ، ٤١٩٥ ، ٥٣٨٤ ، ٥٣٩٠ ، ٥٤٥٤ ، ٥٤٥٥ ، وعبدالرزاق: ٦٩١ ، الحميدي: ٤٣٧ ، وابن أبي شيبة: ٤٨/١ ، وأحمد في المسند: ٤٦٢/٣ ، والطبراني رقم: ٦٤٥٥ ، ٦٤٦٣ ، وأخرجه ابن ماجه في السنن الطهارة باب الرخصة في ذلك يعني عدم الوضوء مما مست النار ، حديث رقم: ٤٩٢ ، والسويق: دقيق يتخذ من الشعير أو القمح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤١٩٧ ، ٤١٩٨ ، مسلم في الجهاد باب غزوة خيبر رقم: ١٣٦٥ ، صفحة: ٣/١٤٢٦ ، مالك ٤٦٨/٢ ، الترمذي في السير باب البيات والغارات رقم: ١٥٥٠ ، وقال حسن صحيح ، النسائي: ٢٧٢/١ ، وأحمد: ١٠٢/٣ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ٢٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ .

وذو الزرع إلى زرعه أغار عليهم ، وقال : (إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) ^(١) .

٦- حملة راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر .

أ- أبو بكر رضي الله عنه :

٥٤٨- من حديث بريده رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة ^(٢) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل بخيبر أخذته الشقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر رضي الله عنه أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع » ^(٣) .

ب - عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

٥٤٩- من حديث علي رضي الله عنه قال : « سار النبي ﷺ إلى خيبر ، فلما أتاه بعث عمر رضي الله تعالى عنه ، وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم ، فقاتلوهم ، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه ، فجاءوا يجبنونه ويجبنهم ، فسار النبي ﷺ إليهم ... الحديث » ^(٤) .

ج - علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

٥٥٠- من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : (لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم : أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ؟ ، فقال : (أين علي ابن أبي طالب ؟) فقليل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢٨/٤ ، ٢٩ ، والطبراني برقم: ٤٧٠٣ ، ٤٧٠٤ ، ٤٧٠٥ ، قال الهيثمي في المجمع: ١٤٨/٦ : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح » وقال أيضاً: ١٤٩/٦ ، رواه أحمد والطبراني بإسناد ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) الشقيقة: الصداع .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٧/٣ ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل: ٢٤٠/٤ ، وقد جاء أيضاً من حديث علي وسلمة بن الأكوع عند الحاكم: ٣٧/٣ ، وصححها ، ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٣٧/٣ ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

قال: (فأرسلوا إليه) ، فأتى به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له خيراً حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ^(١).

٧- قتل عليّ مرحب اليهودي :

٥٥١- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: « ... قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه ، فقطع أكحله ، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه . قال: فاتيت النبي ﷺ وأنا أبكي ، فقلت: يا رسول الله ! بطل عمل عامر ؟ قال رسول الله ﷺ: (من قال ذلك ؟) قلت: ناس من أصحابك قال: (كذب من قال ذلك . بل له أجره مرتين) . ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد ، فقال: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، أو يحبه الله ورسوله) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢١٠ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل علي رقم: ٢٤٠٦ ، وأحمد في المسند: ٣٣٣/٥ ، من حديث سهل ، وأخرجه مسلم ٢٤٠٤ ، والترمذي: ٢٧٢٦ ، وأحمد: ١٨٥/١ ، من حديث سعد بن أبي وقاص ، وأخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠٩ ، ومسلم رقم: ١٨٠٧ ، ٢٤٠٧ ، وأحمد: ٥٢/٤ ، من حديث سلمة بن الأكوع ، وعند مسلم رقم: ٢٤٠٥ ، من حديث أبي هريرة ، وعند البخاري رقم: ٣٧٠٢ ، من حديث علي بن أبي طالب ، وأخرجه أحمد في مسنده ، ورجاله ثقات من حديث أبي سعيد الخدري مجمع الزوائد: ١٥١/٦ ، ومن حديث بريده عند أحمد ، ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد: ١٥٠/٦ . ١٥١ -

قال: فأُتيت علياً ، فجلست به أقوده وهو أرمد ، حتى أُتيت به رسول الله ﷺ ، فبصق في عينه فبرا ، وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:
قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سممتي أمي حيدرة^(١) كليث غابات كريحه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة^(٢) .

قال: فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه^(٣) «

قال الحاكم في المستدرک: « الأخبار متواترة بأسانيد كثيرة أن قاتل مرحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ووافقه الذهبي على ما قال^(٤) » .

قلت: هذا هو الراجح ، لا أن الذي قتله محمد بن مسلمة الأنصاري جاء من حديث جابر في عبدالله رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد والحاكم وابن إسحاق كما جاء في السيرة وإسناده صحيح^(٥) .

قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات ما نصه: « اختلفوا في قاتل مرحب ، ف قيل علي بن أبي طالب ، وقال ابن عبدالبر في كتابه الدرر في مختصر السير ، قال محمد بن إسحاق: أن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً اليهودي بخيبر، قال وخالفه غيره ، فقال: بل قتله علي بن أبي طالب ، قال ابن عبدالبر: هذا هو الصحيح عندنا ، ثم روى ذلك بإسناده عن بريدة وسلمة بن الأكوع .

وقال الشافعي في المختصر نفل النبي ﷺ يوم خيبر محمد بن مسلمة سلب

(١) حيدرة: اسم للأسد .

(٢) السندرة: مكيال واسع .

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد حديث رقم: ١٨٠٧ ، وقد تقدم في مواطن متعددة انظر رقم: ٥٤٠ .

(٤) ٤٣٧/٣ .

(٥) أخرجه أحمد: ٣٨٥/٣ ، والحاكم: ٤٣٦/٣ ، وابن هشام: ٣٣٣-٣٣٤ ، وإسناده صحيح وقال الهيثمي في المجمع: ١٥٠/٦ ، رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجال أحمد ثقات .

مرحب ، ذكره في أول باب جامع السير ، وهذا تصريح منه بأن قاتله محمد بن مسلمة ، وقال ابن الأثير: الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن علياً هو قاتله ، قال المصنف رحمه الله: قلت: وفي صحيح مسلم بإسناده عن سلمة ابن الأكوع التصريح بأن علياً هو قاتله « أ.هـ .

قلت: وقد يحتمل الجمع بين حديث جابر وحديث سلمة بما ذكره الواقدي من أن محمداً بن مسلمة قطع رجله وأن علياً أجهز عليه « (١) .

قلت: ما في صحيح مسلم مقدم على حديث جابر من وجهين:

الأول: أنه أصح إسناداً ، وأوثق رجالاً .

الثاني: أن جابراً لم يشهد خيبر كما ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما ، وقد شهدا سلمة وبريدة وأبو رافع رضي الله عنهم ، وهم أعلم ممن لم يشهدا ، وما قيل من أن محمد بن سلمة ضرب ساقه مرحب فقطعهما ، ولم يجهز عليه ، ومر به علي فأجهز عليه ياباه حديث سلمة وأبي رافع ، والله أعلم .

سيف علي في أسنان مرحب :

٥٥٢- من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وكانت في غزوة خيبر قالت: (سمعت وقع السيف في أسنان مرحب) (٢) .

٨ - قصة الأعرابي الشهيد:

٥٥٣- من حديث شداد بن الهاد رضي الله عنه: « أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ ، فأمن به ، واتبعه ، ثم قال: أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة (خيبر أو حنين) (٣) ، غنم النبي ﷺ سبياً ، فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه ، فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ ، فأخذه ، فجاء به إلى

(١) الفتح الرباني: ١٢١/٢١ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ١٥٢/٦ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٣) ما بين الخاصرتين من رواية الحاكم: ٥٩٥/٣ .

النبي ﷺ فقال: ما هذا ؟ قال: (قسمته لك) ، قال: ما على هذا اتبعتك ، ولكنني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت، فأدخل الجنة .

فقال: (إن تصدق الله يصدقك) ، فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ بحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: (أهو هو؟) قالوا: نعم . قال: (صدق الله، فصدقه) ، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته: (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك) .^(١) لفظ النسائي .

٩- بطل إلى النار:

٥٥٤- من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون ، فاقتتلوا . فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، مال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال: رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار) ، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً .

قال: فخرج معه ، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه ، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع نصل السيف بالأرض ، وذبابه بين ثديه ، ثم تحامل على سيفه ، فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله ، قال: (وما ذاك ؟) قال: الرجل الذي ذكرت أنفأ أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت: أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثديه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء: ٦٠/٤ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٩١/١ ، والبيهقي في السنن: ١٦١٥/٤ ، والحاكم في المستدرک: ٥٩٦٥٩٥/٣ ، وسكت عليه ووافقه الذهبي ، قلت: وإسناده صحيح .

للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ^(١) .

وقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنفس المعنى وجاء التصريح فيه بأن الغزوة كانت غزوة خيبر ^(٢) وكانت غزوة خيبر أول الغزوات التي حضرها ، مع رسول الله ﷺ .

١٠- إصابة سلمة بن الأكوع وعلاج النبي صلى الله عليه وسلم له :

٥٥٥- من حديث يزيد بن أبي عبيد قال : « رأيت أثر ضربة في ساق (ابن الأكوع) فقلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ فقال : هذه ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة ، فأتيت النبي ﷺ ، فنفت فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكت حتى الساعة » ^(٣) .

١١- قصة الرجل الذي غل في سبيل الله :

٥٥٦- من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه : « أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر ، فذكروا لرسول الله ﷺ ، فقال : (صلوا على صاحبكم) ، فتغيرت وجوه الناس لذلك ، فقال : (إن صاحبكم غل في سبيل الله) ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين » ^(٤) اللفظ لأبي داود .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم : ٤٢٠٢ ، ٤٢٠٧ ، مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث رقم : ١١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم : ٤٢٠٣ ، مسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث رقم : ١١١ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم : ٤٢٠٦ ، أبو داود في الطب ، باب كيف الرقى حديث رقم : ٣٨٩٤ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في تعظيم الغلول حديث رقم : ٢٧١٠ ، النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على من غل : ٦٤/٤ ، وابن ماجه في الجهاد باب الغلول حديث رقم : ٢٨٤٨ ، مالك في الموطأ الجهاد باب ما جاء في الغلول حديث رقم : ٢٣ ، ٤٥٨/٢ ، أحمد في المسند : ١١٤/٤ ، ١٩٢/٥ ، البيهقي في السنن : ١٠١/٩ ، الحاكم في المستدرک : ١٢٧/٢ ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال ، إسناده صحيح .

١٢- تحريم الحمر الأهلية:

٥٥٧- من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الأنسية »^(١) .

قلت: وقد جاء الحديث في النهي عن أكل لحوم الأهلية من طريق أكثر من صحابي، فقد جاء من حديث أنس بن مالك ، وابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وابن أبي أوفى والبراء بن عازب ، وابن عباس وكل ذلك في الصحيح من حديث رسول الله ﷺ انظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي بباب غزوة خيبر الأحاديث من رقم: ٤٢١٥ ، ٤٢٢٧ ، فتح الباري .

١٣- قصة إصابة عبدالله بن مغفل جراب الشحم .

٥٥٨- من حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه في الصحيحين قال: « أصبت جراباً من شحم يوم خيبر ، قال: فالتزمته ، فقلت: لا أعطي اليوم أحداً من هذا شيئاً ، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مبتسماً » واللفظ لمسلم ، وفي اللفظ المتفق عليه ، « رمي إلينا جراب فيه طعام وشحم يوم خيبر ، فوثبت لأخذه ، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه »^(٢) .

١٤- عاقبة يهود خيبر:

٥٥٩- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرهم ، فغلب على الأرض والنخل والزرع ، فصالحوه على أن يجلوها منها ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء (والحلقة) ، ويخرجون منها .

فاشترط عليهم أن لا يكتموا شيئاً ، ولا يغيبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة ، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلياً لحبي بن أخطب كان احتمله معه إلى

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢١٦ ، ومسلم في النكاح باب نذب من رأى امرأة فوقعت في نفسه حديث رقم: ١٤٠٥ ، الترمذي حديث رقم: ١١٢١ ، الموطأ: ٥٤٢/٢ ، النسائي: ١٢٦-١٢٥/٦ ، ابن ماجه: ١٩٦١ ، الدارمي: ١٤٠/٢ ، أحمد: ٧٩/١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢١٤ ، مسلم في الجهاد والسير باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب حديث رقم: ١٧٧٢ ، أبو داود في الجهاد باب إباحة الطعام في أرض العدو: ٢٧٠٢ .

خير حين أجلت النضير ، فقال رسول الله ﷺ لعم حيي (سعية) : (ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير ؟) فقال : أذهبت النفقات والحروب ، فقال رسول الله ﷺ : (العهد قريب ، والمال أكثر من ذلك) .

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب ، وكان حيي قبل ذلك قد دخل خربة ، فقال : قد رأيت حياً يطوف في خربة ها هنا ، فذهبوا ، فطافوا ، فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذرائعهم ، وقسم أموالهم للنكت الذي نكثوا ، وأراد أن يجليهم منها ، فقالوا : يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ، ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها .

فأعطاهم خير على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ .

وكان عبدالله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم ، ويضمنهم الشطر ، قالوا : فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله أنطعموني السحت ؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ، ولأنتم أبغض الناس إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم ، وحيي إياه على أن لا أعدل عليكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

قال : ورأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال : (يا صفية ما هذه الخضرة ؟) فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأن قمرأ وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فلطمني ، وقال : تمنين ملك يثرب ؟ قالت : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إلي قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إلي ويقول : إن أباك ألب علي العرب وفعل ، وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي .

وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام ، وعشرين وسقاً من شعير ، فلما كان زمان عمر بن الخطاب غشوا المسلمين ، وألقوا ابن عمر من فوق بيت ، ففدغوا يديه ، فقال عمر بن الخطاب : من كان له سهم من خير ، فليحضر حتى نقسمها بينهم ، فقسمها بينهم وقال رئيسهم : لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فقال عمر : لرئيسهم : أترأه سقط عني قول رسول الله ﷺ : (كيف بك إذا رقصت بك

راحتك تخوم الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً) ، وقسمها عمر بين من كان شهد خبير من أهل الحديبية «^(١) . اللفظ لابن حبان .

١٥- تثبيت اليهود في أرضهم لزراعتها مقابل شطر الإنتاج

٥٦٠- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « أعطى رسول الله ﷺ خبير اليهود أن يعملوها ، ويزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها »^(٢) .

وقد سبق شيء من التفصيل في ذلك من حديث ابن عمر السابق لهذا الحديث ، والذي أخرج أبو داود في سننه مقطوعاً منه ، وأورده كاملاً البيهقي وابن حبان كما بيته .

وقد جاء في صحيح الإمام مسلم مقاطع كاملة من ذلك الحديث الطويل ، فانظرها في أول كتاب المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من التمر والزرع : ١١٨٦/٣ - ١١٨٨ ، الحديث رقم : ١٥٥١ .

١٦- سبي صفية بنت حيي وزواج النبي منها :

أ- الرؤيا التي رأتها قبل مجيء النبي إلى خبير :

٥٦١- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كان بعيني صفية خضرة فقال لها النبي ﷺ : (ما هذه الخضرة بعينيك) ، قالت : قلت لزوجي إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع في حجري ، فلطمني ، وقال : أتريدين ملك يشرب ، قالت : وما كان أبغض إلي من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي ، فما زال يعتذر إلي ، وقال : يا صفية أن أباك ألب علي العرب ، وفعل ، وفعل ، وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي »^(٣) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود منه الشطر الأول في كتاب الخراج باب ما جاء في حكم أرض خبير حديث رقم : ٣٠٠٦ ، موارد الظمان حديث رقم : ١٦٩٧ ، المغازي باب ما جاء في خبير وفي سنن البيهقي : ١١٤/٦ ، وفي دلائل البيهقي : ٢٢٩/٤ - ٢٣١ ، والحديث إسناده صحيح وقد أخرجه مختصراً أحمد : ١٧/٢ ، ٢٢ ، ٣٧ ، البخاري : ٣٢٨ ، ومسلم برقم : ١٥٥١ ، وأبو داود برقم : ٣٤٠٨ ، الترمذي برقم : ١٣٨٣ ، وابن ماجه برقم : ٢٤٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما رقم : ٢٢٨٥ ، وقد جاء بأرقام أخرى : ٢٣٢٨ ، ٢٣٢٩ ، ٢٣٣١ ، ٢٣٣٨ ، ٢٤٩٩ ، ٣١٥٢ ، ٢٧٢٠ ، ٤٢٤٨ ، ومسلم في الصحيح أول كتاب المساقاة حديث رقم : ١٥٥١ ، وأبو داود برقم : ٣٠٠٧ .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٥١/٩ ، رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ، وقد سبق هذا الحديث كمقطع من حديث ابن عمر رقم : ٥٥٩ .

ب - زواجه منها :

٥٦٢- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « قدمنا خير ، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قُتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاه رسول الله ﷺ لنفسه ، فخرج بها ، حتى بلغنا سد الصهباء ، حلت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حيساً في نطع صغير ، ثم قال لي: (آذن من حولك) ، فكانت تلك وليمة على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيه فيضع ركبته ، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب » ^(١) .

٥٦٣- وقد جاء هذا الحديث بلفظ آخر من حديث أنس أكثر تفصيلاً ، « صارت صفية لدحية في مقسمه ، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ . قال: ويقولون: ما رأينا في السبي مثلاً ، قال: فبعث إلى دحية ، فأعطاه بها ما أراد ، ثم دفعها إلى أمي فقال: (أصلحها) .

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من خير ، حتى إذا جعلها في ظهره نزل ، ثم ضرب عليها القبة . فلما أصبح قال رسول الله ﷺ (من كان عنده فضل زاد فليأتنا به) قال: فجعل الرجل يجيء بفضل التمر ، وفضل السويق ، حتى جعلوا من ذلك سواداً حيساً ^(٢) ، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء ، قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ عليها .

قال: فانطلقنا ، حتى إذا رأينا جدر المدينة هشنا ^(٣) إليها ، فرفعنا مطينا ^(٤) ورفع رسول الله ﷺ مطيته ، قال: وصفية خلفه قد أردفها رسول الله ﷺ قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ ، فصرع وصرعت: قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها ، حتى قام رسول الله ﷺ فسترها ، قال: فأتيناه فقال: لم تضر ،

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خير حديث رقم: ٤٢١١ ، وتفرد به دون مسلم .

(٢) سواداً حيساً: كوماً مرتفعاً فخلطوه وجعلوه حيساً .

(٣) هشنا: نشطنا وخففنا .

(٤) رفعنا مطينا: أسرعنا بها .

قال: فدخلنا المدينة ، فخرج جوارى نسائه يترأينها ، ويشمتن بصرعتها ^(١) » ^(٢) .

٥٦٤- ومن حديث أنس أيضاً قال: « أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُنبي عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع ، فبسطت ، فالتقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون: إحدى إمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ قالوا: إن حجبها فهي إحدى إمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل واطأ خلفه ، ومد الحجاب ^(٣) » .

ج - مهرها:

٥٦٦- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « سبى النبي ﷺ صفية ، فاعتقها ، وتزوجها ، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها ؟ قال: أصدقها نفسها فاعتقها ^(٤) » .

١٧- وضع السم للنبي في الشاة التي قدمت له هدية:

٥٦٧- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك ، قالت: أردت لأقتلك ، فقال: (ما كان لیسطک علی ذلک ، أو عليّ) ، قال: قالوا: ألا تقتلها ، قال: لا ، فما زالت أعرفها في لهوات ^(٥) رسول الله ﷺ » ^(٦) .

٥٦٨- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما فتحت خيبر ، أهديت

(١) يشمتن بصرعتها: يظهرن السرور بوقعتها .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح ، باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ، حديث رقم: ١٣٦٥ ، ١٠٤٧/٢ - ١٠٤٨ ، وقد جاء بزيادات يسيرة انظرها في هذا الرقم عند مسلم .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢١٣ ، وقد تفرد به دون مسلم .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠١ ، وقد انفرد به البخاري من هذا الوجه .

(٥) لهوات: جمع لهاة ، اللحمية الحمراء المعلقة في أصل الخنك ، كانه بقى للسم علامة ، سواداً وغيره .

(٦) أخرجه البخاري في الهبة باب قبول الهدية من المشركين حديث رقم: ٢٦١٧ ، مسلم في السلام باب اسم حديث رقم: ٢١٩٠ ، أبو داود في الديات رقم: ٤٥٠٨ .

لرسول الله ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لي من ها هنا من اليهود . فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله ﷺ : (إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : (من أبوكم ؟) قالوا: أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ : (كذبتكم بل أبوكم فلان) فقالوا: صدقت وبررت .

فقال: (هل أنتم صادقوني عن شيء إن أنا سألتكم عنه ؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبتك عرفت كما عرفته في أيينا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : (من أهل النار ؟) فقالوا: نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله ﷺ : (اخسؤوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً) .

ثم قال لهم: (هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟) فقالوا: نعم ، فقال: (هل جعلتم في هذه الشاة سمأ ؟) فقالوا: نعم ، فقال: (ما حملكم على ذلك ؟) فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك^(١) .

وهذا يثبت أن المرأة ما فعلت فعلتها إلا بأمر من رؤساء اليهود وزعمائهم وياقرار منهم كما جاء في هذا الحديث الصحيح .

شدة تأثيره عليه السلام بالسم :

٥٦٩- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير ، فهذا آوأن وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم »^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في الطب باب ما يذكر في سم النبي ﷺ رقم: ٥٧٧٧ ، وأبو داود في سننه الديات باب فيمن سقى رجلاً سمأ حديث رقم: ٤٥٠٩ ، وأحمد في المسند: ٤٥١/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم: ٤٤٢٨ ، معلقاً ، أحمد في المسند: ١٨/٦ ، والدارمي: ٣٢/١ ، ٣٣ ، والحاكم: ١٩/٣ ، قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة . وقال الحافظ في الفتح: « وقد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عتبة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد ، وقال البزار: تفرد به عنه عن يونس أي بوصله ، وإلا فقد رواه موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري لكنه أرسله ، وله شاهدان مرسلان أيضاً أخرجهما إبراهيم الحربي في غرائب الحديث » وقد أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠٩/٣ ، عن أم بشر بن البراء بن معرور قريباً من هذا الحديث ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، ومن حديث أبي هريرة عند ابن سعد .

هل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة التي وضعت السم:

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا ، فوقع في مسلم أنهم قالوا ألا نقتلها ؟ قال: (لا) ومثله عن أبي هريرة وجابر ، وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه قتلها ، وفي رواية ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكل منها ، فمات بها ، فقتلوا ، وفي لفظ قتلها وصلبها ، وفي جامع معمر عن الزهري لما أسلمت تركها ، قال معمر كذا قال الزهري أسلمت ، والناس يقولون قتلها ولم تسلم .

وقال السهيلي قيل: إنه صفح عنها ، قال القاضي وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها حين اطلع على سمها ، وقيل له: اقتلها فقال: لا ، فلما مات بشر بن البراء بن معرور من ذلك سلمها لأوليائه ، فقتلوا قصاصاً ، فصح قولهم لم يقتلها أي في الحال ، ويصح قولهم قتلها أي بعد ذلك والله أعلم ^(١).

١٨- تقسيم الغنائم يوم خيبر

١- كيفية القسمة:

٥٧٠- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً ، قال: فسرّه نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإن لم يكن له فرس فله سهم » ^(٢).

٥٧١- من حديث بشير بن أبي حثمة قال: « قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين نصفاً لنوابه وحاجته ، ونصفاً بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً » ^(٣).

(١) شرح صحيح مسلم: ١٧٩/١٤ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٢٨ ، مسلم في الجهاد والسير باب كيفية القسمة الغنيمة بين الحاضرين حديث رقم: ١٧٦٢ ، مالك في الموطأ: ٤٥٦/٢ ، الجهاد باب القسم للخيال في الغزو ، أبو داود في الجهاد باب في سهمان الخيل حديث رقم: ٢٧٣٣ ، الترمذي في السير باب في سهم الخيل رقم: ١٥٥٤ ، وأحمد في المسند: ٢/٢ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٨٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الخراج والفيء .. باب ما جاء في حكم خيبر حديث رقم: ٣٠١٠ ، سننه حسن .

ب - سهم ذوي القربى :

٥٧٢- من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه : « أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله ﷺ فيما قسم الخمس بين بني هاشم وبني المطلب ، فقلت : يا رسول الله قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً ، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة ، فقال النبي ﷺ : (إنما بنو هاشم وبنو المطلب واحد) قال جبير : ولم يقسم لبني عبدشمس ، ولا لبني نوفل من ذلك الخمس ، كما قسم لبني هاشم وبني المطلب ، قال : وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطي قريى رسول الله ﷺ ما كان النبي ﷺ يعطيهم ، قال : وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه ، وعثمان بعده » ^(١) اللفظ لأبي داود .

ج - إعطاء العبيد من الغنائم وعدم الاسهام لهم .

٥٧٣- من حديث عمير مولى أبي اللحم قال : « شهدت خيبر مع سادتي ، فكلموا في رسول الله ﷺ ، فأمرني فقلدت سيفاً ، فإذا أنا أجزؤه ، فأخبرني مملوك ، فأمر لي بشيء من خزني المتاع » ^(٢) ^(٣) .

د - إعطاء النبي عليه السلام للنساء من الغنائم والإسهام لهن من الثمار :

٥٧٤- من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري قال : « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر لسهلة بنت عاصم بن عدي ، ولابنة لها ولدت » ^(٤) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم : ٤٢٢٩ ، أبو داود في الخراج والإمارة والفيء باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى حديث : ٢٩٧٨-٢٩٨٠ ، النسائي في كتاب قسم الفيء : ١٣٠/٧ ، وابن ماجه حديث رقم : ٢٨٨١ ، وأحمد في المسند : ٨٥،٨٣،٨١/٤ ، البيهقي : ٣٤١/٦ ، أبو عبيد في الاموال : ٨٤٢ .

(٢) خزني المتاع : أثاث البيت كالقدر ونحوه .

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة حديث رقم : ٢٧٣٠ ، الترمذي في السير باب هل يسهم للعبد : ١٥٥٧ ، وقال حسن صحيح ، ابن ماجه حديث رقم : ٢٨٥٥ ، ابن حبان : ١٦٦١ ، الدارمي : ٢٢٦/٢ ، البيهقي : ٣٣٢/٦ ، والحاكم : ١٣١/٢ ، وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه الطبراني بـرقم : ١٣٦٩ ، قال الهيثمي في المجمع : ٧/٦ : رواه الطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ، وحديثه حسن ، وقد أخرجه الطبراني في الكبير : بـرقم : ١٣٦٩ ، قال : حدثنا علي بن عبدالعزيز الحسن بن الربيع الكوفي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن ثابت ... ورواية العبادلة عن ابن لهيعة صحيحة فستد الحديث صحيح رجاله ثقات .

٥٧٥- من حديث زينب بنت أبي معاوية الثقفية « أن النبي ﷺ أعطاها بخيبر خمسين وسقاً تمرأ ، وعشرين وسقاً شعيراً بالمدينة »^(١) .

هـ - قصة أبي هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص في قسمة الغنائم:

٥٧٦- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف ، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله ، لا تقسم لهم ، قال أبان: وأنت بهذا يا وير تحدر من رأس ضأن ، فقال النبي ﷺ: (يا أبان اجلس فلم يقسم له) »^(٢) .

قلت: وإن كان ورد أن القائل: « لا تعطه من الغنائم أبان بن سعيد » ، وأن السائل هو أبو هريرة رضي الله عنه ، وهذا أيضاً في الصحيح ، والراجح عندي ، والله أعلم - أن الذي سأل أن يعطى من الغنائم هو أبان بن سعيد ، وأن القائل: لا تعطه من الغنائم هو أبو هريرة .

ويؤيد ما ذهبت إليه أن أبا هريرة صرح بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعطاها ، ومن جاء معه من الغنائم يوم خيبر ، وذلك في حديثه الذي بين فيه أن رسول الله ﷺ أمر على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وقد سبق الإشارة إلى هذا الحديث الذي أخرجه أحمد بسند جيد في بداية الحديث عن غزوة خيبر برقم: ٥٤٢ ، فانظره هناك .

١٩- حديث الحجاج بن علاط مع أهل مكة:

٥٧٧- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: « لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله ! إن لي بمكة مالا ، وإن لي بها أهلاً ، وإنني أريد أن آتيهم ، فأنا في حل إن أنا نلت منك ؟ وقلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم ، فقال: اجمعي لي

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٨٧/٢٤ - ٢٨٨ ، رقم: ٧٣٢ ، قال الهيثمي في المجمع: ٧/٦: رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر تعليقاً رقم: ٤٢٣٨ ، ووصله أبو داود من طريق إسماعيل بن عياش في الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له حديث رقم: ٢٧٢٣ ، ووصلها أبو نعيم في المستخرج من طريق إسماعيل بن عياش أيضاً ، ومن طريق عبدالله بن سالم ، كلاهما عن الحميدي كما أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح: ٤٩١/٧ .

ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه ، فإلّهم قد استبيحوا ، أو أصيبت أموالهم ، قال: ففشا ذلك في مكة فانقمع المسلمون ، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً ، قال: وبلغ الخبر العباس (رضي الله عنه) ففقر ، وجعل لا يستطيع أن يقوم .

قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال: فأخذ ابناً له يشبه رسول الله ﷺ يقال له قثم ، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

حَبِّي قَثْم ، حَبِّي قَثْم شِيْهِ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْم
نَبِي رَبِّ ذِي النَّعْمِ بَرِغْمِ أَنْفٍ مِنْ رَغْمِ

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج: ويلك ما جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام ، وقل له: فليخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على ما يسره ، فجاءه غلامه ، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل ، قال: فوثب العباس فرحاً ، حتى قبل بين عينيه ، فأخبره بما قال الحجاج ، فاعتقه . قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر ، وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بن حبي ، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها ، وتكون زوجته ، أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها ، وتكون زوجته ، ولكنني جئت لما كان لي ههنا أردت أن أجمعه ، فاذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ ، فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف عني ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك ، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فجمعه ، فدفعته إليه ثم انشمر به .

فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل ، لقد شق علينا الذي بلغك ، قال: أجل ، لا يخزيني الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حبي لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقني به ، قالت: أظنك والله صادقاً ، قال: فإني صادق ، الأمر على ما أخبرتك .

فقال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مر بهم: لا

يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبني إلا خير بحمد الله ، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خير قد فتحها الله على رسوله ﷺ ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله ، وما كان له من شيء ها هنا ، ثم يذهب . قال: فرد الله الكأبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتسباً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر وسر المسلمون ، ورد الله - تبارك وتعالى - ما كان من كأبة أو غيظ أو حزن على المشركين « ^(١) .

٢٠- مسير النبي إلى وادي القرى وقصة الذي غل من الغنمة:

٥٧٨- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خير ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع ، فأهدى رجل من بني الضبيب ، يقال له رفاعه بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدعم .

فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى ، بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (كلا والذي نفسي بيده، أن الشملة التي أخذها يوم خير من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً) .

فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: (شراك من نار أو شراكان من نار) ^(٢) اللفظ للبخاري .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٣٨/٣ - ١٣٩ بسند صحيح ، وعبد الرزاق في المصنف رقم: ٩٧٧١ ، وأبو يعلى برقم: ٣٤٧٩ ، والبيهقي في السنن: ١٥١/٩ ، والدلائل: ٢٦٦/٤ - ٢٦٧ ، والطبراني في الكبير برقم: ٣١٩٦ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ٥٠٧/١ - ٥٠٨ ، والنسائي في السنن الكبرى في السير كما في تحفة الأشراف: ١٥٣/١ ، رقم الحديث ٤٨٦ ، وانظر كشف الاستار عن زوائد البزار: ١٨١٦ ، وابن حبان: ١٦٩٨ - موارد - ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٥٤/٦ - ١٥٥ ، رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح وقال ابن كثير في البداية: ٢٣/٤ ، عن سند أحمد: وهذا الإسناد على شرط الشيخين .

(٢) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع والأمتعة حديث رقم: ٦٧٠٧ ، وفي المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٣٤ ، مسلم في الإيمان باب غلظ تحريم الغلول حديث رقم: ١١٥ ، مالك في الموطأ في الجهاد باب ما جاء في الغلول: ٤٥٩/٢ ، حديث رقم: ٢٥ ، أبو داود في الجهاد باب في تعظيم الغلول حديث رقم: ٢٧١١ ، والنسائي: ٢٤/٧ ، الأيمان والنذور باب هل تدخل الأرضون في المال والنذر .

٢١- نومهم عن صلاة الفجر وعدم استيقاظهم حتى طلعت الشمس :

٥٧٩- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ ، حين قفل من غزوة خيبر ، سار ليلة ، حتى إذا أدركه الكرى عرس ، وقال لبلال : (اكلا لنا الليل) فصلى بلال ما قدر له . ونام رسول الله ﷺ وأصحابه . فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر ، فغلبته عيناه ، وهو مستند إلى راحلته ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ، ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس .

فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ﷺ ، فقال : (أي بلال ؟) فقال بلال : أخذ بنفسي الذي - بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! - أخذ بنفسك . قال : (اقتادوا) فاقادوا وراحلهم شيئاً ، ثم توضأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلى بهم الصبح ، فلما قضى الصلاة قال : (من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله قال : ﴿ أقم الصلاة لذكرى ﴾ ^(١)) ، قال يونس : وكان ابن شهاب يقرؤها : للذكرى ^(٢) .

٢٢- معجزة زيادة الماء القليل حتى سقى الجيش الكثير :

٥٨٠- من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال : « خطبنا رسول الله ﷺ فقال : (إنكم تسرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء ، إن شاء الله غداً) فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد ، قال أبو قتادة : فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل ^(٣) ، وأنا إلى جنبه ، قال : فنعس رسول الله ﷺ ، فمال عن راحلته . فأتيته فدعمته ^(٤) من غير أن أوقظه . حتى اعتدل على راحلته . قال ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة . هي أشد من الميلتين الأولين ، حتى كاد

(١) سورة طه : ١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد مواضع الصلاة حديث رقم : ٦٨٠ ، مالك في الموطأ كتاب وقوت الصلاة باب النوم عن الصلاة : ١٣/١-١٤ ، أبو داود في الصلاة باب في من نام عن الصلاة أو نسيها حديث رقم : ٤٣٦٤٣٥ ، والترمذي في تفسير القرآن باب ومن سورة طه حديث رقم : ٣١٦٣ ، النسائي : ٢٩٨-٢٩٥/١ ، كتاب الصلاة باب إعادة من نام عن الصلاة أو نسيها ، باب كيف يقضي الفائت عن الصلاة ، وابن ماجه الصلاة باب من نام عن الصلاة أو نسيها حديث رقم : ٦٩٧ .

(٣) ابهار الليل : انتصف .

(٤) فدعته : أقمت عليه من النوم وصرت تحته كالدعامة للبناء فوقها .

ينجفل^(١) ، فأتيته فدعمته ، فرفع رأسه .

فقال: (من هذا ؟) قلت: أبو قتادة، قال: (متى كان هذا مسيرك مني ؟) قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة . قال: (حفظك الله بما حفظت به نبيه) ثم قال: (هل ترانا نخفى على الناس ؟) ثم قال: (هل ترى من أحد ؟) قلت: هذا راكب ثم قلت: هذا راكب آخر . حتى اجتمعنا فكننا سبعة ركب .

قال: فمال رسول الله ﷺ عن الطريق . فوضع رأسه . ثم قال: (احفظوا علينا صلاتنا) ، فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ ، والشمس في ظهره ، قال: فقمنا فزعين . ثم قال: (اركبوا) فركبنا . فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل . ثم دعا بمىضة^(٢) كانت معي فيها شيء من ماء . قال فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء^(٣) . قال وبقي فيها شيء من ماء . ثم قال لأبي قتادة: (احفظ علينا ميضأتك . فسيكون لها نأ) ثم أذن بلال بالصلاة . فصلى رسول الله ﷺ ركعتين . ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم . قال وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه .

قال فجعل بعضنا يهمس إلى بعض^(٤) : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال: (ما لكم في أسوة^(٥) ؟) ثم قال: (أما أنه ليس في النوم تفريط^(٦)) ، إنما التفريط على من لم يصل حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين يتبه لها ، فإذا كان من الغد فليصلها عند وقتها) ثم قال: (ما ترون الناس صنعوا ؟) قال: ثم قال: (أصبح الناس فقدوا نبيهم ، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله ﷺ بعدكم ، لم يكن ليخلفكم ، وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم ، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا) .

قال: فأنتهينا إلى الناس حين امتد النهار ، وحمي كل شيء ، وهم يقولون:

(١) ينجفل: يسقط .

(٢) المىضة: الإناء الذي يتوضأ به كالركوة .

(٣) وضوء دون وضوء: وضوءاً خفيفاً .

(٤) يهمس إلى بعض: يكلمه بصوت خفي .

(٥) أسوة: قدوة .

(٦) ليس في النوم تفريط: أي تقصير لانعدام الاختيار من النائم .

يا رسول الله ! هلكننا ، عطشنا . فقال: (لا هلك عليكم)^(١) ، ثم قال: (اطلقوا لي عُمرى)^(٢) قال: « ودعا بالمیضاء ، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يعد أن رأى الناس ماءً في المیضاء تكابوا عليها^(٣) ، فقال: رسول الله ﷺ: (أحسنوا الملا^(٤) كلکم سیروى) قال ففعلوا . فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم ، حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ . قال: ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي: (اشرب) : فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله ! قال: (إن ساقى القوم آخرهم شرباً) قال: فشربت . وشرب رسول الله ﷺ . قال فاتى الناس الماء جامين رواء .

قال: فقال عبدالله بن رباح: إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع . إذ قال عمران بن حصين: انظر أيها الفتى كيف تحدث . فإني أحد الركب تلك الليلة . قال: قلت: فأنت أعلم بالحديث . فقال: فمن أنت ؟ قلت: من الأنصار . قال: حدث فأنتم أعلم بحديثكم . قال: فحدثت القوم . فقال عمران: لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحداً حفظه كما حفظته^(٥) واللفظ لمسلم .

٢٣- عودة مهاجري الحبشة وقسمة الرسول لهم من الغنائم:

٥٨١- من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن . فخرجنا مهاجرين إليه . أنا وأخوان لي . أنا أصغرهما . أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم . إما قال بضعا وإما قال: ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي قال: فركبنا سفينة ، فآلقنا سفيتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده . فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا . فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً . قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ، أو أعطانا

(١) لا هلك عليكم: أي لا هلاك .

(٢) اطلقوا لي عُمرى: ايتوني به والغمر القدح الصغير .

(٣) فلم يعد أن رأى الناس ماءً في المیضاء تكابوا عليها: أي لم يتجاوز رؤيتهم الماء في المیضاء تكابهم: أي تراحهم عليها مكباً بعضهم على بعض .

(٤) احسنوا الملا: الخلق والعشرة .

(٥) أخرجه البخاري في الواقيت باب الأذان بعد ذهاب الوقت حديث رقم: ٥٩٥ ، ومسلم في المساجد باب قضاء الصلاة الفاتية رقم: ٦٨١ ، وأبو داود في الصلاة باب فيمن نام عن الصلاة أو نسيها رقم: ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

منها. وما قسم لأحد غاب عن فتح خير منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفيتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم . قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - نحن سبقناكم بالهجرة .

فضل أهل هجرة الحبشة :

قال: « فدخلت أسماء بنت عميس ، هي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة . وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه . فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها . فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه ؟ قالت: أسماء بنت عميس . قال عمر: الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء: نعم . فقال عمر: سبقناكم بالهجرة . فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر ! كلا والله ! كتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار . أو في أرض البعداء البغضاء ^(١) في الحبشة . وذلك في الله وفي رسوله ، وأيم الله ! لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذي ونخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك ، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله ! إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ: (ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان) .

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً . يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم أفرح ، ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ .

قال أبو بردة: فقالت أسماء: لقد رأيت أبا موسى ، وإنه يستعيد هذا الحديث مني « ^(٢) اللفظ لمسلم .

(١) البعداء البغضاء: قال العلماء: البعداء في النسب ، البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خير حديث رقم: ٤٢٣٠ ، ٤٢٣١ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفيتهم أحاديث رقم: ٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣ ، أبو داود في الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنمة لا سهم له حديث رقم: ٢٧٤٥ ، بعض الحديث ، والترمذي في السير باب أهل الذمة ينفروا مع المسلمين هل يسهم لهم حديث رقم: ١٥٥٩ ، وقال: حسن صحيح غريب .

٢٤- النهي عن رفع الصوت بالتكبير :

٥٨٢- من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : « قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر . أو قال لما توجه رسول الله ﷺ - أشرف الناس على واد ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر ، الله أكبر ، فقال رسول الله ﷺ : (أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً ، وهو معكم) . وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعتني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي: (يا عبدالله بن قيس) ، قلت: لبيك رسول الله . قال: (ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة ؟) قلت: بلى يا رسول الله ، فذاك أبي وأمي . قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله) ^(١) .

٢٥- رد المهاجرين المنائح التي أعطاها إياها الأنصار :

٥٨٣- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « لما قدم المهاجرون من مكة المدينة ، قدموا وليس بأيديهم شيء ، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقسامهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم ، كل عام ، ويكفونهم العمل والمؤونة ، وكانت أم أنس بن مالك وهي تدعى أم سليم ، وكانت أم عبدالله ابن أبي طلحة ، كان أخاً لأنس لأمه ، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقاً ^(٢) لها .

فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن مولاته ، أم أسامة بن زيد .

قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة ، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم ^(٣) التي كانوا منحوهم من ثمارهم . قال: فرد رسول الله ﷺ إلى أمي عذاقها . وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠٥ ، وفي الدعوات باب الدعاء إذا علا هضبة رقم: ٦٣٨٤ ، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استجاب خفض الصوت بالذكر رقم: ٧٠٤ ، وأبو داود في الصلاة باب في الاستغفار حديث رقم: ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد حديث رقم: ٣٤٦١ ، وقال: حسن صحيح ، وابن ماجه في الدعوات كتاب الأدب باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله حديث رقم: ٣٨٢٤ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا أشرف على وادي حديث رقم: ٥٣٨ .

(٢) العذاق: جمع عذق وهي النخلة .

(٣) منائحهم: جمع منيحة والمنيحة هي المنحة .

قال ابن شهاب: وكان من شأن أم أيمن ، أم أسامة بن زيد ، أنها كانت وصيفة لعبدالله بن عبدالمطلب وكانت من الحبشة ، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ ، بعدما توفي أبوه فكانت أم أيمن تحضنه ، حتى كبر رسول الله ﷺ ، فأعتقها ، ثم أنكحها زيد بن حارثة ، ثم توفيت بعدما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر ^(١) .

٢٦- شبع المسلمين من التمر بعد فتح خيبر :

٥٨٤- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (فلما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر) ^(٢) .

٥٨٥- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر) ^(٣) .

٢٧- تأمير أحد الأنصار على خيبر :

٥٨٦- من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: (إن النبي ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر ، فأمره عليها) ^(٤) .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٤٩٦٨: وفي رواية ابن عوانة والدارقطني (سواد بن غزیه) وهو من بني عدي بن النجار .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر حديث رقم: ١٧٧١ ، البخاري في كتاب الهبة باب فضل النية حديث رقم: ٢٦٣٠ ، وانظر أرقام: ٣١٢٨ ، ٤٠٣٠ ، ٤١٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٤٣ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر حديث رقم: ٤٢٤٦-٤٢٤٧ .

الأحكام والفوائد المستقاة من غزوة خيبر:

لخص الحافظ ابن حجر قسماً من هذه الفوائد في فتح الباري: ٤٩٨/٧ ، في تعليقه على الحديث رقم: ٤٢٤٩ ، في كتاب المغازي ، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر فقال: وقد اشتملت قصة خيبر على أحكام كثيرة منها:

١- جواز قتال الكفار في أشهر الحرم .

٢- والإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنذار .

٣- وقسمة الغنائم على السهام .

٤- وأكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه بشرط أن لا يدخره ولا يحوله .

٥- وإن مدد الجيش إذا حضر بعد انقضاء الحرب يسهم لهم إن رضي الجماعة كما وقع لجعفر والأشعرين .

٦- ولا يسهم لهم إذا لم يرضوا كما وقع لإبان بن سعيد وأصحابه .

٧- ومنها تحريم لحوم الحمر الأهلية ، وأن ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالزكاة .

٨- وتحريم متعة النساء .

٩- وجواز المساقاة والمزارعة .

١٠- ويثبت عقد الصلح والتوافق من أرباب التهم .

١١- وإن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقض عهده وهدر دمه .

١٢- وإن من أخذ شيئاً من الغنيمة قبل القسمة لم يملكه ولو كان دون حقه .

١٣- وأن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها .

١٤- وجواز إجلاء أهل الذمة إذا استغنى عنهم .

١٥- وجواز البناء بالأهل بالسفر .

١٦- والأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم « انتهى .

وقد أورد الحافظ ابن القيم رحمه الله كثيراً من هذه الفوائد وزاد عليها في كتابه العظيم زاد المعاد في هدي خير العباد فانظرها هناك (٣/٣٣٩ - ٣٥٨).

المبحث السابع: سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

٥٨٧- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (غزونا فزارة ، وعلينا أبو بكر ، أمره رسول الله ﷺ علينا . فلما كان بيننا وبين الماء ساعة ، أمرنا أبو بكر فعرسنا ^(١) ثم شن الغارة ، فورد الماء ، فقتل من قتل عليه ، وسبى ، وأنظر إلى عنق من الناس ^(٢) ، فيهم الذراري ^(٣) فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل . فلما رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم . وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من آدم ^(٤) . معها ابنة من أحسن العرب . فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر . فنفلني أبو بكر ابنتها ، فقدمنا المدينة ، وما كشف لها ثوباً . فلقيني رسول الله ﷺ في السوق . فقال: (يا سلمة ! هب لي المرأة) فقلت: « يا رسول الله ! والله لقد أعجبتني ، وما كشفت لها ثوباً » ^(٥) ، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق ، فقال لي: (يا سلمة ! هب لي المرأة . لله أبوك !) فقلت: هي لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً . فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة » ^(٦) .

المبحث الثامن: سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الحرقات من جهينة

٥٨٨- من حديث أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: « بعثنا رسول الله ﷺ في سرية . فصباحنا الحرقات ^(٧) من جهينة ، فادركت رجلاً ، فقال: لا إله إلا الله ، فطعته فوق في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟) قال: قلت: يا رسول الله ! إنما

(١) التعريس: نزول آخر الليل .

(٢) عنق من الناس: جماعة .

(٣) الذراري: النساء والصبيان .

(٤) قشع من آدم: نطع .

(٥) وما كشفت لها ثوباً: كناية عن الجماع .

(٦) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب التنكيل حديث رقم: ١٧٥٥ ، وأبو داود في السنن في الجهاد باب الرخصة في المدركين يفرق بينهم حديث رقم: ٢٦٩٧ ، أحمد في المسند: ٤٦/٤ ، البيهقي في الدلائل: ٢٩٠/٤ .

(٧) فصباحنا الحرقات: أتيناها صباحاً ، الحرقات موضع بيلاد جهينة .

قالها خوفاً من السلاح . قال: (أفلا كشفت عن قلبه حتى تعلم أقوالها لم لا)
فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ .

قال: فقال سعد - يعني سعد ابن أبي وقاص - : « وأنا والله لا أقتل مسلماً
حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة قال: قال رجل: ألم يقل الله: ﴿ وَقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ﴾ الأنفال آية (٣٩) فقال سعد: قد قاتلنا حتى
لا تكون فتنة ، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة »^(١) اللفظ
لمسلم.

المبحث التاسع: سرية غالب بن عبدالله الليثي بن الملوح بالكديد

٥٨٩- من حديث جندب بن مكيث الجهني: قال: « بعث رسول الله ﷺ
غالب بن عبدالله الكلبي كلب ليث ، إلى بني ملوح بالكديد^(٢) ، وأمره أن يغير
عليهم ، فخرج فكنت في سريته ، فمضينا حتى إذا كنا بقديد^(٣) لقينا بها الحارث
ابن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه فقال: إنما جئت لأسلم ، فقال غالب
ابن عبدالله: إن كنت إنما جئت مسلماً ، فلن يضرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت غير
ذلك استوثقنا منك . قال فأوثقه رباطاً ، ثم خلف عليه رجلاً أسود كان معنا ،
فقال امكث معه حتى نمر عليك ، فإن نازعك ، فاحتر رأسه ، قال: ثم مضينا
حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشيشية بعد العصر ، فبعثني أصحابي في ربيثة^(٤) ،
فعمدت إلى تل يطل علي الحاضر ، فانبطحت عليه وذلك المغرب ، فخرج رجل
منهم ، فنظر فرآني منبطحاً على التل ، فقال لامراته: والله إنني لأرى على التل
سواداً ما رأيته أول النهار ، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك .

قال: فنظرت ، فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً ، قال: فناوليني قوسي وسهمين
من كنانتي ، قال: فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي ، قال: فنزعته فوضعته ،
ولم أتحرك ، ثم رماني بآخر فوضعه في رأس منكمبي ، فنزعته ، ووضعته ، ولم

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحركات: ٤٢٦٩ ، وانظر: ٦٨٧٢ ،
ومسلم في الإيمان باب تحريم قتل الكافر إذا قال لا إله إلا الله رقم: ٩٦ ، وأبو داود في الجهاد باب
على ما يقاتل المشركون: ٢٦٤٣ ، وأحمد في المسند: ٢٠٧/٥ .

(٢) بني ملوح بالكديد: ماء بين الحرمين الشريفين .

(٣) قديد: موضع بين مكة والمدينة .

(٤) ربيثة: العين والطليلة .

أتحرك ، فقال لامراته: والله لقد خالطه سهامي ، ولو كان دابة لتحرك ، فإذا أصبحت ، فابتغى سهمي فخذيهما لا تمضغهها علي الكلاب .

قال: وأمهلناهم حتى راحت رائحتهم حتى إذا احتلبوا ^(١) ، وعطنوا ، أو سكنوا ^(٢) ، وذهبت عتمة من الليل ^(٣) شتنا عليهم الغارة ^(٤) ، فقتلنا من قتلنا منهم ، واستقنا النعم فوجهنا قافلين ^(٥) وخرج صريخ القوم إلى قومهم مغوثاً ^(٦) ، وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن البرصاء وصاحبه فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس ، فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي أقبل سيل حال بيننا وبينهم بعثة الله تعالى من حيث شاء ، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقوم عليه ، فلقد رأيناهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يتقدم ، ونحن نحوزها ^(٧) سراعاً ، حتى اسدناها في المشلل ^(٨) ثم حددناها عنا فأعجزنا القوم بما في أيدينا ^(٩) .

المبحث العاشر: قصة محلم بن جثامة وقتله الرجل الذي جاء مسلماً

٥٩٠- من حديث عبدالله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال: « بعثنا رسول الله ﷺ إلى أضم ، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحرث بن ربيعي ، ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له ^(١٠) مع متيع ^(١١) له ووطب ^(١٢) من لبن ، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه ، مجلم بن جثامة ، فقتله لشيء

(١) احتلبوا: حلبوا ماشيتهم .

(٢) سكنوا: قاموا .

(٣) عتمة من الليل: ذهب مدة من ظلمة الليل .

(٤) شتنا عليهم الغارة: فرقنا عليهم الجيوش في كل الجهات .

(٥) قافلين: راجعين .

(٦) مغوثاً: طالباً الإغاثة والإعانة .

(٧) نحوزها: نسوق ما غنمناه ، وملكناه من النعم .

(٨) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد .

(٩) أخرجه أحمد: ٤٦٧/٣ ، ورواه أبو داود برقم: ٢٦٧٨ ، مختصراً إلى قوله فوثقناه ورباطاً ورجاله ثقات خلا مسلم بن عبدالله الجهني فإنه لم يوثقه غير ابن حبان . وقال الهيثمي في المجمع: ٢٠٢/٦ - ٢٠٣ . رواه الطبراني ، وأحمد ، ورجاله ثقات ، فقد صرح ابن إسحاق بالسماع من رواية الطبراني .

(١٠) مقود: البعير المتخذ للركوب .

(١١) متيع: تصغير متاع .

(١٢) ووطب: وعاء اللبن .

كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتاعه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ (٢٨١).

المبحث الحادي عشر: سرية عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه

٥٩١- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث ، وأنا فيهم . فلما انتهى إلى رأس غزاته ، أو كان ببعض الطريق استأذن منه طائفة من الجيش ، فأذن لهم ، وأمر عليهم عبدالله ابن حذافة بن قيس السهمي ، فكنت فيمن غزا معه ، فلما كان بعض الطريق ، أوقد ناراً ليصطلوا ، أو ليصنعوا عليها صنيعاً ، فقال عبدالله « وكانت فيه دعاية » اليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا؟ بلى . قال: فما أنا بأمركم بشيء إلا صنعتموه ؟

قالوا: نعم. قال: فلإني أعزم عليكم إلا توابستم في هذه النار . فقام ناس فتحجزوا . فلما ظن أنهم واثبون ، قال: أمسكوا على أنفسكم ، فإنما كنت أمزح معكم . فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (من أمركم منهم بمعصية الله ، فلا تطيعوه) (٣).

٥٩٢- ومن حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية (٤).

(١) النساء: ٣٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١١/٦ ، ورجاله ثقات ، وابن هشام في السيرة: ٦٢٧/٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ١٩٩/٢ - ٢٠٠ ، وزاد نسبته إلى ابن سعد ، وابن أبي شيبه ، وابن جرير ، والطبراني ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل: ٣٠٥/٤ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/٧ ، رواه أحمد ، والطبراني ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجهاد باب لا طاعة في معصية الله حديث رقم: ٢٨٦٣ ، وابن حبان ، برقم: ١٥٥٢ موارد ، وأحمد في المسند: ٦٧/٣ ، والحاكم في المستدرک: ٦٣٠-٦٣١ وأبو يعلى برقم: ١٣٤٩ ، وقال البوصيري في الزوائد: ٤٢٣/٢ ، إسناده صحيح ونقل الحافظ في الفتح: ٥٨/٨ تصحيحه عن ابن خزيمة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة النساء باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم حديث رقم: ٤٥٨٤ ، مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء حديث رقم: ١٨٣٤ ، وأبو داود في الجهاد باب في الطاعة: ٢٦٢٤ ، الترمذي: في الجهاد: ١٦٧٣ ، النسائي في البيعة: ١٥٤/٧ ، أحمد في المسند: ٣١٢٤ .

المبحث الثاني عشر: غزوة ذات الرقاع-

وهي غزوة محارب خصفه من بني ثعلبة من غطفان . وهي التي صلى النبي ﷺ فيها صلاة الخوف وكانت تسمى أيضاً (غزوة نجد) .

١- سبب تسميتها بهذا الاسم:

٥٩٣- من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ، ونحن في تسعة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمائي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذاك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاء»^(١) .

٢- وقتها:

قال الإمام البخاري: إن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر^(٢) ، وأيده في ذلك ابن كثير في سيرته^(٣) ، وابن حجر في الفتح^(٤) ، وابن القيم في زاد المعاد^(٥) .

إلا أن محمد بن إسحاق وجماعة من أهل السير والمغازي قالوا: إنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين ، وذلك في السنة الرابعة للهجرة^(٦) .

قلت: وما في الصحيح أصح ، وأولى بالتقديم ، وله من أحاديث الصحابة رضوان الله عليهم ما يستنده ويقويه ، من قول أبي هريرة: « صليت مع النبي ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف » ، وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر^(٧) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم: ٤١٢٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب الهجرة والمغازي باب غزوة الرقاع حديث رقم: ١٨١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع ، وهي غزوة محارب حفصة من بني ثعلبة من غطفان ، ونزل نخلاً وهي بعد خيبر ، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر فتح: ٤١٦/٧ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: ١٦١/٣ .

(٤) ابن حجر في الفتح: ٤١٨/٧ .

(٥) زاد المعاد: ٢٥٣/٣ .

(٦) ابن هشام في السيرة: ١٥٧/٣ .

(٧) أخرجه أحمد: ٣٢٠/٢ ، والنسائي: ١٧٣/٣ ، وإسناده صحيح ، وابن حبان في صحيحه: ٥٨٥ موارد الظمآن ، وأبو داود في الصلاة باب من قال يكبرون جميعاً وإن كانوا مستدبري القبلة حديث رقم: ١٢٤٠ .

ويؤيده أيضاً ما جاء من حديث أبي موسى الأشعري السابق في سبب تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم ، وإخباره بأنه حضرها ، وإنما جاء أبو موسى الأشعري مع جعفر بعد غزوة خيبر .

ويؤيده أيضاً ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: « غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فذكر صلاة الخوف » ^(١) ، وإنما كانت إجازة النبي ﷺ لابن عمر بالقتال عام الخندق .

٣- محاولة اغتيال النبي عليه السلام ، وصلاته بالمسلمين صلاة الخوف:

٥٩٤- من حديث جابر رضي الله عنه قال: « أقبلنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة ، تركناها لرسول الله ﷺ ، قال: فجاء رجل من المشركين ، وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه ، فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني ؟ قال: (لا) قال: فمن يمنعك مني ؟ قال: (الله يمنعني منك) قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف ، وعلقه ، قال: فتودي بالصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، قال فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات ، وللقوم ركعتان . »

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل في رواية أحمد كما يلي: « قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة ، فرأوا من المسلمين غرة ، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني ؟ قال: (الله عز وجل) فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني ؟ قال: كن كخير آخذ ، قال: (أتشهد أن لا إله إلا الله ؟) قال: لا ، ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، قال: فذهب إلى أصحابه ، قال: قد جثتكم من عند خير الناس » ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم: ٤١٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم: ٤١٣٦ ، مسلم في صلاة المسافرين باب صلاة الخوف حديث رقم: ٨٤٣ ، وأحمد في المسند: ١١١/٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
أما عن تفصيلات صلاة الخوف فيستطاع الرجوع إلى ذلك إلى كتاب الصلاة باب صلاة الخوف في كل من صحيح البخاري ومسلم ، وسائر كتب السنة المشرفة ، وكتب الفقه .

٤- عباد بن بشر وما حصل معه أثناء الحراسة:

٥٩٥- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع فأصيبت امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، وجاء زوجها ، وكان غائباً ، فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق دماً في أصحاب محمد ﷺ ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ ، فنزل النبي ﷺ منزلاً ، فقال: (من رجل يكلؤنا)^(١) فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله ، قال: (فكونا بفم الشعب)^(٢) .

قال: وكانوا نزلوا إلى شعب الوادي ، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره ؟ قال: اكفني أوله ، فاضطجع المهاجري ، فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة^(٣) القوم ، فرماه بسهم ، فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه وثبت قائماً ، ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه وثبت قائماً ثم عاد له بثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه^(٤) فقال: اجلس فقد أوتيت ، فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرأ به^(٥) فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله ألا أهيتني قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها^(٦) ، فلما تابع الرمي ركعت فأريتك ، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها وأنفذها^(٧) .

(١) يكلؤنا: يحرسنا .

(٢) الشعب: الوادي ، وزاد ابن إسحاق: وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر الأنصاري .

(٣) ريثة: العين أو الطليعة التي تقوم على حراسة القوم من عدوهم .

(٤) أهب صاحبه: أيقظه .

(٥) نذرأ به: عرفوا بخطرته .

(٦) أنفذها: أفرغ منها .

(٧) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٤٤ ، ٣٥٩ ، أبو داود في الطهارة باب الوضوء من الدم حديث: ١٩٨ ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، والبيهقي في السنن: ٩/ ١٥٠ ، كتاب السير باب صلاة الحرص ، وفي الدلائل: ٣/ ٣٧٩ ، وفي سند هذا الحديث عقيل بن جابر بن عبدالله ، وثقه ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وصححه ابن خزيمة: ٣٦ ، وذكره البخاري معلقاً ، كذا قال في التلخيص الحبير: ١١٤/ ١ - ١١٥ ، قلت: وإسناده حسن .

٥- قصة جمل جابر بن عبدالله رضي الله عنه :

٥٩٦- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : « خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة ، فأبطأ بي جملي ، فأتى عليّ رسول الله ﷺ ، فقال لي : (يا جابر) قلت : نعم . قال : (ما شأنك) ، قلت : أبطأ بي جملي وأعيأ^(١) فتخلفت ، فنزل فحجته بمحنة^(٢) ثم قال : (اركب) فركبت فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ فقال : (أتزوجت ؟) فقلت : نعم ، فقال : (أبكراً أم ثيباً؟) فقلت : بل ثيب . قال : (فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟) فقلت : إن لي أخوات ، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهم ، وتمشطهن ، وتقوم عليهن . قال : (أما إنك قادم ، فإذا قدمت فالكيس الكيس !) ثم قال : (أتبيع جملك ؟) قلت : نعم ، فاشتره مني بأوقية .

ثم قدم رسول الله ﷺ ، وقدمت بالغداة ، فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد ، فقال : (الآن حين قدمت؟) قلت : نعم ، قال : (فدع جملك ، وادخل فصل ركعتين) قال : فدخلت فصليت ، ثم رجعت . فأمر بلالاً أن يزن لي أوقية . فوزن لي بلال ، فأرجع في الميزان . قال فانطلقت . فلما وليت قال : (ادع لي جابراً) فدعيت . فقلت : الآن يرد علي الجمل ولم يكن شيء أبغض إلي منه . فقال : (خذ جملك ولك ثمنه)^(٣).

ولم يأت في لفظ الصحيحين التصريح باسم الغزوة التي حصلت فيها قصة جابر، ولكن جاء من نفس الطريق طريق وهب بن كيسان عن جابر التصريح بأن الغزوة هي غزوة ذات الرقاع ، وذلك عند ابن هشام في السيرة: ٢٠٦/٢-٢٠٧، عن ابن إسحاق حدثني وهب بن كيسان عن جابر ... ، وهذا سند صحيح ،

(١) أعيأ: عجز عن السير .

(٢) حجته بمحنة: المحجن: العصا فيها تعقيف يلتقط بها الراكب ما سقط منه .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب شراء الدواب والحمير حديث رقم: ٢٠٩٧ وفي مواطن أخرى متعددة ، ومسلم في كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر حديث: ٥٧/٧١٥، ص: ١٠٨٩ ، ومسلم في المساقاة باب بيع البعير واستثناء ركوبه: ١١٤/٧١٥ ، والطياشي: ٣٠٥/١ برقم: ١٥٥٠ ، وأحمد في المسند: ٢٩٩/٣ ، ٣٠٣ ، والحميدي رقم: ١٢٨٧ ، والترمذي في البيوع باب ما جاء في اشتراط ظهر الدابة عند البيع رقم: ١٢٥٣ ، وأبو داود في الإمارة باب في شرط في بيع: ٣٥٠٥ ، والنسائي في البيع باب البيع يكون فيه اشتراط فيصح البيع والشرط: ٢٩٧/٧ ، وابن ماجه في التجارات باب في السوم: ٢٢٠٥ ، وأبو يعلى في المسند: ١٧٩٣ ، وكل هؤلاء أخرجه عنه بطرق متعددة وكلها صحيحة والحمد لله .

لأن ابن إسحاق صرح بالتحديث ، فزالت عنه شبهة التدليس .

فوائد حديث جابر:

- ١- في الحديث جواز المساومة لمن يعرض سلعته للبيع .
- ٢- وفيه أن القبض ليس شرطاً في صحة البيع .
- ٣- وجواز التحدث بالعمل الصالح للإتيان بالقصة على وجهها لا على وجه تزكية النفس ، وإرادة الفخر .
- ٤- وفيه تفقد الإمام والكبير لأصحابه وسؤاله عما ينزل بهم ، وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء .
- ٥- وفيه جواز الضرب للدابة للمسير ، وإن كانت غير مكلفة ، إذا لم تكن قادرة .
- ٦- وفيه توقيع التابع لرئيسه .
- ٧- وفيه الوكالة في وفاء الدين ، والشراء بالنسيئة .
- ٨- وفيه جواز الزيادة في الثمن عند الأداء ، والرجحان في الوزن لكن برضا المالك .
- ٩- وفيه فضيلة لجابر حيث ترك حظ نفسه وامتلأ أمر النبي ﷺ له ببيع جملة مع احتياجه إليه .
- ١٠- وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ .

المبحث الثالث عشر: عمرة القضاء

أو عمرة القضية ، أو عمرة القصاص أو عمرة الصلح ^(١) .

١- وقتها :

قال الحافظ في الفتح : « روى يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند حسن عن ابن عمر قال : « كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع » ، وفي مغازي سليمان التيمي قال : « لما رجع النبي ﷺ من خيبر بث سراياه ، وأقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة ، فنادى في الناس أن تجهزوا إلى العمرة » ^(٢) .

وكذلك قال نافع : كانت في ذي القعدة سنة سبع ، وقال ذلك أيضاً موسى بن عقبة : « ثم خرج رسول الله ﷺ من العام المقبل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع » . وقال ذلك ابن إسحاق وأبو الأسود عن عروة وسليمان التيمي جميعاً في مغازيهم : « إنه ﷺ خرج إلى عمرة القضاء في ذي القعدة » ^(٣) .

٢- مقالة قريش أن الحمى في يثرب قد أوهنت قوى المسلمين :

٥٥٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الركبتين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، وزاد ابن سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لما قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال : (ارملوا ليرى المشركون قوتكم) والمشركون من قبل قعيقعان » ^(٤) .

وفي لفظ مسلم بعد قوله وأن يمشوا بين الركبتين قوله (ليرى المشركون جلدتهم ، فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم . هؤلاء أجلد من كذا وكذا) .

(١) فتح الباري : ٥٠٠/٧ سيرة ابن كثير : ٤٢٨/٣ .

(٢) فتح الباري : ٥٠٠/٧ ، باب عمرة القضاء كتاب المغازي .

(٣) فتح الباري : ٥٠٠/٧ ، زاد المعاد : ٣٧٠/٣ ، دلائل النبوة البيهقي : ٣١٣/٤ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم : ٤٢٥٦ ، مسلم في صحيحه الحج باب استحباب الرجل في الطواف والعمرة حديث رقم : ١٢٦٦ ، وأحمد في المسند : ٣٠٦/١ وأبو داود في المناسك باب في الرمل : ١٨٨٦ ، والنسائي في الحج باب العلة التي من أجلها سعى النبي : ٢٣٠/٥ . ٢٣١ .

٣- إنشاد عبدالله بن رواحة بين يدي رسول الله في اثناء الطواف :

٥٩٨- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وعبدالله بن رواحة ينشد بين يديه :

خلوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
بأن خير القتل في سبيله نحن قتلناكم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله

وقد جاء من وجه آخر بلفظ « أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبدالله بن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ ، وفي حرم الله عز وجل تقول الشعر ، قال النبي ﷺ : (خل عنه ، فهو أسرع فيهم من نضح النبل)^(١) هذا لفظ النسائي .

٤- ستر النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من المشركين :

٥٩٩- من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : « لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ، ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ »^(٢) .

(١) أخرجه عبدالرزاق عنه من وجهين صحيحين ، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه أبو يعلى والطبراني ، والبيهقي في الدلائل : ٣٢٢/٤ - ٣٢٣ ، كذا قال الحافظ في الفتح : ٥٠١/٧ ، ومن أحد هذين الوجهين عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس أخرجه الترمذي في الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر حديث رقم : ٢٨٤٧ ، وقال : حسن صحيح غريب ، والنسائي في الحج باب إنشاد الشعر في الحرم والمشى بين يدي الإمام : ٢٠٢/٥ ، وابن حبان في صحيحه : ٢٠٢٠-٢٠٢١ ، الأدب باب هجاء أهل الشرك ، موارد ، وأبو يعلى برقم : ٣٤٤٠ ، والبيهقي : ٢٨٨/١٠ ، وأبو نعيم في الحلية : ٢٩٢/٦ ، والحديث صحيح على شرط مسلم كما قاله الحافظ في الفتح : ٥٠٢/٧ ، وقد جاء مرسلًا من حديث عبدالله بن أبي بكر بن حزم عند ابن هشام في السيرة : ٣٧١/٢ ، ومن مراسلات ابن شهاب أخرجه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع : ١٤٦/٦ - ١٤٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم : ٤٢٥٥ ، أبو داود في الحج باب أمر الصفا والمروة حديث رقم : ١٩٠٣ ، ابن ماجه في السنن المناسك باب العمرة حديث رقم : ٢٩٩٠ .

٥- زواجه بميمونة في رحلة عمرة القضاء :

٦٠٠- من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « تزوج النبي ﷺ ميمونة ، وهو محرم وبني بها وهو حلال ، وماتت بسرف » ^(١) .

٦٠١- وقد جاء من طريق آخر بزيادة لطيفة أوضحت بعض أحداث قصة الزواج ، وذلك من حديث ابن إسحاق قال حدثني أبان بن صالح وعبدالله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ، وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبدالمطلب » ^(٢) .

٦٠٢- وقد جاء من حديث ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قولها: « تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف » ^(٣) .

انظر التوفيق بين هذين الحديثين في زاد المعاد: ٣/٣٧٢-٣٧٤ ، وفي نصب الراية: ٣/١٧٣ ، وفتح الباري كتاب الحج باب تزويج المحرم ، وفي النكاح باب نكاح المحرم ، وشرح صحيح مسلم في كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم .

٦- طلب المشركين من الرسول عليه الصلاة والسلام الخروج من مكة :

٦٠٣- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ » ، قالوا: لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبدالله ، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله ، ثم قال لعلي: امح رسول الله ، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً .

فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يحسن يكتب - ، فكتب: « هذا ما قاضى محمد بن عبدالله ، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب ، وأن لا

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم: ٤٢٥٨ ، مسلم في النكاح باب تحريم نكاح المحرم حديث رقم: ١٤١٠ ، وأبو داود حديث رقم: ١٨٤٤ ، والترمذي: ٨٤٢ ، والنسائي: ١٩١/٥ ، ابن ماجه: ١٩٦٥ ، الدارمي: ٣٧/٢ ، ابن سعد: ١٣٦/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم: ٤٢٥٩ ، معلقاً ، وابن هشام في السيرة: ٣٧٢/٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم حديث رقم: ١٤١١ ، أبو داود في الحج باب المحرم يتزوج حديث رقم: ١٨٤٣ ، وابن ماجه: ١٩٦٤ ، وأحمد في المسند: ٣٣٣/٦ ، ٣٣٥/٦ ، والبيهقي: ٦٦/٥ ، والترمذي: ٨٤٥ .

يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها » فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا ، فقد مضى الأجل ، فخرج النبي ﷺ .^(١)

٦٠٤- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه: « ... فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً ، فأتاه حويطب بن عبدالعزيز بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ، فقال النبي ﷺ: (وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه) .

قالوا: لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا ، فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة »^(٢) .

٧- خروج ابنة حمزة بن عبدالمطلب خلف النبي عليه الصلاة والسلام:

٦٠٥ - من حديث البراء بن عازب قال: « ... فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي ، يا عم ، يا عم ، فتناولها علي فأخذها بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام ، دونك ابنة عمك احملها ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي: أنا أخذتها ، هي بنت عمي ، وقال جعفر: ابنة عمي ، وخالتها تحتي ، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: (الخالة بمنزلة الأم) .

وقال لعلي: (أنت مني وأنا منك) .

وقال لجعفر: (أشبهت خلقي وخلقي) .

وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا) .

وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة ؟ قال: (إنها ابنة أخي من الرضاعة)^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في الصلح باب كيف يكتب حديث رقم: ٢٦٩٩ ، وفي المغازي باب عمرة القضاء الحديث: ٤٢٥١ ، أبو داود في السنن: ٢٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، والدارمي في سننه: ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ ، والبيهقي في السنن: ٦٥/٨ ، والترمذي مختصراً: ٣٧٦٩ ، وأحمد: ١١٥ ، ٩٩/١ ، ٢٣٠ .

(٢) ابن هشام في السيرة: ٣٧٢/٣ ، وقد سبق مقطع منه برقم: ٦٠١ ، وقد خرج البخاري بعضه معلقاً فانظره هناك .

(٣) قد سبق جزء من هذا الحديث برقم: ٦٠٣ .

المبحث الرابع عشر: كتب الرسول إلى الملوك والزعماء

كان من هدي نبينا ﷺ أنه لا يبدأ أحداً بقتال إلا إذا بلغه الدعوة ، ودعاه إلى الله تعالى ، وقد اتبع رسول الله ﷺ هذا المنهج التزاماً بأوامر الله تعالى له ، اتبع هذا المنهج مع جميع من حاربهم من القبائل العربية ، واتباع هذا المنهج مع ملوك الأرض وأباطرتها في عصره ، فدعاهم إلى الله تعالى ، فأرسل إليهم رسله ، وبعث إليهم كتبه يدعوهم إلى الله تعالى ، ولم يستثن أحداً منهم .

٦٠٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر ، وإلى النجاشي وإلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ » ^(١) .

١- رسالته إلى هرقل ملك الروم:

٦٠٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: « انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ . قال: فبينما أنا بالشام ، إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل: يعني عظيم الروم . قال: وكان دحية الكلبي جاء به ، فدفعه إلى عظيم بصرى ^(٢) ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل .

فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم . قال: فدعيت في نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل . فأجلسنا بين يديه . فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا . فأجلسوني بين يديه . وأجلسوا أصحابي خلفي . ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم: إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فإن كذبتني فكذبوه ، قال: فقال أبو سفيان: وأيم الله ! لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت .

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل حديث رقم: ١٧٧٤ ، الترمذي في الاستبذان باب في مكاتبة المشركين رقم: ٢٧١٦ ، وقال: حديث حسن صحيح غريب ، والنسائي في السنن الكبرى كتاب السير كما أشار إليه في تحفة الأشراف . الحافظ المزني حديث ١١٧٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٧٦/٤ .

(٢) بصرى: منطقة حوران وهي منطقة ذات قلاع وأعمال قريبة من طرف البرية التي بين الشام والحجاز ، والمراد بعظيم بصرى: أميرها ، وحوران الآن هي منطقة جنوب سورية وجزء من شمال الأردن وشمال فلسطين .

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم ؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك ؟ قلت: لا ، قال: فهل كُتِّمَ تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت: لا . قال: ومن يتبعه: أشراف الناس ^(١) أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم . قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: لا . بل يزدون .

قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له ؟ قال: قلت: لا . قال: فهل قاتلتموه ؟ قلت: نعم . قال: فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يصيب منا ، ونصيب منه . قال: فهل يغدر ؟ قلت: لا . ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فوالله ما أمكنتني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه . قال: فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال: قلت: لا .

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها .

وسألتك: هل كان في آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا . فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه .

وسألتك عن أتباعه ، أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل .

وسألتك: هل كُتِّمَ تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا ؟ فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم يذهب فيكذب على الله .

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له ؟ فزعمت أن لا . وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب .

وسألتك: هل يزدون أو ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزدون . وكذلك الإيمان حتى يتم .

وسألتك: هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه . فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً . ينال منكم وتنالون منه . وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة .

(١) أشراف الناس: كبارهم وأهل الأحساب فيهم .

وسألتك: هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا . فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله . قلت رجل انتم بقول قيل قبله .

قال: ثم قال: بم يأمركم ؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف .

قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً ، فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنه منكم . ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليلغن ملكه ما تحت قدمي .

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام ^(١) ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتكَ الله أجرَك مرتين . وإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين ^(٢) ﴿ ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ ^(٣) .

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام .

وكان ابن الناطور - صاحب إيلياء وهرقل - أسقفاً على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه: قد استنكرنا هيتك . قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاءً ينظر في النجوم .

(١) دعاية الإسلام: دعوة الإسلام وهي كلمة التوحيد .

(٢) الأريسيين: الأكارون ، أي الفلاحون والزراعون ، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ، ويقال إنهم اليهود والنصارى أتباع عبدالله أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى ، ويقال: إنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة ويأمرونهم بها ، والقول الأول: هو الأصح والأشهر .

(٣) ٣/ آل عمران آية ٦٤ .

فقال لهم حين سألوه ، إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ؟ قالوا: ليس يختن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك ، فيقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ .

فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختن ، وسأله عن العرب فقال: هم يختنون . فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي .

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال: « يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليّ . وقال: إني قلت مقاتلي أنفأ أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل » ^(١) .

٢- رسالة النبي إلى كسرى ملك الفرس

٦٠٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب حديث أبي سفيان عند هرقل حديث رقم: ٧ ، وله أطراف في صحيح البخاري بأرقام: ٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ و ٧١٩٦ ، ٧٥٤١ ، وفي صحيح مسلم الجهاد والسير باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: ١٧٧٣ . الترمذي في سننه رقم: ٢٧١٨ ، الاستبذان ، باب ما جاء كيف يكتب لأهل الشرك ، وأبو داود في الأدب: ٥١٣٦ ، باب كيف يكتب إلى الذمي ، أحمد: ٢٦٣/١ ، والبيهقي في السير: ١٧٧/٩ ، باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان ، وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم: ٢٣٩ ، وعبد الرزاق في المصنف رقم: ٩٧٢٤ ، وابن مندة في الإيمان رقم: ١٤٣ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر حديث رقم: ٤٤٢٤ ، فتح: ١٢٦/٨ ، أحمد في المسند: ٢٤٣/١ ، ٣٠٥ .

٦٠٩- من مرسلات سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: « كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر ، والنجاشي كتاباً واحداً

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي أما بعد:

﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

فأما كسرى ، فمزق كتابه ، ولم ينظر فيه فقال رسول الله ﷺ: (مزق ومزقت أمته)^(١) .

٦١٠- من مرسل يزيد بن حبيب رضي الله عنه قال: « وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، فإن تسلم ، وإن أبيت فلإن إثم المجوس عليك) .

قال: فلما قرأه شقه وقال: يكتب إلي بهذا وهو عدي .

قال: ثم كتب كسرى إلى باذان ، وهو على اليمن ، أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين ، فليأتياني به ، فبعث باذان قهرمانه ، وهو بابويه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرسة ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف

(١) أخرجه أبو عبيد في الأموال رقم: ٥٩ ، صفحة ٣٢ ، وقد اتفقت كلمة العلماء على سعيد بن المسيب وأن جميع مراسيله صحيحة وأنه كان لا يرسل إلا عن ثقة من كبار التابعين أو صحابي معروف انظر أقوال العلماء في ذلك (جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص: ٤٥ - ٤٦ - ٩٩ ، وقد جاء ما يؤيده من مرسل يزيد بن أبي حبيب عند ابن جرير الطبري في تاريخه: ٩٠/٣/٢ ، قبل غزوة خيبر فالحديث بذلك حديث حسن .

معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : انت بلد هذا الرجل ، وكلمه ، واثنتي بخبره ، فخرجنا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قریش بجنب من أرض الطائف ، فسألاهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما ، وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض : ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل !

فخرجنا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلمه بابويه فقال : إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتتطلق معي ، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ، ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ، ومهلك قومك ، ومخرب بلادك .

ودخلا على رسول الله ﷺ ، وقد حلقا لحاهما ، وأغفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، ثم أقبل عليهما ، فقال : (ويلكما من أمركما بهذا ؟) قالوا : أمرنا بهذا ربنا ؛ يعينان كسرى ، فقال رسول الله ﷺ : (ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي ، وقص شاربي) ، ثم قال : (ارجعا حتى تاتياني غداً) .

قال : وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ، في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيروه فقتله ، قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا ، ونخبر الملك ؟ قال : (نعم أخبراه ذلك عني وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » .

ثم أعطى خرخرسة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك . فخرجنا من عنده حتى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، وليكونن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا ، فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فإني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشrafهم وتجميرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة من قبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه » .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: « إن هذا الرجل لرسول . فأسلم ، وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن ، وقال : وقد قال بابويه لباذان : ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه ، فقال له باذان : هل معه شرط ؟ قال لا^(١) .

٣- رسالته إلى النجاشي :

٦١١- من حديث أنس رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ »^(٢) .

وقد أوضح ابن القيم أن النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ ، وهو الذي آمن وأكرم أصحابه ، هو غير النجاشي الذي كتب إليه يدعو إلى الإسلام فهما اثنان^(٣) .

٤- رسالته إلى المقوقس حاكم مصر :

٦١٢- من مرسل عبدالرحمن بن عبد القارئ : « أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس ، فقبل الكتاب ، وأكرم حاطباً ، وأحسن نزله ، وسرّحه إلى النبي ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة ، وبغلة بسرجهما ، وخادمتين إحداهما أم إبراهيم ، وأما الأخرى ، فوهبها رسول الله ﷺ لجهم بن قيس العبدي ، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر »^(٤) .

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه المجلد الثاني الجزء الثالث ص: ٩٠-٩١ ، وابن كثير في سيرته: ٣/ ٥٠٨ - ٥١٠ ، نقلاً عن ابن جرير ، وابن سعد في الطبقات: ١٤٧/٢/١ ، من حديث عبيد الله بن عبدالله بن مسعود مرسلأ أيضاً بإسناد صحيح ، ووصله ابن بشران في الأمالي من حديث أبي هريرة بسند واه ، وحسنه الألباني بهذين الشاهدين « بدون ذكر ابن كثير كما في تعليقه على فقه السيرة: ص: ٣٨٩ .

(٢) سبق تخريجه حديث رقم: ٦٠٦ .

(٣) زاد المعاد: ٣/ ٦٩٠ .

(٤) سيرة ابن هشام: ٢١٦/٤ وعنه ابن كثير في سيرته: ٥١٤/٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٩٥/٤ ، وإسناده ثقات ، قد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وله شاهد من حديث حاطب أخرجه البيهقي في الدلائل : ٣٩٥/٤ - ٣٩٦ ، وابن كثير: ٥١٤/٣ - ٥١٥ ، وقال الحافظ في الإصابة: ٣٠٠/١ ، في ترجمة حاطب رقم: ١٥٣٨ ، أخرجه ابن شاهين من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده قلت: وفي سننه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف كما في التقريب ، فيرتقي الحديث إلى درجة الحسن ، وابن سعد في الطبقات: ١/ ٢٦٠ - ٢٦١ .

المبحث الخامس عشر

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة

٦١٣- من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا: وماذا رأيت ؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا ، فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خيراً ، قالوا: إن هذا الرأي ، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم^(١) فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ، قال: فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي ، وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنني أجزأت عنها^(٢) ، حين قتلت رسول محمد ، قال: فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال: مرحباً صديقي ، أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قال: قلت: نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال: ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتراه .

ثم قلت له: أيها الملك ، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال: فغضب ، ثم مد يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له: أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله !

قال: قلت: أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون

(١) الأدم: الجلد .

(٢) أجزأت عنها: كفيها .

وجنوده ، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال: نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي» .

اجتماع عمرو وخالد على الإسلام:

« ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت: أين يا أبا سليمان ؟

قال: والله لقد استقام المنسم^(١) ، وإن الرجل لنبى ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم . قال: فقدما المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد ، فأسلم ، وبايع ، ثم دنوت ، فقلت: يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر .

قال: فقال رسول الله ﷺ: (يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ، قال: فبايعته ثم انصرفت) .

قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما^(٢) .

٦١٤- ومن طريق عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك . فبسط يمينه ، قال: فقبضت يدي ، قال: (مالك يا عمرو؟) قال: قلت: أردت أن أشتري . قال: (تشتري بماذا ؟) قلت: أن يغفر لي . قال: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟)...»^(٣) .

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١٩٨/٤ - ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، الحاكم في المستدرک: ٤٥٤/٣ ، وإحدى طرقه عند أحمد: ٢٠٥/٤ يحيى بن إسحاق أنا ليث بن سعد عن يزيد إسنادهما صحيح على شرط مسلم رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ابن شماسه ، وهو عبدالرحمن فهو على شرط مسلم فقط ، بل وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (الإسلام يهدم ما قبله) برقم: ١٢١ ، الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ١٣٤/٢١ - ١٣٦ ، رواه ابن إسحاق ، وسنده جيد ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٥٠/٩ ، ٣٥١: مناقب عمرو بن العاص: رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات ، فالحديث بذلك صحيح .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله حديث. رقم: ١٢١ ، أبو عوانة في صحيحه: ٧٠/١ .

المبحث السادس عشر : غزوة مؤتة

١- وقت الغزوة:

قال ابن إسحاق رحمه الله: « حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان »^(١).
وقال الحافظ في الفتح: « وفي مغازي أبي الأسود عن عروة بعث رسول الله ﷺ الجيش إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان ، وكذا قال ابن إسحاق وموسى ابن عقبة وغيرهما من أهل المغازي لا يختلفون في ذلك ، إلا ما ذكر خليفة في تاريخه أنها كانت سنة سبع »^(٢).

٢- تعيين القادة على جيش مؤتة:

٦١٥- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة ، قال عبدالله: كنت فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية »^(٣).

٣- وداع أهل المدينة الجيش الخارج إلى مؤتة:

٦١٦- من حديث عروة بن الزبير « مرسلأ » قال: « بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإني أصيب جعفر ، فعبدالله بن رواحة عى الناس .

(١) ابن هشام في السيرة: ٣٧٣/٢ ، ونقله عنه ابن كثير في سيرته: ٤٥٥/٣ ، زاد المعاد: ٣٨١/٣ ، دلائل النبوة البيهقي: ٣٥٩/٤ .

(٢) فتح الباري: ٥١١/٧ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦١ ، وقد جاء تعيين القادة من رواية عدة من الصحابة منهم ابن عباس في المسند: ٢٥٦/١ ، وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ١٦/١٤ ، سننه لا بأس به ، ومن حديث أنس كما قال الهيثمي في المجمع: ١٥٦/٦ ، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح ، أبو نعيم في الحلية: ١١٧/١ - ١١٨ ، والحاكم: ٢١٢/٣ وابن سعد: ٢٦/١/٤ . وسيأتي أيضاً ذكر تعيين القادة في أحاديث عدة في أثناء الحديث عن الغزوة .

فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للخروج ، هم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ ، وسلموا عليهم ، فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال: أما والله ما يبى حب الدنيا ولا صباية بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأه آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، فقال عبدالله بن رواحة: لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ ^(٢) تقذف الزبدا ^(٣) أو طعنة بيدي حران مجهزة ^(٤) بحرية تنفذ الأحشاء والكبد ^(٥) حتى يقال إذا مروا على جدتي ^(٦) أرشده الله من غاز وقد رشدا ^(٧)

٤- تخلف عبدالله بن رواحة لحضور صلاة الجمعة :

٦١٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ ابن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال فقدم أصحابه وقال: أتخلف ، فأصلي مع النبي ﷺ الجمعة ، ثم ألحقهم ، قال: فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟) قال: أردت أن أصلي معك الجمعة قال: فقال رسول الله ﷺ: (لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت غدوتهم) ^(٨) .

(١) مريم: ٧١ .

(٢) ذات فرغ: يريد طعنة واسعة .

(٣) الزبد: أصله ما يعلو الماء إذا غلا ، وأراد هنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة .

(٤) مجهزة: سريعة القتل .

(٥) تنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليها .

(٦) الجدث: القبر .

(٧) ابن هشام في السيرة: والبيهقي في الدلائل: ٣٥٨/٤ - ٣٦٠ ، والطبري في التاريخ: ١٠٧/٣ ، ٣٧٣/٢ - ٣٧٤ ، عن عروة مرسلاً ، ورجاله ثقات ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٥٧/٦ - ١٥٨ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات إلى عروة وله شاهد من الحديث الذي بعده .

(٨) أخرجه أحمد في المسند: ٢٥٦/١ ، وفي الطبعة المرقمة تحقيق أحمد شاكر برقم: ٢٣١٧ ، وقال الشيخ الساعاتي: ١٦/١٤: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد ، وسنده لا بأس به: قلت: بل أخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في السفر يوم الجمعة رقم: ٥٢٧ ، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وابن أبي شيبة في المصنف: ٥١٢/١٤ ، وقد أعل بأن هذا الحديث ليس مما رواه الحكم

٥- قتال جعفر بن أبي طالب :

٦١٨- من حديث يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد ، قال :
(حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك
الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له
شقراء ، ثم عقرها ، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيده أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها^(١)

٦- قتال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه :

٦١٨- بنفس إسناد الحديث السابق قال أحد بني مرة بن عوف : « ... فلما قتل
جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل
يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ثم قال :

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة^(٢)

عن مقسم عن ابن عباس قال الشيخ أحمد شاكر ورواه البيهقي في السنن: ١٨٧/٣ ، من طريق الحسن
بن عياش عن الحجاج ثم قال البيهقي ورواه أيضاً حماد بن سلمة وأبو معاوية عن حجاج بن أرطاة
والحجاج ينفرد به « وللحديث شاهد بإسناد جيد يدل على صحة رواية الحجاج والحكم عن مقسم ، فقد
روى ابن عبدالحكم في فتوح مصر ص: ٢٩٨ من طريق ابن لهيعة عن زيان ابن فائد عن سهل بن
معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ﷺ : أنه أمر أصحابه بالغزو وأن رجلاً تخلف وقال لأهله: اتخلف
حتى أصلي مع رسول الله ... فذكر نحو الحديث السابق ، ويشهد له الحديث السابق .

(١) سيرة ابن هشام المجلد الثاني صفحة: ٣٧٨ ، من طريق ابن إسحاق ، وسنده ثقات ، فقد صرح ابن
إسحاق بالتحديث ، وأخرجه أبو داود بدون الشعر في كتاب الجهاد باب في الدابة تمرقب في الحرب
رقم: ٢٥٧٣ ، وقال: هذا الحديث ليس بالقوي والطبري في التاريخ: ١٠٨/٣ - ١٠٩ ، والبيهقي في
الدلائل: ٣٦٣/٤ ، قلت: وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح: ٥١١/٧ ، وقال: إسناده
حسن وقال الهيمتي في المجمع: ١٥٩/٦ - ١٦٠ : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات « وصححه أحمد شاكر
في تعليقه على مختصر سنن أبي داود: ٣٩٧/٣ ، بقوله: والإسناد صحيح لا علة فيه . فالحديث بذلك
حسن: ولا يضر جهالة الصحابي الذي روى الحديث .

(٢) شنة: السقاء البالي .

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ان تفعلني فعلهما هديت

يريد صاحبيه: زيداً وجعفرأ ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق^(١) من
لحم فقال: شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه
من يده ثم انتهس^(٢) منه نهسة ، ثم سمع الخطمة^(٣) في ناحية الناس فقال:
وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل «^(٤) .

٧- تولى خالد بن الوليد الإمارة وشدة بأسه :

٦١٩- بنفس الإسناد السابق: « ... ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني
العجلان ، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا: أنت ، قال:
ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ،
وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس »^(٥) .

٦٢٠- من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: « لقد انقطعت في يدي
يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية »^(٦) .

٦٢١- ومن حديث أبي قتادة رضي الله عنه: « بعث رسول الله ﷺ جيش
الأمراء وقال: عليكم زيد بن حارثة ثم إن أصيب زيد فجعفر ثم إن أصيب جعفر
فعبدالله بن رواحة الأنصاري ، فوثب جعفر فقال: بأبي أنت يا نبي الله ما كنت

(١) العرق: العظم الذي عليه بعض لحم .

(٢) انتهس: أخذ منه بفمه يسيراً .

(٣) الخطمة: زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً .

(٤) سبق تخريجه في الحديث السابق: ٦١٧ .

(٥) سبق تخريجه في الحديث السابق رقم: ٦١٧ ، وقد جاء من مرسل ابن شهاب الزهري مثل ذلك رواه
الطبراني ، ورجاله ثقات إلى ابن شهاب كذا قال الهيثمي في المجمع: ١٦٠/٦ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة رقم: ٤٢٦٥ ، ٤٢٦٦ وأحمد في الفضائل: ١٤٧٥ ،
والبيهقي في الدلائل: ٣٧٣/٤ ، والطبراني في الكبير: ٣٨٠٢ ، وابن سعد: ٢٥٣/٤ ، ٣٩٥/٧ ،
والحاكم في المستدرک: ٤٢/٣ .

أرهب أن تستعمل عليّ زيداً ، قال: امضوا فإن لا تدري أي ذلك خير ، قال: فانطلق الجيش فلبشوا ما شاء الله ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر ، وأمر أن ينادي الصلاة جامعة ، فقال رسول الله ﷺ: (ناب خير ، أو ثاب خير ^(١) «شك عبدالرحمن» .

ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو ، فأصيب زيد شهيداً ، فاستغفروا له) ، فاستغفر له الناس ، (ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ، فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، أشهدوا له بالشهادة ، فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة ، فثبت قدميه حتى أصيب شهيداً ، فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمر نفسه) ، فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه ، وقال: (اللهم هو سيف من سيوفك فانصره) ، «وقال عبدالرحمن» مرة (فانتصر به) .

فيومئذ سمي خالد سيف الله ، ثم قال النبي ﷺ: (انفروا فأمدوا إخوانكم ، ولا يتخلفن أحد) ، فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً ^(٢) .

٨ - لمن كان النصر في هذه المعركة:

إن سياق أصحاب المغازي والسير فيه اختلاف في وصف معركة مؤتة والحال التي كان عليها الجيش الإسلامي بين نصر أو هزيمة ، فانقسموا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قالوا: إن المسلمين قد انتصروا ، وعن قال بذلك موسى بن عقبة ، والواقدي ، والزهري ، ورجح هذا الرأي البيهقي ، وابن كثير في سيرته .

القسم الثاني: قالوا إن المسلمين هزموا شر هزيمة عرفوها في تاريخهم عقب

(١) عبدالرحمن هو ابن مهدي شيخ الإمام أحمد ، يشك هل قال رسول الله ﷺ ناب خير بالنون أو ثاب خير بالثاء ، وسواء كان ناب أو ثاب فمعناه الرجوع أي رجع إلى خير ، أي بلغني أما بطريق الوحي أو بطريق الكشف .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢٩١/٥ - ٣٠٠ - ٣٠١ ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٢٠٩٥ ، ٢٤٧/٩ ، وعند البيهقي كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه قلت: والحديث صحيح رجاله ثقات . قلت: وقد جاء تولي خالد إمرة الجيش أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه كما أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦٢ ، والنسائي في السنن: ٢٦/٤ كتاب الجنائز باب النعي دون ذكر خالد بن الوليد وتوليّه إمرة الجيش . ومن حديث عبدالله بن جعفر وسيأتي تخريجه عند عنوان رعاية الرسول عليه السلام لأسرة جعفر رضي الله عنه .

استشهاد القادة الثلاثة ، ومن قال بهذا القول ابن سعد في الطبقات: ١٣٠/٢ .

القسم الثالث: قال بأن كل فئة انحازت عن الأخرى ، ومن ذهب إلى هذه المقالة ابن إسحاق في السيرة ، وأيده على مقالته ابن القيم في زاد المعاد.

والرأي الذي أميل إليه وأرجحه هو رأي القسم الأول القائل بأن المسلمين قد انتصروا في غزوة مؤتة لوجود مرجحات لهذا القول من حديثي أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعوف بن مالك الأشجعي سأوردهما فيما يلي:

٦٢٢- أما حديث أنس رضي الله عنه « أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفرأً وابن رواحة للناس قبل أن يأتهم خبرهم فقال: (أخذ الراية زيداً فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) ^(١) .

وموطن الشاهد قوله عليه السلام: (حتى فتح الله عليهم) ، في هذا دلالة على أن النصر والفتح كان بجانب المسلمين حين تولى خالد بن الوليد القيادة وتسلم الراية، وقد جاءت هذه اللفظة من حديث عبدالله بن جعفر الذي سيأتي برقم: ٦٢٩ .

٦٢٣- وأما حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ووافقتني مددي من اليمن ليس معه غير سيفه ، فتحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المددي طابقة من جلده ، فأعطاه إياه فاتخذته كهيئة الدرق ، ومضينا ، فلقينا جموع الروم ، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يُغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة ، فمر به الرومي ، فعرقب فرسه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد ابن الوليد فأخذ من السلب ، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال: بلى ولكنني استكثرت . فقلت: لتردنه

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦٢ ، وانظر أرقام البخاري التالية: ١٢٤٦ ، ٢٧٩٨ ، ٣٠٦٣ ، ٣٦٣٠ ، ٣٧٥٧ ، والبيهقي في الجنازات: ٧٠/٤ ، وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٤٥٨ ، وأحمد في المسند: ١١٣/٣ ، ١١٧ - ١١٨ ، والبغوي في شرح السنة: ٣/١١ ، رقم: ٢٦٦٧ ، والنسائي في السنن: ٢٦/٤ ، كتاب الجنازات باب النعي وجاء لفظ النسائي دون ذكر تولى سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم .

إليه ، ولأعرفنكمها عند رسول الله ﷺ - فأبى أن يرد عليه .

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ ، فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ: (يا خالد رُدْ عليه ما أخذت منه) قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله ﷺ: (وما ذاك ؟) فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال: (يا خالد لا ترد عليه ، هل أنتم تاركوا أمرائي ؟ لكم صفوة أمرهم ، وعليهم كدره) ^(١) واللفظ لأحمد .

وموطن الشاهد في هذا الحديث أن جيش المسلمين قد غنم من الروم غنائم عدة كان هذا السلب من بينها ، ولا يغنم جيش من آخر إلا إذا كان متصراً ، والله أعلم .

وقد تقدم فيما رواه البخاري أيضاً عن خالد أنه قال: اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية) .

وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيه قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل على أنهم كانوا متصرين ، والله أعلم .

حزن النبي لموت جعفر:

- من حديث عائشة قالت: « لما جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه النبي ﷺ وسلم الحزن » ^(٢)

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القاتل حديث رقم: ١٧٥٣ ، أبو داود في الجهاد باب في الإمام يمنع القاتل السلب إن رأى وباب الفرس والسلاح من السلب حديث رقم: ٢٧١٩ ، ٢٧٢٠ ، وأحمد في المسند: ٢٦/٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن رقم: ١٢٩٩ ، وانظر أرقام: ١٣٠٥ ، ٤٢٦٣ ، ومسلم في الجنائز باب التشديد في النياحة: ٦٤٤-٦٤٥/٢ ، رقم: ٩٣٥ ، والنسائي في الجنائز باب النهي عن البكاء على الميت: ١٤٠/٤ ، ١٥ ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٨/ ١١٠-١١١ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٤٠-٤١/٣ ، ٢٠٩/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وانظر أسد الغابة: ٢٩٣/١ .

٩- منزلة القادة الشهداء :

١- إبدال جعفر بيديه جناحين في الجنة :

٦٢٤- عن عامر الشعبي قال: « كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين »^(١) .

٦٢٥- ومن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً في الجنة مضرجة قواده بالدماء يطير في الجنة)^(٢) .

والرواية الثانية عن ابن عباس ، إسناده جيد (إن جعفرأ يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه) .

ب - زيد بن حارثة رضي الله عنه :

٦٢٦- من حديث بريده رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة ، فاستقبلتني جارية شابة ، فقلت: لمن أنت ؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة)^(٣) .

فضيلة الأمراء الثلاثة مجتمعين :

٦٢٧- في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بينما أنا نائم إذا أتاني رجلان ، فأخذا بضبعي ، فاتيا بي جبلاً وعراً ، فقالا: اصعد ، فقلت: (لا أطيقه) . فقالا: أنا سنسهله لك . قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت: (ما هؤلاء الأصوات ؟) فقالا: عواء أهل النار ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب جعفر حديث رقم: ٣٧٠٩ ، وفي المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦٤ ، والطبراني في الكبير برقم: ١٤٧٤ ، وأحمد في الفضائل برقم: ١٦٨٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٠٩/٣ ، وله طريق أخرى عند الطبراني في الكبير برقم: ١٤٦٦ ، والحاكم ، وإسناده جيد ، وقال الهيثمي في الزوائد: ٢٧٢/٩ ، رواه الطبراني بإسنادين ، أحدهما حسن وقال الحافظ في الفتح: ٧٦/٧ ، إسناده جيد ، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي: ٣٧٦٧ ، المناقب باب مناقب جعفر وعند الحاكم: ٢٠٩/٣ ، وفي سننه ضعيف هو عبدالله بن جعفر المدني ، وقال الحافظ في الفتح ، ولحديث أبي هريرة طريق ثانية أيضاً عند الترمذي والحاكم إسناده قوي على شرط مسلم ، فتح الباري: ٧٦/٧ ، قلت: وللحديث شواهد أخرى أوردها ابن سعد في الطبقات: ٢٧/٢٥/٤ ، يصح بها الحديث والله أعلم .

(٣) ذكره صاحب كثر العمال بأرقام: ٣٣٢٩٩ ، ٣٣٣٠٢ ، ونسبه إلى الروياني ، والضياء في المختاره ، وابن عساكر ، وقال الذهبي: إسناده حسن ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: ١٨٥٩ .

مشقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً ، فقلت: ما هؤلاء ؟ فقالوا: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم . فقال: خابت اليهود والنصارى « قال سليم « يعني بن عامر الخبائري الراوي عن ابن أمية: سمعت من رسول الله ﷺ أم رأيه » .

(ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشد شيء انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً كان ريحهم المراحيض ، قلت: (من هؤلاء ؟) قالوا: هؤلاء قتلى الكفار ، ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كان ريحهم المراحيض ، قلت: (من هؤلاء ؟) قالوا: هؤلاء الزانون والزواني . ثم انطلقا بي ، فإذا بنساء ينهشن ثديهن الحيات ، فقال: (ما بال هؤلاء ؟) قالوا: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن البانهن ، ثم انطلقا بي ، فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت: من هؤلاء ؟ قالوا: هؤلاء ذراري المؤمنين .

ثم أشرفا بي شرفاً ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ، ثم أشرفا شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت: من هؤلاء ؟ قالوا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك)^(١) .

١٠- رعاية الرسول عليه الصلاة والسلام لآل جعفر وأمر النبي بأن يصنع لأهل الميت طعام :

٦٢٨- من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: « لما جاء نعي جعفر قال النبي ﷺ: (اصنعوا لأهل جعفر طعاماً ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم) »^(٢) .

(١) أخرجه الطبراني برقم: ٧٦٦٦ ، وابن خزيمة برقم: ١٩٨٦ ، والحاكم مختصراً: ٤٣٠/١ ، والبيهقي: ٢١٦/٤ ، والنسائي في الكبرى كما في التحفة: ١٦٦/٤ ، وابن حبان رقم: ١٨٠٠ موارد ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٧٧-٧٦/١ رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه أبو زرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة بإسنادين عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول: أخبرني أبو أمامة الباهلي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: قلت: واحد الإسنادين رجاله ثقات ، بل وإسناده صحيح « انظر سيرة ابن كثير: ٤٩٠/٣ ، ٤٩١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢٠٥/١ ، الترمذي في الجنازات باب في الطعام يصنع لأهل الميت حديث رقم: ٩٩٨ ، وقال: حديث حسن صحيح ، وأبو داود في الجنازات باب صنع الطعام لأهل الميت حديث رقم: ٣١٣٢ ، وابن ماجه في الجنازات باب ما جاء في الطعام يبعث لأهل الميت حديث رقم: ١٦١٠ ، البيهقي: ٦١/٤ ، الشافعي في مسنده: ٢٠٨/١ ، وفي الأم: ٢٧٤/١ ، والحاكم في المستدرک: ٣٧٢/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قال .

٦٢٩- ومن حديث عبدالله بن جعفر أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليه زيد بن حارثة وقال: (فإن قتل زيد ، فأميركم جعفر ، فإن قتل ، واستشهد ، فأميركم عبدالله بن رواحة) ، فلقوا العدو فأخذ الراية زيد ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه .

وأتى خبرهم النبي ﷺ ، فخرج إلى الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال: (إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية ، فقاتل حتى قتل ، أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب ، فقاتل حتى قتل ، أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، واستشهد ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه) .

فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال: (لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا إلي بني أخي) ، قال: فجيء بنا كأننا أفرخ ، فقال: (ادعوا إليّ الحلاق فجيء بالحلاق ، فحلق رؤوسنا ثم قال: (أما محمد فشبيهه عنما أبي طالب ، وأما عبدالله فشبيهه خلقي وخلقي) ، ثم أخذ بيدي فأشالها^(١) ، فقال: (اللهم اخلف جعفرأ في أهله ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه) . قالها ثلاث مرات ، قال: فجاءت أمنا تفرح له^(٢) .

فقال: (العيلة تخافين عليهم ، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة) صلى الله عليه وآله وسلم^(٣) .

(١) أشالها: رفعها .

(٢) تفرح له: أي كأنها أردت أن أباهم توفي ولا عشيرة لهم .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٤٠٢/١ ، بإسناد صحيح على شرط مسلم ، وروى أبو داود في كتاب الترجل باب في حلق الرأس حديث رقم: ٤١٩٢ ، هو والنسائي في السنن الكبرى بعض من قوله وأمهل آل جعفر ثلاثاً وقال الهيثمي في المجمع: ١٥٦/٦ ، ١٥٧: رواه أحمد ، والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح ، وانظر تحفة الأشراف ، حديث رقم: ٥٢١٦ ، ٣٠٠/٤ .

المبحث السابع عشر: سرية ذات السلاسل

١- وقتها:

كانت هذه السرية في جمادى الثانية سنة ثمان للهجرة كما قال ابن سعد والجمهور ، ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة ، إلا أن ابن إسحاق قال: إنها قبلها ^(١) .

وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بكى وعُدرة ، وبنى القين . وهذه القبائل التي ذكرها هي بطون من قضاة كما قال الحافظ في الفتح .

٢- إمرة عمرو بن العاص على هذه السرية وفيها أبو بكر وعمر:

٦٣٠- من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « بعث إليّ رسول الله ﷺ ، فقال: (خذ عليك ثيابك ، وسلاحك ، ثم اثني) ، فأتيته ، وهو يتوضأ، فصعد فيّ النظر ، ثم طأطأ ، فقال: (إني أريد أن أبعثك على جيش ^(٢) فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة) ، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ، ولكنني سلمت رغبة في الإسلام ، وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال: (يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح) ^(٣) .

٦٣١- من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل ، فسأله أصحابه أن يوقدوا ناراً فمنعهم ، فكلّموا أبا بكر ، فكلّمه في ذلك ، فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها ، قال: فلقوا العدو فهزمهم ، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم .

(١) انظر فتح الباري: ٧٤/٨ ، المغازي باب غزوة ذات السلاسل ، الفتح الرباني: ١٣٩/٢١ ، زاد المعاد: ٣٨٦/٣ ، وقيل: إنها سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا ، وقيل لأنها بها ماء يقال له السلسل ، وقال ابن سعد: إنها وراء وادي ذي القري وبينها وبين المدينة عشرة أيام . كذا قال .

(٢) جيش: جيش سرية ذات السلاسل .

(٣) أخرجه ابن حبان كما في الموارد: ٢٢٧٧ ، وأحمد في المسند: ١٩٧/٤ ، ٢٠٢ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم: ٢٩٩ ، والحاكم في المستدرک: ٢/٢ ، ٢٣٦ ، والقضاعي في مسند الشهاب رقم: ١٣١٥ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ في الفتح: ٧٥/٨ تعليقاً على حديث رقم: ٤٣٥٨ ، رواه أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٥٢/٨ ، ٣٥٣ : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى ، ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح .

فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فسأله فقال: كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد ، فحمد أمره فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة) . قلت: من الرجال: قال: (أبوها) : قلت: ثم من؟ قال: (عمر) فعند رجالاً . فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم « ^(١) .

٣- صلاته بأصحابه وهو على جنبه بعد أن تيمم:

٦٣٢- من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيمنت ، ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟) فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً » ^(٢) .

وفي لفظ آخر « عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: « أن عمراً كان على سرية ، فأصابهم برد شديد لم يروا مثله ، فخرج لصلاة الصبح ، فقال: احتلمت البارحة ، ولكنني والله ما رأيت برداً مثل هذا ، فغسل مغابنه ^(٣) ، وتوضاً للصلاة، ثم صلى بهم ، فلما قدم على رسول الله ﷺ ، سأل رسول الله ﷺ أصحابه: (كيف وجدتم عمراً وصحابته ؟) فأنشأ عليه خيراً ، وقالوا: يا رسول الله صلى بنا وهو جنب ، فأرسل إلى عمرو فسأله: فأخبره بذلك وبالذي لقي من

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب فضل عائشة رقم: ٣٨٨٦ ، وابن حبان كما في الإحسان: ٣٦/٧ ، رقم: ٤٥٢٣ ، وأخرجه مختصراً البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً رقم: ٣٦٦٢ ، والمغازي رقم: ٤٣٥٨ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر الصديق رقم: ٢٣٨٤ ، والترمذي رقم: ٣٨٨٥ ، والبيهقي: ٢٣٣/١٠ ، وأحمد في فضائل الصحابة رقم: ١٦٣٧ ، والحاكم: ١٢/٤ ، وأحمد في المسند: ٢٠٣/٤ . أخرجه ابن راهويه والحاكم في المستدرک: ٤٢/٣ - ٤٣ ، وصححه ، ووافقه الذهبي من حديث بريدة كما قال الحافظ في الفتح: ٧٥/٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة باب إذا خاف الجنب من البرد أتيتم حديث رقم: ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، البيهقي: ٢٢٥/١ ، ٢٢٦ ، وعلقه البخاري: ٣٨٥/١ ، وقواه الحافظ وصححه الحاكم: ١٧٧/١ ، ووافقه الذهبي ، وصححه ابن حبان: ٢٠٢ موارد وحسنه المنذري ، وأخرجه الدارقطني: ١٧٩/١ ، وأحمد في المسند: ٢٠٣/٤ - ٢٠٤ ، قلت: والحديث إسناده صحيح .

(٣) المغابن: الأرفاع وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب .

البرد ، وقال : إن الله قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ ^(١) ولو اغتسلت مت ، فضحك رسول الله ﷺ .

سؤاله للنبي من أحب الناس إليك :

٦٣٣- من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : (عائشة) ، فقلت : من الرجال ؟ قال : (أبوها) . قلت : ثم من ؟ قال : (ثم عمر بن الخطاب) فعد رجالاً » ^(٢) .

(١) النساء : ٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة في فضائل أبي بكر لو كنت متخذاً خليلاً حديث رقم : ٣٦٦٢ ، وفي المغازي باب غزوة ذات السلاسل حديث رقم : ٤٣٥٨ ، مسلم في صحيحه حديث رقم : ٢٣٨٤ ، أحمد في المسند ٢٠٣/٤ ، الترمذي حديث رقم : ٣٨٨٥ .

الفصل التاسع

الأحداث من فتح مكة إلى غزوة تبوك

المبحث الأول: غزوة الفتح الأعظم

فتح مكة

١- سببها:

٦٣٤- قال محمد بن إسحاق في المغازي: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: « كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل » فتوالت خزاعة ، فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد ﷺ وعهده ، وتوالت بنو بكر ، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً .

ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم ، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلاً بماء لهم يقال له: الوثير قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد ، وهذا الليل وما يرانا أحد ، فأعانوهم بالكراع والسلاح ، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله ﷺ ، وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوثير حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

يا رب إنني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الاتلدا^(١)
قد كنتم ولداً وكنا والداً ثمّت أسلمنا فلم ننزع يداً^(٢)
فانصر رسول الله نصراً أعتداً^(٣) وادع عباد الله يأتوا مدداً^(٤)

(١) الاتلدا: القديم

(٢) وننزع يداً : لم نقض عهدنا فترجع عن الإسلام.

(٣) نصراً أعتداً: أي حاضراً .

فيهم رسول الله قد تجرداً أن سيم خسفاً وجهه تربعداً^(١)
 في فيلق^(٢) كالبحر يجري مزبداً أن قريشاً أخلفوك الموعدا
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا وزعموا أن لست أدعو أحداً
 فهم أذل وأقل عدداً قد جعلوا لي بكداء مرصداً^(٣)
 هم بيتونا بالوتير هجداً وقتلونا ركعاً وسجداً^(٤)

فقال رسول الله ﷺ: (نصرت يا عمرو بن سالم)، فما برح رسول الله ﷺ مرت عانة في السماء ، فقال رسول الله ﷺ: (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)^(٥).

٦٣٥- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن قائد خزاعة قال:
 اللهم إنني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلا
 انصر هداك الله نصراً اعتداً وادع عباد الله يأتوا مـدداً^(٦) »

(٤) المدد: العون .

(١) سيم خسف: طلب منه وكلفه ، الخسف: اللد ، تربد: تغير .

(٢) الفيلق: الجيش .

(٣) كداء: موضع بمكة ، الرصد: الذي يترصّد للأمر ويطلبه ، أو الكمين .

(٤) الوتير: اسم ماء ، هجد: جمع هاجد ويطلق على النائم أو المستيقظ .

(٥) أخرجه ابن إسحاق في المغازي ، وسنده صحيح ، ورجاله ثقات صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث ، انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٥٢٩/٢ ، ترجمه عمرو بن سالم رقم: ٥٨٣٧ ، ابن كثير في السيرة: ٥٢٦/٣ ، ٥٢٧ ، البيهقي في دلائل النبوة: ٥/٥ - ٧ ، وانظر الحديث بطوله هناك فإن فيه قدوم أبي سفيان بن حرب لتجديد العقد ، وموقف الصحابة رضوان الله عليهم منه ، ودعاء النبي ﷺ بتعمية الأخبار عن قريش ، ولهذا الحديث شاهد من حديث ميمونة بنت الحارث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٩٦٨ ، الروض الداني إلى معجم الطبراني بإسناد ضعيف ، وفي الكبير: ٤٣٣/٢٣ . وله شاهد من حديث عائشة قال الهيثمي في المجمع: ١٦١/٦ ، ١٦٢ ، رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام عن أبيه عن عائشة وقد وثقهما ابن حبان وبقيّة رجاله رجال الصحيح وقد ضعف هذه الحادثة غير واحد لأنهم لم يطلعوا على إسناده ، فهذا الإسناد كما أوردناه في بداية الحادثة وبذلك يزول سبب التضعيف والحمد لله .

(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨١٧ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٦٢/٦ ، رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، البيهقي دلائل النبوة: ١٣/٥ ، وحسنه الحافظ في الفتح: ٥٢٠/٧ ، ورواه ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلاً ، ومن طريق عكرمة مرسلاً .

٢- وقتها:

كانت غزوة الفتح سنة ثمان للهجرة والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج ﷺ في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه ^(١).

٦٣٦- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ، ومعه عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة ، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة ، يصوم ، ويصومون ، حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - أفطر وأفطروا » ^(٢).

٣- رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة:

٦٣٧- من حديث علي رضي الله عنه قال: « بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوا منها ، قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا لها: أخرجي الكتاب ، قالت: ما معي كتاب ، فقلنا: لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، قال: فأخرجته من عقاصها .

فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة - إلى ناس بمكة من المشركين - يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب ما هذا ؟) قال: يا رسول الله ، لا تعجل علي ، إني كنت امرأاً ملصقاً في قريش - يقول: كنت حليفاً - ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من

(١) فتح الباري: ١٨١/٤، قلت: وما يؤيد أن خروج النبي كان لعشر خلون من رمضان سنة ثمان للهجرة قوة ، ما جاء عن ابن عباس أيضاً قال: « ثم مضى رسول الله ﷺ لسفروه واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان ... » فذكر الحديث ، أورده ابن إسحاق في المغازي ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٦٤/٦ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فالحديث صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي: باب غزوة الفتح من رمضان حديث رقم: ٤٢٧٦ ، وانظر أرقام: ١٩٤٨ ، ١٩٤٤ ، ٤٢٧٩ ، مسلم في الصيام باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر في غير رخصة حديث رقم: ١١١٣ ، الموطأ: ٢٩٤/١ ، النسائي في الصيام باب الرخصة للمسافر أن يصوم بعضاً ويفطر بعضاً: ١٨٩/٤ ، وأحمد في المسند: ٢٥٩/١ ، ٢٩١ ، ٣٢٥ ، أبو داود في الصوم: ٢٤٠٤ ، باب الصوم في السفر ، والبيهقي في الصيام: ٢٤٣/٤ ، باب الرخصة في الصوم ، والطحاوي في الصيام: ٦٤/٢ ، ٦٥ ، باب الصيام في السفر ، وصححه ابن خزيمة: ٢٠٣٦ ، وابن حبان برقم: ٣٥٦٠ ، الدارمي: ٩/٢ ، الصيام باب الصوم في السفر ، عبدالرزاق في الصيام: ٧٧٦٢ ، باب السفر في شهر رمضان ، الحميدي رقم: ٥١٤ ، الطيالسي في الصوم: ١٩٠/١ برقم: ٩١٥ .

النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : (أما إنه قد صدقك) . فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : (إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرأ قال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم) ، فأنزل الله السورة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ إلى قوله : ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ ^(١) ^(٢) .

٤- كتمان الرسول وجهته عن أصحابه :

٦٣٨- قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة : « أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة ، فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز ، قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز » ^(٣) .

٥- تأمير أبو رهم الغفاري على المدينة :

٦٣٩- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضي من رمضان فصام رسول الله وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين » ^(٤) .

(١) سورة الممتحنة : ١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ رقم : ٣٩٨٣ ، وفي باب غزوة الفتح رقم : ٤٢٧٤ ، والبخاري في الجهاد رقم : ٣٠٠٧ ، ومسلم فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر حديث رقم : ٢٤٩٤ ، أبو داود في الجهاد باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً : ٢٦٥٠ ، ٢٦٥١ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة الممتحنة حديث : ٣٣٠٥ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف حديث رقم : ١٠٢٢٧ ، والطبري في تفسيره : ٥٨/٢٨ ، أحمد في المسند : ٨٠/١ ، والحميدي رقم : ٤٩ من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، وقد جاء من حديث جابر عند أحمد بإسناد على شرط مسلم مختصراً انظر الفتح الرباني : ١٤٨/٢١ .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند صحيح رجاله ثقات ، وقد صرح بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه ، ابن كثير في السيرة النبوية : ٥٣٥/٣ ، وقد جاء من طريق أخرى عن عائشة وقال الهيثمي : ١٦١/٦ - ١٦٢ ، رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عنها ، وقد وثقهما ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث ميمونة عند الطبراني في الصغير : ٩٦٨ ، بإسناد ضعيف .

(٤) قال الهيثمي في المجمع : ١٦٤/٦ : في الصحيح طرف منه في الصيام ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وصرح بالسمع ، سيرة ابن هشام : ٣٩٩/٢ - ٤٠٠ .

٦- قصة اسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية :

٦٤٠- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح حتى نزل مر الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم وألفت مزينة ، وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

وقد عميت الأخبار على قریش فلا يأتيهم خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يدرون ما هو صانع ، وكان أبو سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فقالت : يا رسول الله ابن عمك ، وابن عمتك ، وصهرك ، فقال : (لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي ، فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري ، فهو الذي قال لي بمكة ما قال) .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال : والله ليأذنن رسول الله ﷺ ، أو لأخذن بيد ابني هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، فدخلا عليه ، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال :

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أوان الحق أهدي وأهتدي
فقل لشقيف لا أريد قتالكـم	وقل لثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلني	إلى الله من طردت كل مطرد
أفر سريعاً جاهداً عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد
هم عصبة من لم يقل بهوهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفسد
أريد لأرضيهم ولمس بلاقط	مع القوم مالم أهد في كل مقعد
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً	ولا كل عن خير لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	توابع جاءت من سهام وسرد
وإن الذي أخرجتم وشتمتم	سيسعى لكم سعي امرئ غير مقد

قال فلما أنشد رسول الله ﷺ إلى الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله ﷺ في صدره ، فقال: (أنت طردتني كل مطرد) «^(١)» .

٧- نزول النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وإيقاد النيران الكثيرة:

٦٤١- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعدما ذكر قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أمية بن المغيرة ... » ... فلما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلك قريش آخر الدهر .

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جثت الأراك ، فقلت: لعلي ألقى بعض الخطابة أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة ، قال: فوالله إني لأسير عليها ، وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل به ورفاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كاليوم قط نيراناً ولا عسكرياً ، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها «^(٢)» .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٤٤-٤٣/٣ ، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقد جاءت قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أمية بن أبي المغيرة من رواية أخرى عن ابن عباس دون ذكر الشعر رواها الطبراني ، ورجالها رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ١٦٤/٦-١٦٧ ، في حديث طويل ذكر في سياقه قصة أسر أبي سفيان بن حرب وإسلامه وإعطائه الأمان من الرسول عليه السلام ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٢٨٠-٢٧/٥ ، والإسناد صحيح صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وسيأتي لفظ ذلك كله في مكانه .

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٦٤/٦-١٦٧ ، وانظر المطالب العالية حديث رقم: ٤٣٦٢ حيث قال: أخرجه إسحاق بن راهويه ، وقال ابن حجر: هذا حديث صحيح . وأخرج البخاري من مرسل عروة في المغازي باب ابن ركن النبي الراية يوم الفتح حديث رقم: ٤٢٨٠ ، وابن سعد في الطبقات: ١٣٤-١٣٥/٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٥-٣٣/٥ ، وفيه مراجع أبو سفيان لبديل بن ورقاء في كثرة النيران والقبض على أبي سفيان وورود الكتاب عليه ... سيرة ابن هشام: ٣٩٩/٢ - ٤٠٥ .

٨- إسلام أبي سفيان ، وإعطائه الأمان :

٦٤٢- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو جزء من الحديث السابق وتكملة له قال: « ... فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقلت: يا أبا حنظلة ، تعرف صوتي ؟ فقال: أبو الفضل ؟ قلت: نعم ، قال: مالك فذاك أبي وأمي ؟ فقلت: هذا والله رسول الله في الناس، واصباح قریش ! قال: فما الحيلة ، فذاك أبي وأمي ؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب عجز هذه البغلة ، فركب ، ورجع صاحبه ، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ، فقالوا: ما هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه ، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا ؟ وقام إلي فلما رآه على عجز البغلة عرفه ، فقال: والله عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك ، فخرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ودخل ، ورفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر .

فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه ، في غير عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه ، فقلت: قد أجرته يا رسول الله ، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت: والله لا ينجيه الليلة رجل دوني ، فلما أكثر عمر ، قلت: مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان رجلاً من بني عدي ما قلت هذا ، ولكنه من بني عبدمناف ، فقال: مهلاً يا عباس ، لا تقل هذا ، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب أبي لو أسلم ، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله ﷺ: (يا عباس اذهب به إلى رحلك ، فإذا أصبحت فاتتنا به) .

فذهبت به إلى الرحل ، فلما أصبحت غدوت به ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟) فقال: بأبي وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، وأعظم عفوك ، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد ، فقال: (ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟) فقال: بأبي وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، وأعظم عفوك ، أما هذا فكان في النفس منها حتى الآن شيء .

قال العباس: فقلت: ويلك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال العباس: فقلت: يا رسول الله ! إن أبا سفيان يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن .

فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم ، قال رسول الله ﷺ : (احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل ^(١) ، حتى تمر به جنود الله) .

فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ ، فمرت القبائل على ركايبها ، فكلما مرت قبيلة ، قال: من هذه ؟ فأقول: بنو سليم ، فيقول: ما لي ولبنى سليم ، ثم تمر أخرى فيقول: ما هؤلاء ؟ فأقول: مزينة ، فيقول: ما لي ولزينة ، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء ^(٢) ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق ^(٣) ، قال: من هؤلاء ؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار ، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل ^(٤) ، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم ، فقلت: ويحك يا أبا سفيان ، إنها النبوة ، قال: فنعم إذا ، فقلت: النجاء إلى قومك .

فخرج حتى أتاهم بمكة ، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش ، هذا محمد ، قد أتاكم بما لا قبل لكم به ، فقامت امرأته هند بنت عتبة ، وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحميت ^(٥) الدسم ^(٦) فبئس طليعة قوم ، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك . قال: ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ^(٧) .

(١) حطم الخيل: أي ازدحامها وفي رواية خطم الجبل: أي انه .

(٢) الكتيبة الخضراء: ما غلب عليها لبس الحديد، شبه سواده بالخضرة ، والعرب تطلق الخضرة على السواد .

(٣) الحدق: العيون .

(٤) قبل: طاقة ومقدرة .

(٥) الحميت: الزق .

(٦) الدسم الحمش: الأسود الدني .

(٧) انظر تخريجه في الحديث السابق فإنه جزء منه .

٩- لباس النبي عليه السلام أثناء دخوله مكة :

٦٤٣- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام »^(١).

٦٤٤- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه المغفر ، فلما نزع جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: (اقتله) ، قال مالك: ولم يكن النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم يومئذ محرماً »^(٢).

٦٤٤- أ- وقد جاء أيضاً من حديث عمرو بن حريث « أن النبي ﷺ كان يوم فتح مكة يلبس عمامة حرقانية سوداء »^(٣).

١٠- مقولة سعد بن عبادة وأخذ الراية منه :

٦٤٥- من مرسل عروة بن الزبير قال: « ... فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ: تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه ؟ فقال: هذه غفار ، قال: ما لي ولغفار ، ثم مرت جهينة ، قال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم ، فقال مثل ذلك ، ومرت سليم ، فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال: من هذه ؟ قال: هؤلاء الأنصار

(١) أخرجه مسلم في الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام حديث: ١٣٥٨ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الأولوية حديث: ١٦٧٩ ، ورقم: ١٧٣٥ ، اللباس باب ما جاء في العمامة السوداء ، أبو داود: ٤٠٧٦ ، اللباس باب في العمام ، والنسائي: ٢٠١/٥ ، الحج باب دخول مكة بغير إحرام: ٢١١/٨ ، اللباس والزينة باب لبس العمام السوداء ، ابن ماجه: ٢٨٢٢ ، الجهاد باب لبس العمام في الحرب ، أحمد في المسند: ٣٦٣/٣ ، ٣٨٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز الراية حديث رقم: ٤٢٨٦ ، مسلم في الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام: ١٣٥٧ ، أبو داود في الجهاد باب الأسير يقتل ولا يعرض عليه الإسلام: ٢٦٨٥ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في المغفر : ١٦٩٣ ، النسائي في الحج باب دخول مكة بغير إحرام: ٢٠١/٥ ، ابن ماجه في الجهاد باب السلاح حديث رقم: ٢٨٠٥ ، الدارمي: ٢٢١/٢ .

(٣) أخرجه مسلم: ١٣٥٩ الحج باب دخول مكة بغير إحرام ، أبو داود: ٤٠٧٧ ، اللباس باب العمام ، النسائي: ٢١١/٨ الزينة ، ابن ماجه حديث رقم: ١١٠٤ ، ٢٨٢١ ، أحمد: ٣٠٧/٤ .

عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال: (ما قال ؟) قال: قال كذا وكذا ، فقال: (كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة)^(١).

٦٤٦- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « كان قيس » يعني ابن سعد بن عبادة « في مقدمة النبي ﷺ لما قدم مكة ، فكلّم سعد النبي ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي فيه مخافة أن يقدم على شيء فصرفه عن ذلك »^(٢).

« والمذكور أن الرسول عليه السلام أخذ الراية من سعد بن عبادة وأمر علياً بنزعها منه ، ثم ردها من علي بن أبي طالب إلى قيس بن سعد بن عبادة خشية تغيير خاطر سعد ، فأمر بدفعها لابنه ، ثم إن سعد بن عبادة خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه ، فحينئذ أخذها الزبير » كذا قال الحافظ في الفتح في الجمع بين أقوال اختلفت فيمن كان يحمل الراية بعد سعد بن عبادة »^(٣).

١١- قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم سورة الفتح يوم فتح مكة:

٦٤٧- من حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته ، وهو يقرأ سورة الفتح ، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت »^(٤).

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح حديث رقم: ٤٢٨٠ ، وله شاهد من حديث ابن عباس الذي أوردناه سابقاً وفيه ذكر مرور الكتائب إلا قول سعد رقم: ٦٤١ ، وجاء كذلك من مرسل ابن شهاب الزهري شبيهاً بقول عروة .

(٢) أخرجه البزار في كشف الاستار حديث رقم: ١٨١٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٧٥/٦ ، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح ، وقال الحافظ في الفتح: ٩/٨: إسناده على شرط البخاري .

(٣) الحافظ في فتح الباري: ٩/٨ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح حديث رقم: ٤٢٨١ ، مسلم في صلاة المسافرين باب قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة حديث رقم: ٧٩٤ ، أبو داود في الصلاة حديث رقم: ١٤٧٦ ، الترمذي في الشمائل حديث رقم: ٣١٢ ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٩٦٦٦ .

١٢- محاولات يائسة للتصدي لجيش المسلمين:

٦٤٨- من حديث عبدالله بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « وفدت وفود إلى معاوية: وذلك في رمضان ، فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام ، فكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله ، فقلت: ألا أصنع طعاماً فادعهم إلى رحلي ؟ فأمرت بطعام يصنع ، ثم لقيت أبا هريرة من العشي ، فقلت: الدعوة عندي الليلة . فقال: سبقتني . قلت: نعم . فدعوتهم .

فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم ؟ يا معشر الأنصار ! ثم ذكر فتح مكة فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة ، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين ^(١) ، وبعث خالد على المجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحسر ^(٢) ، فأخذوا بطن الوادي ^(٣) . ورسول الله في كتيبة . قال: فنظر فرآني فقال: (أبو هريرة) ، قلت: ليك يا رسول الله ، قال: فقال: (اهتف لي بالأنصار) ^(٤) ولا يأتيني إلا أنصاري) ، قال: فأطافوا به ^(٥) ، ووبشت قريش أوباشاً لها ^(٦) وأتباعاً ، فقالوا: نقدم هؤلاء . فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا ، فقال رسول الله ﷺ: (ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم) ثم قال بيديه إحدهما على الأخرى ^(٧): (حصداً حتى توافوني بالصفاء) قال: فانطلقنا . فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله ، وما أحد منهم يوجه إلينا بشيء قال: فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله: أبيضت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم . قال: فقال رسول الله ﷺ: (من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) قال: فغلق الناس أبوابهم ^(٨) .

(١) المجنبتين: الميمنة والميسرة ، والقلب يكون بينهما .

(٢) الحسر: الذين لا دروع لهم .

(٣) أخذوا بطن الوادي: جعلوا طريقهم في بطن الوادي .

(٤) اهتف لي بالأنصار: صح بهم وادعهم لي .

(٥) أطافوا به: أحاطوا به .

(٦) ووبشت قريش أوباشاً لها: جمعت جموعاً من قبائل شتى .

(٧) قال بيديه: أشار إلى هيتهم المجتمع .

(٨) أخرجه مسلم في الجهاد باب فتح مكة حديث رقم: ١٧٨٠ ، أبو داود في الخراج والإمارة والفيء باب خبر مكة حديث رقم: ٣٠٢٤ مختصراً ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ١٣٥٦١ ، وأحمد في المسند: ٥٣٨/٢ ، وما بين القوسين فالزيادات من رواية أحمد في المسند: ٥٣٨/٢ ، وابن أبي شيبه رقم: ١٨٧٤٥ وأبو عوانه: ٢١٧/٤ ، ٢٢٩ ، أحمد في فضائل الصحابة رقم: ١٤٢٥ .

١٣- مدخل الرسول عليه الصلاة والسلام مكة يوم الفتح:

٦٤٩- من حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة) ^(١) .

وفعل رسول الله ﷺ هذا ، ودخوله من هذا المكان إنما كان تحقيقاً لقول صاحبه الشاعر المبدع حسان بن ثابت حين هجا قريش ، وأخبرهم بأن خيل الله تعالى ستدخل من كداء ، أذكر بعض الأبيات التي قالها والتي ذكرها الإمام مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: « قال حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ	وعند الله في ذاك الجزاء
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا تَقِيًّا	رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي ^(٢)	لعرض محمد منكم وقاء ^(٣)
ثكلت بنيتي ^(٤) إن لم تروها	تثير النقع ^(٥) من كتفي كداء ^(٦)
يبارين الأعنة ^(٧) مصعدات ^(٨)	على أكتافها الأسل الظماء ^(٩)
تظل جيادنا متمطرات ^(١٠)	تلطمهن بالخمير النساء ^(١١)
فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا ^(١٢)	وكان الفتح وانكشف الغطاء ^(١٣)

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة حديث رقم: ٤٢٩٠ ، وأخرجه مسلم في الحج باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا حديث رقم: ١٢٥٨ ، وأحمد في المسند ، الفتح الرباني: ١٥٠/٢١ .

(٢) عرض الرجل: أموره كلها التي يحمد بها ويذم .

(٣) وقاء: ما وقيت به الشيء حميته .

(٤) ثكلت بنيتي: الثكل ، فقد الولد .

(٥) تثير النقع: ترفع الغبار وتهيجه .

(٦) كتفي كداء: جانبي كداء ، وكداء ثنية على باب مكة .

(٧) يبارين الأعنة: يجذبن الأعنة كناية عن قوة نفوسها .

(٨) مصعدات: مقبلات إليكم ومتوجهات .

(٩) الأسل الظماء: الأسل: الرماح ، الظماء: الرقاق .

(١٠) تظل جيادنا متمطرات: تظل خيرولنا مسرعات يسبق بعضها بعضاً .

(١١) تلطمهن بالخمير النساء: يضربن الخيل بخمرهن .

(١٢) اعتمرنا: أدبنا العمرة .

(١٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت حديث رقم: ٢٤٩٠ .

وما يؤيد ما ذكرت ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطنن وجوه الخيل بالخمير، فتبسم إلى أبي بكر فقال: (يا أبا بكر كيف قال حسان)، فأنشده قوله:

عدمت بنيتي إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأسنة مسرجات يلطمهن بالخمير النساء
فقال: أدخلوها من حيث قال حسان « ^(١) .

١٤- أين ركزت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح:

ركزت راية النبي ﷺ يوم الفتح بالحجون كما جاء في مرسل عروة بن الزبير الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه ^(٢) .

١٥- إهدار دم بعض المشركين يوم الفتح:

٦٥٠- من حديث أنس رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما وضعه عن رأسه قيل: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة قال: (اقتلوه) ^(٣) .

٦٥١- من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ وسلم يوم فتح مكة: (الناس آمنون غير عبد الغزى بن خطل) ^(٤) .

٦٥٢- من حديث مصعب بن سعد عن ابن سعد بن أبي وقاص قال: « لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس ألا أربعة نفر وامرأتين ، وقال: (اقتلوهم ، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح) .

فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث ، وعمار بن ياسر ، فسبق سعيد عماراً ، وكان أشب الرجلين ، فقتله ،

(١) أخرجه البيهقي بإسناد حسن كما قال الحافظ في فتح الباري: ١٠/٨ ، انظر دلائل البيهقي: ٦٦/٥ .

(٢) سبق تخريجه: ٦٤١ ، ٦٤٥ .

(٣) سبق تخريجه حديث رقم: ٦٤٤ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٤٢٣/٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧٥/٦ ، رواه أحمد ، والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

وأما مقيس بن صبابه ، فأدركه الناس في السوق فقتلوه . وأما عكرمة ، فركب البحر ، فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آلهمتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده ، فلاجدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم . وأما عبدالله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ قال : يا رسول الله بايع عبدالله قال : فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته ، فيقتله) ، فقالوا : وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومات إلينا بعينك ، قال : (إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين)^(١) .

٦٥٣- من حديث أم هانئ رضي الله عنها قال : « ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل ، وفاطمة ابنته تستره ، قالت : فسلمت عليه فقال : (من هذه ؟) فقلت : أنا أم هانئ ، بنت أبي طالب ، فقال : (مرحباً بأم هانئ) . فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله زعم ابن أُمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة . فقال رسول الله ﷺ : (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) قالت : أم هانئ وذلك ضحى)^(٢) .

(١) أخرجه النسائي في تحريم الدم باب حكم المرتد : ١٠٥/٧ - ١٠٦ ، أبو داود في الجهاد باب قتل الأسير ، ولا يعرض عليه الإسلام حديث رقم : ٢٦٨٣ ، وفي الحدود باب حكم من ارتد : ٤٣٥٩ ، البيهقي في السنن : ٤٠/٧ ، البزار : ١٨٢١ ، والحاكم في المستدرک ٤٥/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو يعلى في المسند : ٧٥٧ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار : ٣٣٠/٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٦٨/٦ ، ١٦٩ ، رواه أبو داود وغيره باختصار ، ورواه أبو يعلى والبزار ورجاله ثقات ، قلت : ورجاله رجال الصحيح وقد جاء من حديث سعيد بن يربوع المخزومي شيئاً بهذا اللفظ أخرجه أبو داود في الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ، رقم : ٢٦٨٤ ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٧٣/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد حديث رقم : ٣٥٧ ، في الجزية والمواذعة باب أمان النساء : ٣١٧١ ، مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الضحى حديث : ٣٣٦ ، أبو داود في الجهاد باب أمان المرأة : ٢٧٦٣ ، الترمذي السير باب ما جاء في أمان المرأة والعبد : ١٥٧٩ ، وقال حسن صحيح ، ابن ماجه في الطهارة باب التنديل بعد الوضوء : ٤٦٥ ، مالك في الموطأ : ١٥٢/١ ، قصر الصلاة باب صلاة الضحى ، الدارمي : ٢٣٤-٢٣٥ ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم : ١٨٠١٨ ، قلت : وعند ابن إسحاق أنهما رجلان من أحمائها أجارتهما فاجارهم عليه السلام (سيرة ابن هشام : ٤١١/٢) .

١٦- أذن الله لرسوله بالقتال في مكة ساعة من نهار:

٦٥٤- عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: « ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً ، قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ، ووعاه قلبي ، وأبصرته عيني حين تكلم به: إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن مكة حرمها الله ، ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسول الله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب) . فقليل لأبي شريح ، ماذا قال لك عمرو ؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً^(١) ، ولا فاراً بدم^(٢) ، ولا فاراً بخربة^(٣) »^(٤) .

١٧- إزالة الأصنام من حول الكعبة:

٦٥٥- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعن بها بعود في يده ، ويقول: ﴿ جاء الحق ، وزهق الباطل ، جاء الحق ، وما يبيد الباطل وما يعبد ﴾^(٥) .

٦٥٦- من حديث أبي هريرة الذي سبق جزء منه » ... قال: فغلق الناس

(١) لا يعند عاصياً: لا يجيره ولا يعلمه .

(٢) ولا فاراً بدم: من التجأ إليه هارباً من سبب من الأسباب الموجبة للقتل .

(٣) ولا فاراً بخربة: اللص المفسد في الأرض .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب حدثني محمد بن بشار حديث رقم: ٤٢٩٥ ، مسلم في الحج باب تحريم مكة وصيدها الحديث ١٣٥٤ ، والترمذي: ٨٠٩ ، الحج باب ما جاء في حرمة مكة ، والنسائي: ٢٠٤/٥ - ٢٠٥ - ٢٠٦ ، الحج باب تحريم القتال فيه ، أحمد في المسند: ٣١/٤ ، ٣٢ ، وقد جاء شبيهاً بحديث أبي شريح حديث ابن عباس عند مسلم: ١٣٥٣ ، النسائي: ٢٠٣/٥ ، ومن حديث أبي هريرة عند مسلم: ١٣٥٥ .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح: ٤٢٨٧ ، مسلم في الجهاد باب إزالة الأصنام من حول الكعبة: ١٧٨١ ، الترمذي كتاب التفسير ومن سورة بني إسرائيل: ٣١٣٨ ، وابن حبان: ١٧٠٢ ، مسند الحميدي: ٤٦/١ ، الحديث: ٨٦ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٨٧٥٢ ، وقد جاء مثله من حديث ابن عباس عند البزار رقم: ١٨٢٥ وقال الهيثمي: ١٧٦/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ورواه البزار باختصار .

أبوابهم قال: فأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر، فاستلمه ، ثم طاف بالبيت قال: وفي يده قوس أخذ بسية ^(١) القوس قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: (جاء الحق ، وزهق الباطل) ، قال: ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه ^(٢) .

٦٥٧- من حديث جابر رضي الله عنه قال: « دخلنا مع النبي ﷺ مكة في البيت ، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً تعبد من دون الله ، قال: فأمر بها رسول الله ﷺ فكبت كلها لوجوهها ، ثم قال: ﴿ جاء الحق ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ ^(٣) ثم دخل رسول الله ﷺ البيت فصلى ركعتين ، فرأى فيه تمثال إبراهيم وإسماعيل وإسحق وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزام يستقسم بها ، فقال رسول الله ﷺ: (قاتلهم الله ، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام) ، ثم دعا رسول الله ﷺ بزعفران فلطخه بتلك التماثيل ^(٤) » .

١٨- مقولة الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم أدركته رافة بقومه :

٦٥٨- من حديث أبي هريرة الذي سبقت أجزاء منه « ... قال ثم أتى الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ، ويدعوه ، قال: والأنصار تحته ، قال يقول بعضهم لبعض أما الرجل فادركته رغبة في قريته ، ورافة بعشيرته .

قال أبو هريرة: وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي قال: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: (يا معشر الأنصار قلتم أما الرجل فادركته رغبة في قريته ، ورافة بعشيرته ؟) قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله ، قال: (فما اسمي إذا ؟ كلا ، إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليك ، فلمحيا محياكم ، والممات مماتكم) ،

(١) بسية القوس: طرفها المنحني .

(٢) سبق تخريجه حديث: ٦٤٨ .

(٣) آية: ٨١ سورة الإسراء .

(٤) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حديث رقم: ١٨٧٥١ ، وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٣٦٤ ، وحسنه البوصيري أيضاً ، وقد جاء قريناً من هذا اللفظ من حديث ابن عباس عند البخاري حديث رقم: ٣٣٥٢ ، وأبو داود: ٢٠٢٧ .

قال: فأقبلوا إليه يكون ، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله ﷺ: (فإن الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم) ^(١) .

١٩- صلاة النبي داخل الكعبة:

٦٥٩- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه بلال ، ومعه عثمان ابن طلحة من الحجة حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بفتح البيت ، فدخل رسول الله ﷺ ، ومعه أسامة ابن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبدالله بن عمر أول من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله ، أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه ، قال عبدالله: فنسيت أن أسأله: كم صلى سجدة » ^(٢) .

وقد جاء من حديث ابن عباس المروي في صحيح البخاري ومسلم وعند أحمد « أن النبي ﷺ لم يصل في داخل الكعبة » ، والصحيح والله أعلم أن الميثم مقدم على النافي والذين دخلوا مع النبي ﷺ هم الذين رويوا أنه صلى داخلها ، وهم أعلم بذلك ممن لم يدخل معه وهو ابن عباس ، وقال الإمام النووي رحمه الله: «أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال ، لأنه مثبت فمعه زيادة علم فواجب ترجيحه » ^(٣) .

وأما القول أن ابن عباس روى عدم الصلاة في الكعبة عن أخيه الفضل وهو ممن دخل مع النبي ﷺ فلعل الفضل قد اشتغل بالدعاء ، ولذلك لم ير النبي ﷺ والله أعلم .

(١) سبق تخريجه في حديث: ٦٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب الردف على الحمار حديث رقم: ٢٩٨٨ ، مسلم في الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره حديث رقم: ١٣٢٩ ، أبو داود في المناسك باب دخول الكعبة حديث رقم: ٢٠٢٣ ، النسائي في الحج باب دخول البيت: ٢١٦/٥ - ٢١٧ ، ابن ماجه مناسك باب دخول الكعبة حديث رقم: ٣٠٦٣ ، أحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ١٥٤/٢١ .

(٣) الفتح الرباني: ١٥٦/٢١ .

٢٠- إسلام والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

٦٦٠- من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : « لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى ^(١) قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنية اظهري بي على أبي قبيس ^(٢) قالت : وقد كف بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، قال : يا بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً ، قال : يا بنية ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله إذا دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي ، فأغطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، وفي عنق الجارية طوق لها من ورق ، فتلقها رجل ، فاقتطعه من عنقها .

قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده ^(٣) ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه) ، قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : (أسلم) ، فأسلم ، ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، ورأسه كأنه ثغامة ^(٤) ، فقال رسول الله ﷺ : (غيروا هذا من شعره) ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، فقال : أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي فلم يجبه أحد فقال : يا أخية احتسبي طوقك ^(٥) .

(١) ذى طوى : موضع معروف قرب مكة .

(٢) اظهري بي على أبي قبيس : اصعدي بي على جبل أبي قبيس وهو جبل لأنه كان كيف البصر .

(٣) يقوده : لأنه كان كيف البصر .

(٤) ثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر يشبه الشيب .

(٥) أخرجه ابن حبان في الموارد : ١٧٠٠ ، وابن إسحاق في المغازي بسند صحيح رجاله ثقات سيرة ابن هشام : ٤٠٥/٢ ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٧٣/٦ ، ١٧٤ ، رواه أحمد ، والطبراني ، ورجالهما ثقات ، والبيهقي في الدلائل : ٩٦٩٥/٥ ، والحاكم في المستدرک : ٤٦/٣ - ٤٧ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

٢١- قصة الرجل الذي قتلته خزاعة:

٦٦١- من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: « أذن لنا رسول الله ﷺ يوم الفتح في قتال بني بكر حتى أصبنا منهم ثارنا وهو بمكة ، ثم أمر رسول الله ﷺ برفع السيف فلقي رهط منا الغد رجلاً من هذيل في الحرم يؤم^(١) رسول الله ﷺ ليسلم ، وكان قد وترهم^(٢) في الجاهلية ، وكانوا يطلبونه ، فقتلوه ، وبادروا أن يخلص إلى رسول الله ، فيأمر^(٣) .

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً ، والله ما رأيته غضب غضباً أشد منه ، فسعينا إلى أبي بكر وعلي رضي الله عنهما نستشفعهما ، وخشينا أن نكون قد هلكنا ، فلما صلى رسول الله ﷺ الصلاة قام ، فأتني على الله عز وجل بما هو أهله ، ثم قال: (أما بعد ، فإن الله عز وجل هو حرم مكة ، ولم يحرمها الناس ، وإنما أحلها لي ساعة من النهار أمس: وهي اليوم حرام كما حرمها الله عز وجل أول مرة .

وإن أعتى الناس على الله عز وجل ثلاثة: رجل قتل فيها ، ورجل قتل غير قاتله ، ورجل طلب بدخل في الجاهلية ، وإني والله لأدين^(٤) هذا الرجل الذي قتلتم (فوداه رسول الله ﷺ)^(٥) .

٢٢- مبايعته صلى الله عليه وسلم للناس يوم الفتح:

٦٦٢- من حديث مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: « أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح ، فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، قال: (ذهب أهل الهجرة بما فيها) ، فقلت: على أي شيء تبايعه ؟ قال: (أبايه على

(١) يؤم: يقصد رسول الله ﷺ ليسلم عليه يديه .

(٢) وترهم: أصاب منهم جناية .

(٣) فيأمر: بادروا بقتله قبل أن يصل إلى رسول الله فيأمر بعدم قتله .

(٤) لأدين: أي سادفغ دينه لأولياء دمه .

(٥) سبق تخريجه حديث رقم: ٦٥٤ ، قلت: وقد جاء من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده شيبه بهذا اللفظ قال الهيثمي: ١٧٧/٦ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم حديث رقم: ١٣٥٥ .

الإسلام والإيمان والجهاد). قال أبو عثمان ، فلقيت معبداً بعد ، وكان أكبرهما ، فسألته : فقال : صدق مجاشع ^(١) .

٦٦٣- من حديث الأسود بن خلف رضي الله عنه : « أنه رأى النبي ﷺ يبائع الناس يوم الفتح قال : فجلس عند قرب دار سمرة ، قال الأسود : فرأيت النبي ﷺ جلس ، فجاءه الناس الصغار والكبار والنساء ، فبايعوه على الإسلام والشهادة فقلت : فما الإسلام قال : الإيمان بالله ، فقلت : وما الشهادة ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ^(٢) » .

٦٦٤- من حديث عائشة بنت قدامة رضي الله عنها قالت : « أنا مع أمي رائلة بنت سفيان الخزاعية ، والنبي ﷺ يبائع النسوة ، ويقول : (أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين بيهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصين في معروف) ، قالت : فأطرقن : فقال لهن النبي ﷺ : (قلن نعم فيما استطعتن) ، فكن يقلن وأقول معهن ، وأمي تلقنني قلولي أي بنية فيما استطعت ^(٣) » .

٦٦٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : (لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا) ^(٤) .

٦٦٦- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « إن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت : يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أخباء ، وأهل خباء - الشك من

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وقال الليث حديث رقم : ٤٣٠٥ ، ٤٣٠٦ ، ٤٣٠٧ ، ٤٣٠٨ ، مسلم في صحيحه الإمارة باب المبايعات عند فتح مكة حديث رقم : ١٨٦٣ ، أحمد في المسند : ٤٦٨/٣ ، ٤٦٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٤١٥/٣ ، ١٦٨/٤ ، وسنده حسن ، والحافظ في المستدرک : ٢٩٦/٣ ، ولم يتكلم عنه بشيء ، وسكت عنه الذهبي ، ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد : ٣٦٥/٦ ، وسنده حسن ، وانظر الإصابة في تمييز الصحابة : ٣٥١/٤ ، ترجمة رقم : ٨١١ ، وقال الحافظ بعد أن عزاه لأحمد : « ورويناه بعلو في المعرفة لابن منده من وجه آخر » .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب لا هجرة بعد الفتح حديث رقم : ٣٠٧٧ ، ومسلم في الجهاد والإمارة باب المبايعات بعد فتح مكة حديث رقم : ١٣٥٣ / ٨٥ ، ص : ١٤٨٧/٣ ، أبو داود في الجهاد باب الهجرة هل انقطعت حديث رقم : ٢٤٨٠ ، والترمذي في السير باب ما جاء في الهجرة حديث رقم : ١٥٩٠ ، وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم : ٥٧٤٨ ، قلت : وقد جاء بنفس المعنى واللفظ من حديث عائشة أخرجه البخاري حديث رقم : ٣٠٨٠ ، ٣٩٠٠ ، ٤٣١٢ ، ومسلم في صحيحه رقم : ١٨٦٤ .

ابن بكير - أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك ، وأخبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء ، أو أخباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك ، أو أخبائك ، قال رسول الله : (وأيضاً والذي نفسي محمد بيده) ، قالت : يا رسول الله أن أبا سفيان رجل ممسك ، فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال : (لا إلا بالعرف) ^(١) .

٦٦٧- عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة ألا تلقاه فتسأله ؟ قال : فلقيته فسألته ، فقال : « كنا بجمر الناس ، وكان يمر بنا الركبان ، فنسألهم : ما للناس ، ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله ، أوحى إليه ، أو أوحى الله بكذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يقر في صدري ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح ، فيقولون أتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق .

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئكم والله من عند النبي ﷺ حقاً ، فقال : صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة ، فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآناً .

فنظروا ، فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني ، لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم ، وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطون عنا است قارئكم ، فاشتروا ، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب كيف كانت بين رسول الله الحديث رقم : ٦٦٤١ ، فتح الباري : ٥٣٥/١١ ، مسلم في الأفضية باب قضية هند حديث رقم : ١٧١٤ ، ص : ١٣٣٩/٣ ، أبو داود في البيوع والإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده حديث رقم : ٣٥٣٢ ، ٣٥٣٣ ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم : ١٦٦٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣ ، حدثنا الليث الحديث رقم : ٤٣٠٢ ، ٢٢/٨ ، أبو داود الصلاة باب من أحق بالامة حديث رقم : ٥٨٧ ، النسائي في الصلاة باب اجتزاء المراء بأذان غيره في الحضر : ١٠-٩/٢ ، باب والصلاة في الإزار : ٧١-٧٠/٢ ، وباب إمارة الغلام قبل أن يحتلم : ٨٠/٢ - ٨١ .

٢٣- لا تغزى الكعبة بعد الفتح ولا يقتل قرشي صبراً بعده:

٦٦٨- من حديث الحارث بن مالك بن برصاء الليثي رضي الله عنه أنه قال: «سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: (لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة)»^(١).

٦٦٩- من حديث عبدالله بن مطيع عن أبيه^(٢) أنه قال: « سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: (لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة)»^(٣) (٤).

٢٤- قصة مفتاح الكعبة:

٦٧٠- من حديث صفية بنت شيبه: « أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمان الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرهما بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة ، وقد استكف له الناس في المسجد »^(٥).

ومن حديثها أيضاً: (أخبرني امرأة من بني سليم أن رسول الله ﷺ لما خرج من الكعبة أمر عثمان بن طلحة أن يغيب قرني الكيش ، يعني كبش الذبيح وقال: (لا ينبغي للمصلي أن يصلي ، وبين يديه شيء يشغله) »^(٦).

(١) أخرجه الترمذي في السير باب ما جاء قال النبي ﷺ يوم فتح مكة أن هذه لا تغزى بعد اليوم حديث رقم: ١٦١١ ، وقال: حسن صحيح ، وأحمد في المسند: ٤١٢/٣ ، ٣٤٣/٤ ، والبيهقي في الدلائل: ٧٥/٥ ، وإسناد هذا الحديث صحيح رجاله ثقات . قلت: انظر تخريج الحديث التالي .

(٢) مطيع هو: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف القرشي أخو مسعود بن الأسود المعروف بابن العجماء ، والد عبدالله بن مطيع وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً . انظر صحيح مسلم: ١٤٠٩/٣ ، حديث رقم: ٨٩ .

(٣) لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة: قال العلماء: معناه الإعلام بأن قرشاً يسلمون كلهم ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده ﷺ ، فمن ارتد حارب وقتل صبراً ، وليس المراد أنهم لا يقتلون ظلماً صبراً ، فقد جرى على قرش بعد ذلك ما هو معلوم .

(٤) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب لا يقتل قرشي صبراً بعد الفتح حديث رقم: ١٧٨٢ ، أحمد في المسند: ٤١٢/٣ - ٢١٣/٤ ، وقد جاء عند أحمد زيادة في اللفظ (أنه لا تغزى الكعبة بعد اليوم ...) شبيهاً بالحديث السابق المروي من حديث الحارث بن برصاء .

(٥) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٤١١/٢ - ٤١٢ ، وسنده قوي ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، فزالت شبهة التدليس ، وحسنه الحافظ في الفتح: ١٥/٨ ، وأخرجه أبو داود: ١٨٧٨ وحسنه المزني أيضاً .

(٦) أخرجه أحمد: ٦٨/٤ ، ٣٨٠/٥ ، وأبو داود: ٢٠٣٠ ، والحميدي: ٥٦٥ ، والطبراني: ٨٣٩٦ ، وعبدالرزاق في المصنف رقم: ٩٠٨٣ ، من طريق سفيان عن منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبه .

٢٥- قصة المرأة المخزومية التي سرقت :

٦٧١- من حديث عائشة رضي الله عنها: « أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حد من حدود الله ؟) ثم قام فاختطب ، فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ^(١) .

٢٦- خطبته عليه الصلاة والسلام يوم الفتح :

٦٧٢- من حديث أبي شريح الخزاعي الذي سبق تخريجه وسأذكر الجزء الذي فيه الخطبة فقط: قال رسول الله ﷺ: (إن مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس ، فلا تحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فيها ، فقولوا له: إن الله قد أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب) ^(٢) وانظر لفظاً آخر للحديث برقم: ٦٦١ ، بشيء من الزيادة .

٦٧٣- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة ، قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي ، وإنها لن تحل لأحد بعدي . فلا ينفر صيدها ، ولا يختلي شوكها ولا تحل ساقطتها ^(٣) ، إلا لمنشد ^(٤) . ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يفدى

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ذكر أسامة بن زيد رقم: ٣٧٣٣ ، والمغازي باب مقام النبي بمكة زمن الفتح حديث رقم: ٤٣٠٤ ، مسلم في الحدود حديث رقم: ١٦٨٨ ، والترمذي حديث رقم: ١٤٣٠ ، الدارمي: ١٧٣/٢ ، وابن ماجه حديث: ٢٥٤٧ ، والنسائي: ٧٣/٨ ، وابن سعد في الطبقات: ٦٩/٤ - ٧٠ ، وأبو داود: ٤٣٧٣ .

(٢) سبق تخريجه في الحديث رقم: ٦٥٤ ، فانظره هناك .

(٣) ساقطتها: ما سقط فيها بغفلة ماله .

(٤) المنشد: المعروف .

وإما أن يقتل) .

فقال العباس: إلا الأذخر يا رسول الله ! فإننا نجعله في قبورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله ﷺ (إلا الأذخر) فقام أبو شاه - رجل من أهل اليمن - فقال: اكتبوا لي يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبي شاه) .

قال: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي يا رسول الله ؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله (. لفظ مسلم ^(١) .

٦٧٤- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: (لا هجرة ؛ ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم ، فانفروا) ^(٢) .

وقال يوم الفتح ، فتح مكة (إن هذا البلد حرمه الله منذ خلق السموات والأرض . فهو حرام بحرمه الله تعالى إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي .

ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ، لا يعصده شوكه ^(٣) ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها ^(٤) .

فقال العباس: يا رسول الله ألا الأذخر ^(٥) . فإنه لقينهم ^(٦) وليبوتهم . فقال:

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة مكة حديث رقم: ٢٤٣٤ ، ومسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها حديث رقم: ١٣٥٥ ، أبو داود في الدييات باب ولي العمدة يرضى بالدية حديث رقم: ١٤٠٥ ، والنسائي في القسامة والقود والديات باب هل يؤخذ من قاتل العمدة الدية إذا عفا ولي المقتول عن القود: ٣٨/٨ ، وابن ماجه في الدييات ، باب من قتل له قتيل فهو بالخيار بين إحدى ثلاث حديث رقم: ٢٦٢٤ ، قلت: وقد أخرجه الأربعة باختصار ، وأخرجه البخاري ومسلم بهذا اللفظ المطول .

(٢) إذا استنفرتم فانفروا: إذا دعاكم السلطان إلى غزو فاذهبوا .

(٣) لا يعصده شوكه: لا يقطع .

(٤) ولا يختلى خلاها: الخلا هو الرطب من الكلا . ومعناه لا يقطع ولا يؤخذ .

(٥) الأذخر: قال العلالي في معجمه: الأذخر نبات عشبي من فصيلة النجيليات ، له رائحة ليمونية عطرة ، أزهاره تستعمل منقوعاً كالشاي ، ويقال له: طيب العرب . ويقال له: حلفاء مكة .

(٦) لقينهم وبيوتهم: القين هو الحداد والصانع ، ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار ، ويحتاج إليه في القبور لتسده به فرج اللحد المتخللة بين اللبنة ويحتاج إليه في سقوف البيوت يجعل فوق الجثث .

(إلا الإذخر) ^(١) لفظ مسلم .

٦٧٥- ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة ، فكبر ثلاثاً ، ثم قال: (لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن كل ماثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج ، وسدانة البيت ، ثم قال: ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل ، منها أربعون في بطنها أولادها) ^(٢) .

٦٧٦- ومن حديثه أيضاً قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: (كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر) ، فأذن لهم حتى صلى العصر ، ثم قال: (كفوا السلاح) . فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقام خطيباً ، فقال: ورأيت مسند ظهره إلى الكعبة: قال: (إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول ^(٣)) فقام إليه رجل فقال: إن فلاناً ابني وفي رواية عاهرت ^(٤) بأمه في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: (لا دعوة في الإسلام ، ذهب أمر الجاهلية ، الولد للفراش ، وللعاهر الأئلب ، قالوا: وما الأئلب ؟ قال: (الحجر) ، قال: (وفي الأصابع عشر عشر ، وفي المواضع خمس خمس) ، قال: وقال: (لا صلاة بعد الغداة حتى تطلع الشمس) ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، قال: (ولا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها) ^(٥) .

(١) أخرجه البخاري في اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة حديث رقم: ٢٤٣٢ ، ومسلم في الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها حديث رقم: ١٣٥٣ ، والنسائي في الحج باب تحريم القتال في الحرم: ٢٠٤/٥ ، وباب حرمة مكة: ٢٠٣/٥ - ٢٠٤ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الديات باب في الخطأ شبه العمد حديث رقم: ٤٥٤٧ ، وابن ماجه في الديات باب دية شبه العمد فغلظه حديث رقم: ٢٦٢٧ ، وابن حبان: ١٥٢٦ ، وابن الجارود: ٧٧٣ ، والبيهقي: ٦٨/٨ ، وأحمد ١٦٤/٢ ، ١٦٦ ، واستاند هذا الحديث صحيح رجاله كلهم ثقات ، وصححه ابن حبان ، وابن القطان في التلخيص: ١٥/٤ ، وقال: هو صحيح لا يضره الاختلاف .

(٣) ذحول الجاهلية: العداوة وطلب ثار من قتل في الجاهلية بعد الإسلام .

(٤) عاهرت: زنت .

(٥) قال الهيثمي في المجمع: ١٧٧/٦ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات: قلت: وغفل عن عزوه للإمام أحمد ، انظر الفتح الرباني: ١٦٠/٢١ ، وقد رواه أصحاب الكتب الستة عن غير واحد من الصحابة مقطوعاً في أبواب متفرقة قلت: والحديث حسن للخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

٦٧٧- ومن حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة ، والخنزير والأصنام) .

ف قيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة ، فإنه يطلى به السفن ، ويدهن بها الجلود ، ويستصبح بها الناس ، فقال: (لا ، هو حرام) ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: (قاتل الله اليهود ، إن الله لما حرم عليها شحومها أجملوه ^(١)) ثم باعوه ، فاكلوا ثمنه ^(٢) .

٢٧- صلاته عليه السلام يوم الفتح :

٦٧٨- من حديث أم هانئ: قال ابن أبي ليلي: « ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ ، فإنها قالت: إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة ، فاغتسل ، وصلى ثماني ركعات ، فلم أر صلاة قط أخف منها ، غير أنه يتم الركوع والسجود » ^(٣) .

وفي لفظ آخر عنها: « أن رسول الله ﷺ صلى يوم الفتح ثمان ركعات ، وذلك ضحى » .

في رواية هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل بيت أم هانئ ، واغتسل عندها وصلى الضحى ، وفي رواية الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ ، ومسلم في الصحيح ، وقد سبق ذكره في إجازة أم هانئ لرجل أهدر دمه أنها ذهبت إلى النبي ﷺ ، فوجدته يغتسل ، وفاطمة تستره ، وقد جمع بين هاتين الروايتين بأن الحادثة تكررت منه ﷺ ، والمحمّل أنه نزل ببيتها في أعلى مكة ، وكانت هي

(١) أجملوه: أذابوه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع الميتة والأصنام ، الحديث: ٢٢٣٦ ، مسلم في المساقاة باب تحريم بيع الخمر حديث: ١٥٨١ ، الترمذي في البيوع باب ما جاء في بيع جلود الميتة رقم: ١٢٩٧ ، وأبو داود في البيوع باب في ثمن الخمر والميتة برقم : ٣٤٨٦ ، والنسائي في البيوع باب بيع الخنزير : ٣٠٩/٧ - ٣١٠ ، وابن ماجه في التجارات باب ما لا يحل بيعه حديث: ٢١٦٧ ، وابن الجارود: ٥٧٨ ، والبيهقي: ١٢/٦ ، وأحمد: ٣٢٤/٣ ، ٤٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في التطوع باب صلاة الضحى في السفر: ١١٧٦ ، وفي المغازي ، باب منزل النبي يوم الفتح: ٤٢٩٢ ، مسلم: ٣٣٦ ، صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى ، والترمذي: ٤٧٤ ، الصلاة باب ما جاء في صلاة الضحى ، وأبو داود: ١٢٩١ ، الصلاة باب صلاة الضحى « وللحديث زيادة تخريج كما مر في الحديث رقم: ٦٥٣ .

في بيت آخر بمكة ، فجاءت إليه فوجدته يغتسل ، فيصح القولان ^(١) .

وقد حكى القاضي عياض عن قوم أنه ليس في حديث أم هانئ دلالة على أنه صلى الضحى ، قالوا: وإنما هي سنة الفتح ، وقد صلاها خالد بن الوليد في بعض فتوحه كذلك .

وقال عياض أيضاً: ليس حديث أم هانئ بظاهر في أنه قصد ﷺ بها سنة الضحى ، وإنما فيه أنها أخبرت عن وقت صلاته فقط ، وقد قيل : إنها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيه ، وتعقبه النووي بأن الصواب صحة الاستدلال به لما رواه أبو داود وغيره من طريق كريب ، عن أم هانئ أن النبي ﷺ صلى سبحة الضحى ، ولسلم في كتاب الطهارة من طريق أبي مرة عن أم هانئ في قصة اغتساله يوم الفتح « ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى » فتح الباري: ٥٤/٣ .

قلت: وسواء كانت هذه الصلاة التي صلاها عليه السلام هي صلاة الفتح أو سنة الضحى ، فالهم أنه ﷺ صلاها ، فإن صلاها المرء كسنة للضحى فهو على خير ، وإن صلاها عند الفتح فهو على خير ، والصحيح الذي أرجحه أن سنة الضحى ثابتة لكثرة الأحاديث الواردة في الحث عليها ، وإن كان البعض من السلف يرى أنها غير ثابتة كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري « قال مورو لابن عمر رضي الله عنهما: أتصلي الضحى ؟ قال: لا . قلت: فعمر ؟ قال: لا ، قلت: فأبو بكر ؟ قال: لا . قلت: فالنبي ﷺ ؟ قال: لا أخاله » ^(٢) .

وكان سبب توقف ابن عمر في ذلك أنه بلغه عن غيره أنه صلاها ، ولم يثق بذلك عمن ذكره ، وقد جاء عنه الجزم بأنها محدثة لما روى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن مجاهد عن ابن عمر أنه قال: إنها محدثة وإنها لمن أحسن ما أحدثوا ، ولما روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الحكم بن الأعرج عن الأعرج قال: سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال: بدعة ، ونعمت البدعة . ولما روى عبدالرزاق بإسناد صحيح عن سالم عن أبيه قال: لقد قتل عثمان وما أحد يسبحه ، وما أحدث الناس شيئاً أحب إلي منها ، ولما روى ابن أبي شيبة بإسناد

(١) فتح الباري: ٥٣/٣ .

(٢) البخاري في التطوع والتهجد باب صلاة الضحى في السفر حديث رقم: ١١٧٥ .

صحيح عن الشعبي عن ابن عمر قال: ما صليت الضحى منذ أسلمت ، إلا أن أطوف بالبيت ، أي فأصلي في ذلك الوقت لا على نية صلاة الضحى بل على نية الطواف . وفي الجملة ليس في أحاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى ، لأن نفيه محمول على عدم رؤيته ، لا على عدم الوقوع في نفس الأمر ، قال عياض وغيره: إنما أنكر ابن عمر ملازمتها ، وإظهارها في المساجد ، وصلاتها جماعة ، لا أنها مخالفة للسنة ، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه رأى قوماً يصلونها ، فانكر عليهم وقال: إن كان ولا بد فقي بيوتكم^(١) .

وقد جمع الحاكم الأحاديث الواردة في صلاة الضحى في جزء مفرد ، وذكر لغالب هذه الأقوال مستنداً ، وبلغ عدة رواة الحديث في إثباتها نحو العشرين نفساً من الصحابة^(٢) .

٢٨- سرية خالد إلى بني جذيمة:

٦٧٩- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا ، فجعلوا يقولون صباناً صباناً ، فجعل خالد يقتل منهم ، ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره ، فقلت: والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ﷺ ، فذكرناه ، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) ، مرتين^(٣) .

٦٨٠- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ بعث سرية قال: فغنموا ، وفيهم رجل فقال لهم: إني لست منهم إني عشقت فلحقها فدعولي أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، فإذا امرأة آدماء طويلة ، فقال لها: اسلمي حبش قبل نفاذ العيش ثم قال:

(١) فتح الباري: ٥٢/٣ - ٥٣ .

(٢) فتح الباري: ٥٥/٣ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث النبي ﷺ خالد إلى بني جذيمة حديث رقم: ٤٣٣٩ ، ٧١٨٩ ، النسائي في القضاء باب إذا قضى الحاكم بغير حق: ٢٣٦/٨ ، وأحمد في المسند: ١٥١/٢ ، ابن سعد في الطبقات: ١٤٧/٢ ، ١٤٨ ، والبيهقي في الدلائل: ١١٣/٥ ، ١١٤ .

أَرَيْتَكَ إِذَا طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحَلْيَةٍ أَوْ الْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ^(١)
 أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكْلَفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٢)
 فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذَا أَهْلُنَا مَعَا أَثِيبي بُوْدَ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَاتِقِ^(٣)
 أَثِيبي بُوْدَ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيَنَآيَ الْأَمِيرَ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ^(٤)

ثم قال: قالت: نعم فديتك ، قال: فقدموه ، فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة ، فوقعت عليه ، فشهقت شهقة ، أو شهقتين ، ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال رسول الله ﷺ: (أما كان فيكم رجل رحيم)^(٥) .

٢٩- مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في مكة عام الفتح:

٦٨١- من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين »^(١) .

وقد جاء من روايات عدة أنه مكث ثمانية عشر يوماً ، وهي عند أبي داود من حديث عمران بن حصين ، وأخرى سبعة عشر يوماً وبعضها خمسة عشر يوماً ، وقد جمع البيهقي بين هذا الاختلاف بأن قال تسع عشرة يوماً عد يومي الدخول والخروج ، ومن قال سبع عشرة يوماً حذفهما ، ومن قال ثماني عشرة

(١) حلية والخواتق: اسم موضعين .

(٢) الإدلاج: سار أول الليل ، الودائق: جمع وديقة وهو شدة الحر ، ومعنى ذلك تكلف السير في الليل وفي شدة الحر .

(٣) الصفاتق: أراد بها التواثب .

(٤) ينأى: يبعد ، تشحط: تبعد .

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٦٢٧٣ ، ابن سعد في الطبقات: ١٤٩/٢ ، والطبري في التاريخ: ١٢٥/٣ ، والبيهقي في الدلائل: ١١٨/٥ ، وصحح إسنادهما الحافظ ابن حجر في الفتح: ٥٨/٨ ، وقد أخرج ابن إسحاق من طريقه عن ابن أبي حدرود شبيهاً بهذا اللفظ البيهقي في الدلائل: ١١٥/٥ ، والبيهقي بإسناده إلى ابن عاصم المزني شبيهاً بهذه القصة أيضاً في الدلائل: ١١٧/٥ ، وكما أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح: ٥٨/٨ ، سيرة ابن هشام: ٤٣٣/٢ - ٤٣٤ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب مقام النبي بمكة عام الفتح: ٤٢٩٨ - ٤٢٩٩ ، أبو داود في الصلاة باب متى يتم المسافر حديث رقم: ١٢٣٠ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة باب كم يقصر الصلاة المسافر إذا أقام ببدة حديث رقم: ١٠٧٥ ، الترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء في كم تقصر الصلاة حديث رقم: ٥٤٩ ، وأحمد في المسند: ٢٢٣/١ ، والبيهقي: ١٥٠/٣ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ٢٤٢/١ .

عد أحدهما وأما رواية « خمسة عشر » فضعفها النووي في الخلاصة ، وليس بجيد لأن روايتها ثقات ولم ينفرد بها ابن إسحاق فقد أخرجها النسائي .

وإذا ثبت أنها صحيحة فليحمل على أن الراوي ظن أن الأصل رواية سبعة عشر ، فحذف منها يومي الدخول والخروج ، فذكر أنها خمسة عشر ، واقتضى ذلك أن رواية تسعة عشر أرجح الروايات ، وبهذا أخذ إسحاق بن راهويه ، ويرجحها أيضاً أنها أكثر ما وردت به الروايات الصحيحة ^(١) .

(١) فتح الباري: ٥٦٢/٢ ، في التعليق على حديث رقم: ١٠٨٠ ، كتاب تقصير الصلاة باب ما جاء في التقصير وكم يقيم حتى يقصر .

المبحث الثاني

غزوة حنين

شوال سنة ثمان للهجرة

قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله ، وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ، والله غفور رحيم ﴾ ^(١) .

وحنين: واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف ، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات ، قال أبو عبيد البكري: سمي باسم حنين بن قابشة بن مهلائيل ^(٢) .

١- وقتها:

قال أهل المغازي: خرج رسول الله ﷺ إلى حنين لخمس خلت من شوال ، وبه قال ابن إسحاق في المغازي ، وهكذا روي عن ابن مسعود ، وبه قال عروة ابن الزبير ، واختاره أحمد ، وابن جرير في تاريخه .

وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ الخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره، وبه قال الواقدي ^(٣) .

٢- سببها:

٦٨٢- قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبدالرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبدالله وعمرو بن شعيب ، والزهرى وعبدالله بن أبي بكر ابن حزم وعبدالله بن المكرم بن عبدالرحمن الثقفي عن حديث حنين حين سار إليهم رسول الله ﷺ وساروا إليه فبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض ، وقد اجتمع حديثهم: « أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة ، جمع مالك بن عوف

(١) سورة التوبة: آية: ٢٥ .

(٢) فتح الباري: ٢٧/٨ .

(٣) فتح الباري: ٢٧/٨ ، سيرة ابن كثير: ٦١٠/٣ .

النصري: بني نصر ، وبني جشم ، وبني سعد بن بكر ، وأوزاعاً من بني هلال ، وهم قليل ، وناساً من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وأوعبت معه ثقيف الأحلاف ، وبنو مالك ، ثم سار بهم إلى رسول الله ﷺ ، وساق معه الأموال والنساء والأبناء .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، بعث عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي ، فقال: اذهب ، فادخل في القوم حتى تعلم لنا من علمهم ، فدخل فيهم ، فمكث فيهم يوماً أو اثنين ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم .

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: (ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد) ، فقال عمر رضي الله عنه: كذب ، فقال: ابن أبي حدرد ، والله لئن كذبتني يا عمر لربما كذبت بالحق ، فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد فقال: (قد كنت يا عمر ضالاً فهداك الله) .

ثم بعث رسول الله إلى صفوان بن أمية ، فسأله أدرعاً عنده مائة درع ، وما يصلحها من عدتها ، فقال: أغصباً يا محمد ، فقال: (بل عارية مضمونة حتى نؤديها عليك) ثم خرج رسول الله ﷺ سائراً .

وزاد ابن إسحاق بالإسناد الأول: أن مالك بن عوف أقبل فيمن معه عن جمع من قبائل قيس وثقيف ، ومعه دريد بن الصمة شيخ كبير في شجار^(١) له يعاد به حتى نزل الناس بأوطاس^(٢) فقال دريد - حين نزلوا بأوطاس فسمع رغاء البعير^(٣) ، ونهيق الحمير^(٤) ويعار الشاء^(٥) ، وبكاء الصغير - : يأي واد أنتم ؟ فقالوا: بأوطاس ، قال: نعم مجال الخيل ، لا حزن^(٦) ضررس^(٧) ، ولا سهل^(٨)

(١) شجار: شبه الهودج إلا أنه مفتوح الأعلى .

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن ، كانت فيه وقعة حنين ، وتسمى أيضاً غزوة أوطاس .

(٣) رغاء البعير: صوتها .

(٤) نهيق الحمير: صوتها .

(٥) يعار الشاء: صوتها .

(٦) حزن: ما غلظ من الأرض .

(٧) ضررس: الأكمة الخشنة وفي الإملاء هو الموضع فيه حجارة محددة .

(٨) سهل: ضد الحزن .

دهس^(١) ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهيق الحمار ، ويعار الشاء ؟ فقالوا :
ساق مالك مع الناس أموالهم وذرايهم ونساءهم .

قال : فأين مالك ؟ فدعي مالك ، فقال : يا مالك ! إنك قد أصبحت رئيس
قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، فما دعاك إلى أن تسوق مع
الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله
وأمواله ليقاتل عنهم ، قال : فانقض^(٢) به دريد ، وقال : يا راعي ضأن والله ،
وهل يرد وجه المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه
ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، فارفع الأموال والنساء ،
والذراي إلى علياء قومهم ، وامنن ببلادهم .

ثم قال دريد : وما فعلت كعب وكلاب ، فقالوا : لم يحضرها منهم أحد ،
فقال : غاب الحد^(٣) والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ،
ولوددت لو فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن حضرها ؟ فقالوا : عمرو بن عامر ،
وعوف بن عامر ، فقالوا : ذاك الجذعان^(٤) لا يضران ولا ينفعان ، فكره مالك أن
يكون لدريد فيها رأي ، فقال : إنك قد كبرت ، وكبر علمك والله لتطيعن يا معشر
هوازن ، أو لا تكثن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، فقالوا : أطعناك .

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم ، فاكسروا جفان سيوفكم ، ثم شدوا شدة
رجل واحد «^(٥) .

(١) دهس : المكان السهل اللين الذي لا يبلغ أن يكون رملاً وهو تراب .

(٢) فانقض : زجره كما تزجر الدابة

(٣) الحد : الشجاعة والحدة .

(٤) الجذعان : يريد أنهما ضعيقان بمنزلة الجذع في سته .

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل : ١٢٠/٥ - ١٢٣ ، سيرة ابن هشام : ٤٤٢/٢ - ٤٤٤ وابن حبان كما في
الموارد ص : ٤١٧ ، رقم : ١٧٠٤ ، وأخرجه أحمد في المسند : ٣٧٦/٣ ، وأبو يعلى رقم : ١٨٦٢ ،
١٨٦٣ ، والبزار : ١٨٣٤ ، وفيه ابن إسحاق ، وقد صرح بالتحديث وبقية رجاله أحمد رجال الصحيح :
قلت : وهو حديث طويل ذكرت جزءاً منه هنا ، وسيأتي أجزاء أخرى سأشير إليها في مواطنها ، وفيها
قصة الهزيمة والرجل صاحب الراية ، وقد أخرج أيضاً ابن حبان : ١٧٠٤ ، أجزاء منه بنفس الإسناد الذي
ذكرت في بداية الحديث من طريق عبد الرحمن بن جابر عن أبيه ، والسند رجاله ثقات ، فالحديث بذلك
حسن ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرک : ٤٨/٣ - ٤٩ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه
الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٧٩/٦ « رواه أحمد ، وأبو يعلى والبزار باختصار ، وفيه ابن
إسحاق وقد صرح بالسماع في رواية أبي يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح .

٣- استعارة الدروع من صفوان بن أمية:

٦٨٣- من حديث صفوان بن أمية رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ استعار منه أدراعاً يوم حنين فقال: أغضب يا محمد؟ فقال: (لا بل عارية مضمونة) ^(١) .

٤- قصة الجاسوس الذي جاء يتجسس على المسلمين:

٦٨٤- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن . فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر ، فاناخه . ثم انتزع طلقاً من حقه ، فقيده به الجمل . ثم تقدم يتغدى مع القوم . وجعل ينظر ، وفينا ضعفة ورقة في الظهر ، وبعضنا مشاة ، إذ خرج يشتد ، فأتى جملة فأطلق قيده ، ثم أناخه وقعد عليه ، فأثاره ، فاشتد به الجمل ، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء .

قال سلمة: وخرجت أشد . فكنت عند ورك الناقة . ثم تقدمت . حتى كنت عند ورك الجمل . ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل ، فأنخته . فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي ، فضربت رأس الرجل فندر ثم جثت بالجمل أقوده . عليه رحله وسلاحه . فاستقبلني رسول الله ﷺ ، والناس معه . فقال: من (قتل الرجل؟) قالوا: ابن الأكوع . قال: (له سلبه أجمع) ^(٢) .

٥- تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بغنيمة حنين:

٦٨٥- من حديث سهيل بن الحنظلية رضي الله عنه: « أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فاطنّبوا السير ، حتى كانت عشية ، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فارس ، فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب البيوع باب في تضمين العارية حديث رقم ٣٥٦٢ ، وأحمد في المسند: ٤٠١/٣ ، ٤٦٥/٦ ، والبيهقي: ٨٩/٦ ، والحاكم: ٤٧/٢ ، وهو حسن في الشواهد ، ويشهد له ما جاء في حديث عبدالرحمن بن جابر عن أبيه ، والذي أخرجه الحاكم: ٤٨/٣ ، والبيهقي: ٨٩/٦ قال الحاكم: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، وهو كما قال ، فالحديث صحيح . قلت: ويشهد له أيضاً ما جاء في حديث ابن عباس بنفس اللفظ والذي أخرجه الحاكم: ٤٧/٢ ، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث رقم: ١٧٥٤ ، وأبو داود في الجهاد باب الجاسوس المستامن حديث رقم: ٢٦٥٤ ، والطحاوي: ١٣٠/٢ - ١٣١ ، وأحمد: ٤٩/٤ - ٥١ .

أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله) .

ثم قال : (من يحرسنا الليلة ؟) فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول ؟ قال : (فاركب) فركب فرساً له فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : (استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ، ولا نفرن من قلبك الليلة) .

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه ، فركع ركعتين ثم قال : (هل أحسستم فارسكم ؟) قالوا : يا رسول الله ، ما أحسنناه فثوب بالصلاة ، فجعل رسول الله ﷺ يصلي ، وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته ، وسلم ، قال : (أبشروا فقد جاءكم فارسكم) .

فجعلنا ننظر إلى الشجرة في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فسلم فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ : (هل نزلت الليلة ؟) قال : لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة . فقال له رسول الله ﷺ : (فقد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها)^(١)

٦- قصة المفاجأة والهزيمة :

أ- الهزيمة :

٦٨٦- من حديث أنس رضي الله عنه قال : « لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم ، فقال القوم : اليوم والله ما نقاتل حين اجتمعنا ، فكره ﷺ ما قالوا ، ما أعجبهم من كثرتهم »^(٢) .

٦٨٧- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « لما استقبلنا وادي

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب فضل الحرس في سبيل الله تعالى حديث رقم : ٢٥٠١ ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم : ٤٦٥٠ ، والحافظ ابن كثير في التاريخ : ٢٢٥/٤ - ٢٢٦ ، وأخرجه البيهقي في الدلائل : ١٢٦/٥ ، وإسناد هذا الحديث صحيح ، حسنه الحافظ في الفتح : ٢٧/٨ .

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ، وابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم : الفتح الرباني : ١٦٩/٢١ .

حنين قال: انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط ^(١) إنما ننحدر فيه انحذاراً قال: وفي عماية الصبح ^(٢) ، وقد كان القوم كمنوا لنا في شعبه ، وفي أجنبه ، ومضايقه ، قد جمعوا وتهيثوا ، وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتاب قد شدت علينا شدة رجل واحد ، وانهزم الناس راجعين ، فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين قال: (إلي أيها الناس ، هلم إلي ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبدالله) ، قال: فلا شيء ^(٣) .

احتملت الإبل بعضها بعضاً فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير ، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبدالمطلب ، وابنه الفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأمين بن عبيد ، وهو ابن أم أمين ، وأسامة بن زيد ، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر في يده راية له سوداء في رأس رمح طويل أمام الناس ، وهوازن خلفه ، فإذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفعه لمن وراءه ، فاتبعوه ^(٤) .

قال ابن إسحاق « وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبدالرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبدالله قال: (بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة ذلك يصنع ما يصنع ، إذ هوى له علي بن أبي طالب ، ورجل من الأنصار يريدانه ، قال: فيأتيه علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه ^(٥) بنصف ساقه ، فانعجف ^(٦) عن رحله ، واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ » .

(١) حطوط: واسع منحدر من أعلى إلى أسفل .

(٢) عماية الصبح: أي بقية ظلمة الليل .

(٣) فلا شيء: يعني فلا مجيب .

(٤) سبق تخريجه في حديث رقم: ٦٨٢ .

(٥) أطن قدمه: قصعه .

(٦) فانعجف: مال وسقط .

ب - الثابتون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٦٨٨- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « وقد جاءه رجل فقال: يا أبا عمارة ، أتوليت يوم حنين ، فقال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول ، ولكن عجل سرعان القوم ، فرشقتهم هوازن - وأبو سفيان بن الحارث أخذ برأس بغلته البيضاء يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب) ^(١) .

وفي لفظ آخر « وقد سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة ، وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا ، فأكبينا على الغنائم ، فاستقبلنا بالسهم ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب) .

٦٨٩- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفتتين لموليتين ، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل » ^(٢) .

٦٩٠- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « افتتحنا مكة ، ثم إننا غزونا حنيناً ، فجلى المشركون بأحسن صفوف رأيت ، قال: فصفت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم صفت النعم .

قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف ^(٣) . وعلى مجنبه ^(٤) خيلنا خالد بن

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قوله تعالى: ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ حديث رقم: ٤٣١٥ ، ٤٣١٦ ، ٤٣١٧ ، ومسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين حديث رقم: ١٧٧٦ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الثبات عند القتال حديث رقم: ١٦٨٨ ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٨٧٣ .

قلت: وقد جاء من حديث زيد بن أرقم: هتاف النبي: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات ، كما قال الهيثمي في المجمع: ١٨٢/٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الثبات عند القتال حديث رقم: ١٦٨٩ ، وقال: حديث حسن غريب ، وحسنه الحافظ في الفتح: ٢٩/٨ - ٣٠ .

(٣) قد بلغنا ستة آلاف: قال القاضي هذا وهم من الراوي عن أنس ، والصحيح ما جاء في الرواية الأولى عشرة آلاف ، ومعه الطلقاء ، لأن المشهور في كتب المغازي أن المسلمين كانوا يومئذ اثني عشر ألفاً ، عشرة آلاف شهدوا الفتح . وألفان من أهل مكة ومن انضاف إليهم (انظر الرواية الأولى ، والتي فيها ذكر العشرة آلاف في صحيح مسلم حديث: ١٣٥/١٠٥٩ .

(٤) مجنبه: هي الكتيبة من الخيل التي تأخذ جانب الطريق .

الوليد . فجعلت خيلنا تلوي ^(١) خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشف خيلنا ، وفرت الأعراب . ومن نعلم من الناس .

قال: فنأدى رسول الله ﷺ: (ياللمهاجرين !) ثم قال: (ياللأنصار) قال: قال أنس . هذا حديث عمية ^(٢) ، قال: قلنا ليك يا رسول الله ، قال: فتقدم رسول الله ﷺ . قال: فأيم الله ! ما أتيناكم حتى هزمهم الله . قال: فقبضنا ذلك المال . ثم انطلقنا إلى الطائف ، فحاصرناهم أربعين ليلة ، ثم رجعنا إلى مكة ، فترلنا ، قال: فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة من الإبل ^(٣) .

٦٩١- من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كنت مع النبي ﷺ يوم حنين قال: فولى الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً ، ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عز وجل عليهم السكينة ، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً ، فحارت به بغلته فمال عن السرج فقلت: ارتفع رفعك الله فقال: ناولني كفاً من تراب فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً قال: (أين المهاجرون والأنصار) . قلت: هم أولاء قال: (اهتف بهم) ، فهتفت بهم ، فجاءوا وسيوفهم بأيانهم كأنها الشهب ، وولى المشركون أدبارهم » ^(٤) .

قال الحافظ في الفتح: « وهذا لا يخالف حديث ابن عمر ، فإنه نفى أن يكونوا مائة ، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين ، وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم: أنه ثبت معه اثنا عشر رجلاً ، فكأنه أخذه مما ذكره ابن إسحاق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأخوه ربيعة ، وأسامة بن زيد ، وأخوه من أمه أمينة بن أم أمينة ، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر ، فهؤلاء تسعة ، وتقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم ، فهؤلاء

(١) تلوي: تلوذ ، فجعلت فرساننا يشنون أفراسهم ويعفونها خلف ظهورنا .

(٢) هذا حديث عمية: هذا حديث فضل أعمامي ، أو هذا الحديث الذي حدثني به أعمامي .

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفات قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه حديث رقم: ١٠٥٩/١٣٦ ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ٨٩٧ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ١٨٠/٦: رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني ، ورجاله أحمد رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة ، وهو ثقة ، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨٢٩ ، وأخرجه الحاكم: ١١٧/٢ ، أخرجه أحمد في المسند: ٤٥٤/١ ، دلائل البیهقي: ١٤٢/٥ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

عشرة ، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وعاشرنا وافي الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع

ولعل هذا هو الثبت . ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم ^(١) .

٧- هتاف العباس بالأنصار للعودة:

٦٩٢- من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: « شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين . فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ ، فلم نفارقه . ورسول الله ﷺ على بغلة له ، بيضاء . أهداها له فروة بن نفثة الجذامي . فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار .

قال العباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ . أكفها إرادة أن لا تسرع . وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (أي عباس ! ناد أصحاب السمرة) ^(٢) فقال العباس: « وكان رجلاً صيتاً » ^(٣) فقلت: بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة ؟

قال: فوالله ! لكان عطفهم حين سمعوا صوتي ، عطفة البقر على أولادها . فقالوا: يا لبيك ؟ يا لبيك ! قال: فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار ،

(١) فتح الباري: ٣٠/٨ .

قلت: وقد جرح خالد رضي الله عنه في هذا اليوم ، أثناء المفاجأة التي فاجأ بها المشركون المسلمين فسارع رسول الله ﷺ للاطمئنان عليه ، فقد جاء عن عبدالرحمن بن أزهر أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين يتخلل الناس ، يسأل عن رجل خالد . فدل عليه ، فنظر إلى جرحه ، وحسب أنه نفث فيه ، أخرجه أحمد: ٨٨/٤ ، ٣٥١ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٩٤٧١ ، والبيهقي في الدلائل: ١٣٩/٥ - ١٤٠ ، وأخرجه مختصراً : الحاكم: ٣٧٤/٤ - ٣٧٥ ، وأبو داود: ٤٤٨٧ - ٤٤٨٩ ، وأحمد في المسند: ٨٨/٤ ، ٣٥٠ . وإسناده صحيح .

(٢) أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان . ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .

(٣) صيتاً: قوي الصوت .

يقولون: يا معشر الأنصار ! يا معشر الأنصار ! ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج ! ، يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ ، وهو على بغلته ، كالمطاول عليها ، إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ : (هذا حين حمي الوطيس)^(١)

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات ، فرمى بهن وجوه الكفار . ثم قال: (انهزموا ، ورب محمد!) قال: فذهبت أنظر ، فإذا القتال على هيئته فيما أرى . قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته . فما زلت أرى حذهم قليلاً^(٢) وأمرهم مدبراً^(٣) .

قال النووي رحمه الله « قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيداً ، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم ، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا ، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ، ورشقهم بالسهم ، ولاختلاط أهل مكة معهم عن لم يستقر الإيمان في قلبه ، وعن يتربص بالمسلمين الدوائر ، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة ، فتقدم أخفاؤهم ، فلما رشقوهم بالنبل ولوا ، فانقلبت أولاهم على أخراهم إلى أن أنزل الله سكنته على المؤمنين ، كما ذكر الله تعالى في القرآن »^(٤)

٦٩٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « التقى يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة ، واشتد القتال فولوا مدبرين ، فندب رسول الله ﷺ الأنصار فقال: (يا معشر المسلمين أنا رسول الله) فقالوا: إليك والله جئنا ، فنكسوا رؤوسهم ، ثم قاتلوا حتى فتح الله عليهم »^(٥)

وقد جاء في أحاديث المفاجأة والهزيمة ، وثبات النبي ﷺ فوائده كثيرة ذكرها

(١) هذا حين حمي الوطيس: الضرب في الحرب .

(٢) حذهم قليلاً: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة .

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد باب في غزوة حنين حديث رقم: ١٧٧٥ ، وأحمد في المسند: ٢٠٧/١ ، وعبد الرزاق في المصنف حديث رقم: ٩٧٤١ ، وابن هشام في السيرة: ٤٤٤/٢ ، والحاكم في المستدرک: ٣٢٧/٣ ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ٥١٣٤ .

(٤) شرح صحيح مسلم النووي: ١١٥/١٢ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٤٨/٣ ، وقال: حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

الحفاظ في الفتح منها :

وفي الحديث (يعني حديث البراء بن عازب في ثبات النبي) من الفوائد : حسن الأدب في الخطاب ، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب ، وذم الإعجاب ، وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية ، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب ، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها ، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله ، ولا يقال كان النبي ﷺ متيقناً للنصر لوعد الله تعالى له بذلك ، وهو حق ، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه أخذاً بلجام بغلته ، وليس هو على اليقين مثل النبي ﷺ .

وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات ، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي ، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار ، وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لاتباعه على الثبات ، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ^(١) .

٨- اشتداد المعركة وقوله عليه السلام في ذلك :

٦٩٤- من حديث جابر بن عبد الله : « أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : (الآن حمي الوطيس) ، ثم قال : (هزموا ورب الكعبة) » ^(٢) .

٩- رميه عليه السلام الحصى في وجوه الأعداء :

أ- قد سبق ذكر رمي الحصى من حديث ابن مسعود رقم : ٦٩١ ، ومن حديث العباس بن عبد المطلب رقم : ٦٩٢ ، وقد جاء أيضاً من حديث أبي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين ^(٣) .

٦٩٥- وقد جاء أيضاً من حديث يزيد بن عامر السسوائي أنه قال : « عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين ، فتابعتهم الكفار ، فأخذ رسول الله ﷺ قبضة

(١) فتح الباري : ٣٢/٨ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح كذا قال الهيثمي في المجمع : ١٨٢/٦ .

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب في الرجل ينادي فيقول ليك حديث رقم : ٥٢٣٣ ، أحمد : ٢٨٦/٥ ، وأبو داود الطيالسي : ٣٢٧٢ ، ١٠٧/٢ ، وقال الزرقاني في شرح المواهب : رواه الترمذي ، وابن سعد وابن أبي شيبة ، والطبراني وابن مردويه والبيهقي ، ورجاله ثقات .

من الأرض ، فرمى بها وجوههم ، وقال : (ارجعوا شاهت الوجوه) ، فما من أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو القذى ، ويمسح عينيه « ^(١) .

٦٩٦- ومن حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدو تقدمت ، فاعلو ثنية ، فاستقبل رجلاً من العدو ، فارميه بسهم وتوارى عني ، فما دريت ما صنع .

ثم نظرت إلى القوم ، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى ، فالتقوا هم وصحابة للنبي ﷺ ، فولى صحابة النبي ﷺ ، فأرجع منهزماً وعلي يردتان مؤترراً بإحدهما ، مرتدياً بالأخرى ، قال : فاستطلق إزاري ^(٢) ، فجمعتها جمعاً ، ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً ^(٣) وهو على بغلته الشهباء ، فقال رسول الله ﷺ : (لقد رأى ابن الأكوع فرعاً) .

فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم ، فقال : (شاهت الوجوه) ^(٤) ، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم الله ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين « ^(٥) .

قلت : جاء في الأحاديث السابقة أنه ﷺ قد تناول كفاً من تراب أو حصى ، ورمى بها المشركين ، وقد جاء من حديث ابن مسعود ، فيما مضى أيضاً أنه طلب منه أن يتناوله كفاً من التراب فرمى به المشركين ، ومن حديث ابن عباس أنه طلب من علي أن يتناوله التراب ، فرمى به المشركين ، ويجمع بين هذه الأحاديث أنه ﷺ أولاً قال لصاحبه ناولني ، فتناوله ، فرماهم ، ثم نزل عن البغلة ، فأخذ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير : ٢٣٧/٢٢ ، رقم : ٦٢٢ ، والبخاري في التاريخ الكبير : ٣١٦/٢/٤ ، المطالب العالية : ٤٣٧٢ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وسكت عنه البوصيري ، وقال الهيثمي في المجمع : ١٨٢/٦ - ١٨٣ : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٢) فاستطلق إزاري : انحل لاستعجالي .

(٣) منهزماً : قال العلماء : قول منهزماً ، حال من ابن الأكوع ، كما صرح أولاً بانهزامة ، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم وقد قالت : الصحابة كلهم رضي الله عنهم : إنه ﷺ ما انهزم ، ولم ينقل أحد قط أنه انهزم في موطن من المواطن ، وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامة ﷺ ، ولا يجوز ذلك عليه .

(٤) شاهت الوجوه : أي قبحت .

(٥) أخرجه مسلم في باب غزوة حنين حديث رقم : ١٧٧٧ .

بيده ، فرماهم أيضاً ، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين ، وفي الأخرى التراب ، والله أعلم « كذا قال الحافظ .^(١) .

ب - الرعب الذي أوقعه الله في قلوب المشركين يوم حنين :

٦٩٧- من حديث يزيد بن عامر السسوائي « وكان شهد حنيناً مع المشركين ، ثم أسلم قال أبو السائب: سألناه عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم يوم حنين ، كيف كان ، فأخذ حصاة ، فرمى بها طستاً فطن قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا »^(٢) .

١٠- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين :

٦٩٨- من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال رجل للبراء: أكتنم وليتم يوم حنين يا أبا عمار؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى . ولكنه انطلق أخفاء الناس ، وحُسِرَ إلى هذا الحي من هوازن ، وهم قوم رماة . فرمواهم برشق من نبل ، كأنها رجل من جراد^(٣) فانكشفوا: فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته ، فنزل ، ودعا ، واستنصر ، وهو يقول:

(أنا النبي لا كـذب أنا ابن عبدالمطلب)

(اللهم نزل نصرك) .

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ «^(٤) .

(١) الحافظ في الفتح: ٣٢/٨ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٣٧/٢٢ - ٢٣٨ ، رقم: ٦٢٣ ، وانظر المطالب العالية: ٤٣٧١ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وسكت عليه البوصيري ، وقال الهيثمي: ١٨٣/٦ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٣) رجل من جراد: كأنها قطعة من جراد ، والرجل: الجراد الكثير .

(٤) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين: ١٧٧٦ / ٧٩ ، وقد سبق تخريجه حديث رقم: ٦٨٨ ، ولكن مسلم تفرد بلفظ الدعاء للنبي ﷺ .

١١- ثبات أبي سفيان بن الحارث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وقد سبق ذكر ثباته من حديث العباس بن عبدالمطلب ^(١) ، ومن حديث البراء ابن عازب ^(٢) ومن حديث جابر بن عبد الله ^(٣) ، وهذا مما يدل على شجاعته ، وتضحيته ، وصدق إيمانه رضي الله عنه .

أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الصارمة بحق المشركين يوم حنين:

٦٩٩- من حديث أنس رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: (جزوهم جزاً) ، وأوماً بيده إلى الخلق » ^(٤) .

١٢- أساليب النبي التشجيعية يوم حنين في القتال:

أ- أبو طلحة رضي الله عنه:

٧٠٠- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ يومئذ يعني يوم حنين: (من قتل كافراً ، فله سلبه) ، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً ، وأخذ أسلابهم » ^(٥)

ب - أبو قتادة رضي الله عنه:

٧٠١- من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين . فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ^(٦) . قال: فرأيت رجلاً من

(١) انظر رقم: ٦٩٢ .

(٢) انظر رقم: ٦٨٨ .

(٣) انظر رقم: ٦٨٧ .

(٤) أخرجه البزار حديث رقم: ١٨٣٠ ، كما في كشف الأستار ، وقال الهيثمي: ١٨١/٦ : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في السلب يعطى للقاتل رقم: ٢٧١٨ ، والدارمي: ٢٢٩/٢ ، وابن سعد: ٥٠٥/٣ ، وصححه الحاكم: ٣٥٣/٣ ، ووافقه الذهبي ، وإسناده صحيح كما قالوا . وابن حبان في الموارد: ١٦٧١ ، وأحمد: ١١٤/٣ ، ١٢٣ ، ١٩٠ ، ٢٧٩ ، والطبراني حديث رقم: ٢٠٧٩ ، والبيهقي في الدلائل: ١٥٠/٥ .

(٦) جولة: أي انهزم وخيفه ذهبوا فيها . وهذا إما كان في بعض الجيش ، وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يولوا . والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة قد سبق بعضها فيما مضى من الأحاديث .

المشركين قد علا رجلاً من المسلمين^(١) ، فاستدرت إليه حتى أتيته من ورائه ، فضربتة على حبل عاتقه^(٢) ، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت^(٣) . ثم أدركه الموت . فأرسلني ، فلحقت عمر بن الخطاب . فقال: ما للناس ؟ فقلت: أمر الله .

ثم إن الناس رجعوا ، وجلس رسول الله ﷺ فقال: (من قتل قتيلاً ، له عليه بيعة ، فله سلبه)^(٤) قال: فقممت فقلت: من يشهد لي ؟^(٥) ، ثم جلست ثم قال مثل ذلك . فقال فقممت فقلت: من يشهد لي ؟ ثم جلست . ثم قال ذلك . الثالثة فقممت .

فقال رسول الله ﷺ (مالك ؟ يا أبا قتادة !) فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم: صدق . يا رسول الله ! سلب ذلك القتل عندي . فأرضه من حقه ، وقال أبو بكر الصديق: لاها الله^(٦) إذا لا يعمد^(٧) إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله ، فيعطيك سلبه . فقال رسول الله ﷺ: (صدق . فأعطه إياه) فأعطاني قال: فبعت الدرع ، فابتعت به مخرفاً^(٨) في بني سلمة . فإنه لأول مال تأثلته^(٩) في الإسلام .

وفي حديث الليث: فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضييع في قريش ويدع أسداً من أسد الله^(١٠) .

-
- (١) قد علا رجلاً من المسلمين: يعني ظهر عليه وأشرف على قتله ، أو صرعه وجلس عليه ليقتله .
(٢) على حبل عاتقه: هامه بين العنق والكتف .
(٣) وجدت منها ريح الموت: يحتمل أنه أراد شدة كسدة الموت: ويحتمل قارب الموت .
(٤) له عليه بيعة: أي شاهد ، فله سلبه: هو ما على القتل ومعه من ثياب وسلاح ومركب وجنيب يقاد بين يديه .
(٥) من يشهد لي: باني قتل رجلاً من المشركين ، فيكون سلبه لي .
(٦) لاها الله: هكذا هو في روايات جميع المحدثين وهو قسم ويمين بمعنى (لا والله) .
(٧) لا يعمد: الضمير عائد إلى النبي ﷺ . أي لا يقصد عليه السلام إلى إبطال حق أسد من أسود الله يقاتل في سبيله وهو أبو قتادة بإعطاء سلبه إياك .
(٨) مخرفاً: البستان وقيل السكة من النخيل وقيل هي الجنية الصغيرة .
(٩) تأثلته: اقتنيته وتأصلته .

(١٠) أخرجه البخاري باب غزوة حنين حديث رقم: ٤٣٢١ ، ومسلم في الجهاد والسير باب غزوة حنين رقم: ١٧٥١ ، وأبو داود في الجهاد باب في السلب يعطى للقاتل: ٢٧١٧ ، والترمذي في السير باب ما جاء فيمن قتل قتيلاً له سلبه: ١٥٦٢ ، وقال: حسن صحيح ، مالك في الموطأ: ١٢/١٠/٢ ، الجهاد باب ما

١٣- شجاعة ممثلة النساء أم سليم يوم حنين:

٧٠٢- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا ^(١) ، فكان معها فرأها أبو طلحة . فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ، فقال لها رسول الله ﷺ: (ما هذا الخنجر ؟) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه . فجعل رسول الله ﷺ يضحك . قالت: يا رسول الله ! اقتل من بعدنا ^(٢) من الطلقاء ^(٣) انهزموا بك ^(٤) . فقال رسول الله ﷺ: (يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن) ^(٥) .

١٤- اعتصام بعض الفارين بأوطاس ، وملاحقة المسلمين لهم:

٧٠٣- من حديث أبي موسى الأشعري: قال: « لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس ، فلقي دريد بن الصمة ، فقتل دريد ، وهزم الله أصحابه قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأبته في ركبته ، فأنتهيت إليه فقلت: يا عم ! من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذلك قاتلي ، تراه ذلك الذي رماني .

قال أبو موسى فقصدت له ، فاعتمدته ، فلحقته ، فلما رأيته ولى عني ذاهباً، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي ؟ ألسنت عريياً ؟ ألا تثبت ؟ فكف فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين أنا وهو فقتلته . ثم رجعت إلى أبي عامر ، فقلت: قد قتل الله صاحبك ، قال: فانتزع هذا السهم ، فترعته ، فنزا منه الماء ^(٦) فقال: يا ابن أخي ، انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فاقرئه عني السلام ، ثم قل له إنه يقول

جاء في السلب ، وابن الجارود: ١٠٧٦ ، البيهقي: ١٥٠/٩ ، والطحاوي: ١٣٠/١ ، وهو مختصر عند ابن ماجه: ٢٨٣٧ والدارمي: ٢٢٩/٢ ، وسعيد بن منصور رقم: ٢٦٩٦ .

(١) خنجرًا: سكين كبير ذات حدين .

(٢) من بعدنا: من سوانا .

(٣) الطلقاء هم الذين أسلموا يوم فتح مكة سمر بذلك لأن النبي ﷺ من عليهم وأطلقهم وكان في إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون يستحقون القتل لانهم لم يهاجموا .

(٤) انهزموا بك: أي انهزموا عنك . على حد قوله تعالى: ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ ، أي عنه وبما تكون للشيبة . أي انهزموا بسببك لتفاقهم .

(٥) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال حدث رقم: ١٨٠٩ ، وأحمد: ١٩٠/٣ ، وسنده صحيح على شرط مسلم ، وابن سعد في الطبقات: ٤٢٥/٨ ، وإسناده صحيح .

(٦) فنزا منه الماء: ظهر وجري .

لك استغفر لي .

قال: واستخلفني أبو عامر على الناس يسيراً ، ثم مات . فلما رجعت إلى النبي ﷺ ، دخلت عليه ، وهو في بيت على سرير مرمّل وعليه فراش ، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبه ، فأخبرته بخبرنا ، وخبر أبي عامر ، وقلت له: قال: قل له يستغفر لي .

فدعا رسول الله ﷺ بقاء فتوضأ ، ثم رفع يديه ، فقال: (اللهم اغفر لأبي عامر عبدك) ، حتى رأيت يياض إبطيه ، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ، أو من الناس) ، فقلت: يا رسول الله ! ولي فاستغفر . فقال: (اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً) .

قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر ، والأخرى لأبي موسى ^(١) .

١٥- حصار الطائف: في شوال سنة ثمان:

قد سبق من حديث أنس رضي الله عنه رقم: ٦٩٠ أن الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المسلمين جاهدوا المشركين في الطائف أربعين ليلة .

وقد حدثت بعض الأحداث أثناء الحصار أسوقها فيما يلي:

أ- أسلوب النبي في الحث في رماية السهام على حصن الطائف .

٧٠٤- من حديث أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بلغ بسهم فله درجة في الجنة) .

فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة) .

(وأيا رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزاة أوطاس حديث رقم: ٤٣٢٣ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر ، حديث رقم: ٢٤٩٨ ، والنسائي في الكبرى كما جاء في تحفة الأشراف لمعرفة الأطراف حديث رقم: ٩٠٤٦ ، وابن جرير الطبري: ٣٥١/٢ .

عظامه ، وفاء كل عظم بعظم ، وأيا امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة ، فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من عظامها وفاء كل عظم من عظام محررها من النار (واللفظ لأحمد ^(١)) .

ب - نزول بعض العبيد من الطائف وإعتاق النبي لهم :

٧٠٥- من حديث أبي عثمان النهدي قال : « سمعت سعداً ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرة ، وكان تسور حصن الطائف في أناس ، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقالا : سمعنا النبي ﷺ يقول : « من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم ، فالجنة عليه حرام » .

وقال هشام ، وأخبرنا معمر عن عاصم عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النهدي - قال : سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبي ﷺ ، قال : عاصم : قلت : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما . قال : أجل ، أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف ^(٢) .

ج - إذن الرسول عليه السلام بالقفول من الطائف :

٧٠٦- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ، فلم يئل منهم شيئاً ، قال : (إنا قافلون غداً - إن شاء الله) . فقال المسلمون : أنرجع ولم نفتحه ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ : (اغدوا على القتال غداً) ، فأصابهم جراح فقال لهم رسول الله ﷺ : (إنا قافلون غداً إن شاء الله) ،

(١) أخرجه أبو داود في العتق باب أي الرقاب أفضل حديث رقم : ٣٩٦٥ ، الترمذي فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله حديث رقم : ١٦٣٨ ، باختصار وقال حديث صحيح ، والنسائي في الجهاد باب ثواب من رمى سهم في سبيل الله : ٢٦/٦ ، ٢٨ ، ابن ماجه في الجهاد باب الرمي في سبيل الله حديث رقم : ٢٨١٢ ، وأحمد : ١١٣/٤ ، والحاكم : ٤٩/٣ - ٥٠ ، وقال صحيح عال ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح كما قالوا أخرجه بعضهم بطوله وبعضهم باختصار .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم : ٤٣٢٦ ، ٤٣٢٧ ، ابن سعد : ١٥٩/٢ ، ١٦٠ ، و : ١٥/٧ ، وقد ذكر الطبراني بسند لا بأس به عن أبي بكرة أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فكني أبا بكرة « ذكر ذلك الحافظ في الفتح : ٤٥/٨ . وقد جاء عند أحمد في المسند : ١٦٨/٤ ، ٣١٠ ، من حديث الشعبي عن رجل من ثقيف أن الرسول عليه السلام كان يطلق من يأتيه من العبيد ، وسنده رجاله ثقات فقال : « سألنا رسول الله ﷺ ، أن يرد علينا أبو بكرة وكان عبداً لنا أتى رسول الله ﷺ ، وهو محاصر ثقيف ، فأسلم فأبى أن يرده علينا ، فقال : (هو طليق الله ثم طليق رسوله) ورجاله ثقات كما ذكرت .

فأعجبهم ذلك ، فضحك النبي ﷺ ^(١) .

د - دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم باهداء ثقيف :

٧٠٧- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف ، فادع الله عليهم ، قال : (اللهم اهد ثقيفاً) ^(٢) .

١٦- قسمة الغنائم :

أ- طريقته في القسمة :

٧٠٨- من حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال : « أعطى رسول الله ﷺ قوماً ، ومنع آخرين ، فكانهم عتبوا عليه فقال : (إني أعطي أقواماً أخاف هلعهم وجزعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو ابن ثعلب) .

قال عمرو : فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم .

وفي لفظ آخر : « أن رسول الله ﷺ أتى ببال ، أو سبي - فقسمة ، فأعطى رجالاً ، وترك رجالاً . فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمد الله ، ثم أثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد ، فوالله إني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ، ولكني أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، فيهم عمرو بن ثعلب) ، فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله عليه وسلم حمر النعم » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف الحديث رقم : ١٧٧٨ ، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة الطائف حديث رقم : ١٧٧٨ ، وجاء في رواية مسلم عن عبد الله بن عمرو بدلاً من عبد الله بن عمر ، والصواب هو الثاني والله أعلم كما صوبه الدارقطني وأبو مسعود الدمشقي في الأطراف ، والحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند ابن عمر ، وأخرجه أحمد في المسند : ١١/٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب ثقيف وبني حنيفة حديث رقم : ٣٩٤٢ ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، وأحمد : ٣/٣٤٣ ، ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه البخاري في الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الشاء أما بعد حديث رقم : ٩٢٣ ، وجاء عنده أيضاً بأرقام : ٣١٤٥ ، ٧٥٣٥ ، وأحمد في المسند : ٦٩/٥ .

ب - إعطاؤه لصفوان بن أمية :

٧٠٩- من حديث ابن شهاب قال: « غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ، فتح مكة ، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ، ثم مائة . ثم مائة . »

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله ! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني ، وإنه لأبغض الناس إلي . فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي (١) .

ج - إعطاؤه لأبي سفيان بن حرب :

٧١٠- من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: « أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم ، مائة من الإبل . وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك . فقال عباس بن مرداس:

أَتَجْعَلْ نَهْبي ونَهْب العبيد بين عِيْنَة والأقْرَع
فَمَا كَانَ بَدْر ولا حَابِس يفوقان مُرداس في المَجْمَع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع
قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة (٢) .

د - الأعرابي الجلف ورفض البشري :

٧١١- من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى النبي ﷺ أعرابي ، فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له: (أبشر) . فقال: قد أكثرت علي من أبشر . فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان ، فقال: (رد البشري ،

(١) أخرجه مسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه حديث: ٢٣١٣ ، والترمذي في الزكاة باب ما جاء في إعطاء المؤلف قلوبهم حديث رقم: ٦٦٦ ، وأحمد: ٤٦٥/٦ ، وابن سعد: ٤٤٩/٥ .

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصير من قوي إيمانه حديث: ١٠٦٠ .

فأقبلا أنتما) . قالوا : قبلنا . ثم دعا بقدر فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ، ومج فيه ثم قال : اشربا منه ، وأفرغا علي وجوهكما ونحوركما وأبشرا ، فأخذا القدر فنفعلا . فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلنا لأمكما ، فأفضلا لها منه طائفة» ^(١) .

هـ - مقولة المنافق اعدل فإنك لم تعدل :

٧١٢- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : « فلما كان يوم حنين أثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشرف العرب ، وآثرهم يومئذ في القسمة . فقال رجل : والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله .

قال : فقلت : والله ! لأخبرن رسول الله ﷺ . قال : فأتيته ، فأخبرته بما قال : قال : فتغير وجهه حتى كان كالصوف . ثم قال : (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال : ثم قال : (يرحم الله موسى . قد أودى بأكثر من هذا فصبر) قال : قلت : لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً « واللفظ لمسلم ^(٢) .

و - خطبته صلى الله عليه وسلم بعد توزيع الغنائم :

٧١٣- من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « شهدت رسول الله ﷺ يوم حنين ، وجاءته وفود هوازن فقالوا : يا محمد إنا أصل ^(٣) وعشيرة ، فمن علينا من الله عليك ، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فقال : (اختاروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم) فقالوا : خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا نختار أبنائنا ، فقال : (ما كان لي ولبنى عبدالمطلب ، فهو لكم ، فإذا صليت الظهر قولوا : إنا نستشفع برسول الله على المؤمنين ، وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ في نسائنا وأبنائنا) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث : ٤٣٢٨ ، مسلم فضائل الصحابة باب من فضائل أبي موسى الأشعري وأبي عامر حديث رقم : ٢٤٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم : ٤٣٣٦ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه حديث : ١٠٦٢ ، وأحمد كما في الفتح الرباني : ١٨٠/٢١ . وقد جاء من حديث جابر بن عبدالله عند مسلم : ١٠٦٣ ، وابن ماجه : ١٧٢ ، والبيهقي في الدلائل : ١٨٥/٥ ، ومن حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم : ٣٦١٠ ، ومسلم في الزكاة حديث رقم : ١٤٨/١٠٦٤ ، البيهقي في الدلائل : ١٨٨/٥ .

(٣) أنا أصل : يريدون أن رسول الله استرضع في بني سعد ، وأن أمه من الرضاع حليلة السعدية .

قال: ففعلوا فقال رسول الله ﷺ: (أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم) ، وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقالت الأنصار مثل ذلك ، وقال عيينة بن بدر: أما ما كان لي ولبني فزارة فلا ، وقال الأقرع ابن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا .

فقال الحيان: كذبت بل هو لرسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس ردوا عليهم نساءهم وأبنائهم ، فمن تمسك بشيء من الفياء ، فله علينا ستة فرائض من أول شيء يفئته الله علينا) .

وفي رواية « فردوا على الناس أبنائهم ونساءهم ثم ركب راحلته ، وتعلق به الناس يقولون: اقسم علينا فيثنا بيتنا ، حتى الجأوه إلى سمرة ^(١) فخطفت رداءه ، فقال: (يا أيها الناس ردوا علي ردائي ، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته بينكم ثم لا تلقوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً) .

ثم دنا من بعييره ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصابعه السبابة والوسطى ، ثم رفعها ، فقال: (يا أيها الناس ليس لي من هذا الفياء ولا هذه إلا بالخمس ، والخمس مردود عليكم ، فردوا الخياط والمخييط ، فإن الغلول يكون على أهله يوم القيامة عاراً وناراً وشناراً) .

فقام رجل معه كبة من شعر فقال: إني أخذت هذه أصلح بها بردعة بغير لي دبر ، قال: (أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لك) ، فقال الرجل: يا رسول الله أما إذ بلغت ما أرى فلا أرب لي بها ونبذها ^(٢) .

١٧- مجيء وفد هوازن مسلمين وإعادة السبي لهم:

قد سبق طرف من هذا في الحديث الذي سبق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقد جاء أيضاً بشيء من الزيادة والتفصيل وأكثر صحة من الحديث

(١) سمرة: ضرب من شجر الطلح له شوك .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١٨٤/٢ ، ابن هشام في السيرة: ٤٨٨/٢ ، ٤٩٠ ، والبيهقي في الدلائل: ١٩٤/٥ - ١٩٦ ، أبو داود: ٢٦٩٤ ، ابن الجارود: ١٠٨٠ ، والنسائي: ١٧٨/٢ وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٨٧ - ١٨٨ : رواه أبو داود باختصار كثير ، ورواه أحمد ، ورجال أحمد أسانيدهم ثقات ، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح: ٣٤/٨ ، وهو كما قال الحافظ ، وقد جاء أيضاً من حديث عبادة بن الصامت عند الحاكم: ٤٩/٣ ، مقطع الخطبة فقط ، ومن حديث عمرو بن عبسة عند البيهقي: ٣٣٩/٦ ومن حديث جبير بن مطعم عند البخاري برقم: ٢٨٢١ ، ٣١٤٨ .

الذي ذكرت:

٧١٤- من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: « أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسأله أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ: (معي من ترون ، وأحب الحديث إلي أصدقاه ، فاختراروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال . وقد كنت استأنيت بكم) وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين . قالوا: فإننا نختار سينا .

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين ، فأنشأ على الله بما هو أهله ثم قال: (أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين ، وإنني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل) . فقال الناس: قد طبنا بذلك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ: (إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن . فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم) ، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا . هذا الذي بلغني عن سبي هوازن ^(١) .

١٨- مقولة الأنصار في تقسيم الغنائم وخطاب النبي لهم:

لقد جاءت هذه المقولة من حديث عبدالله بن زيد ، وأنس بن مالك ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهم ، ورواياتهم بعضها فيها طول وبعضها فيها اختصار ، وسنوردها جميعاً لأن كل حديث من هذه الأحاديث فيه ما ليس في الآخر:

٧١٥- من حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيئاً قسم الغنائم ، فأعطى المؤلفه قلوبهم ، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله ﷺ ، فخطبهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: (يا معشر الأنصار ! ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وعالة ^(٢) فأنقاكم

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قوله تعالى: ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ حديث رقم: ٤٣١٨ ، ٤٣١٩ ، أحمد في المسند: ٣٢٦/٤ ، ٣٢٧ ، أبو داود: ٢٦٩٣ ، البيهقي: ٦٤/٩ .

(٢) عالة: أي فقراء .

الله بي ؟ ومتفرقين ^(١) فجمعكم الله بي) ويقولون: الله ورسوله أمنٌ . فقال: (ألا تحبونني ؟) فقالوا: الله ورسوله أمن . فقال: (أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا) ، وكان من الأمر كذا وكذا « لأشياء عددها . زعم عمرو أن لا يحفظها .

فقال: (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء ^(٢) والإبل ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ الأنصار شعار والناس دثار ^(٣) ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم . إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) ^(٤) اللفظ لمسلم .

٧١٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن أناساً من الأنصار قالوا يوم حنين ، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ^(٥) ، فطلق رسول الله ﷺ يعطي رجلاً من قريش . المائة من الإبل ، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ، يعطي قريشاً ، ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ! » ^(٦) .

قال أنس بن مالك: فحدث ذلك رسول الله ﷺ ، من قولهم . فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من آدم ^(٧) . فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: (ما حديث بلغني عنكم) فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا ، يا رسول الله! فلم يقولوا شيئاً . وأما أناس منا حديثه أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسوله ، يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم !

(١) متفرقين: متدابرين يعادي بعضكم بعضاً .

(٢) الشاء: جمع شاه وهي الغنم .

(٣) الأنصار شعار والناس دثار: قال أهل اللغة: الشعار الثوب الذي يلي الجسد ، والدثار فوقه ومعناه الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء والصق الناس بي من سائر الناس .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣٠ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفه قلوبهم حديث رقم: ١٠٦١ ، وأحمد: ٤٢/٤ .

(٥) ما أفاء: ما غنم من هوازن بعد هزيمتهم .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣١ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام حديث رقم: ١٣٢/١٠٥٩ ، أحمد: ١٦٩/٣ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ .

(٧) قبة من آدم: القبة من الخيام: بيت صغير مستدير وال آدم الجلد .

فقال رسول الله ﷺ: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم ^(١) . أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم ^(٢) برسول الله ﷺ ؟ فوالله ! لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) فقالوا: بلى يا رسول الله ! قد رضينا . قال: (فإنكم ستجدون أثراً شديداً ^(٣)) ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله . فإني على الخوض) . قالوا: سنصبر .

قال أنس: فلم نصبر « وفي لفظ آخر له: » قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار ، فقال: (أفياكم أحد من غيركم ؟ فقالوا: لا . إلا ابن أخت لنا ، فقال رسول الله ﷺ: إن ابن أخت القوم منهم) .

فقال: (إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ^(٤) ومصيبة . وإني أردت أن أجبرهم ^(٥) وأتالفهم . أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا ، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم . لو سلك الناس وادياً ، وسلك الأنصار شعباً ^(٦) ، لسلك شعب الأنصار ^(٧)) .

٧١٦- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ^(٨) حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال: يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا

(١) أتالفهم: استميل قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام رغبة في المال .

(٢) رحالكم: منازلكم .

(٣) أثرة شديدة: الأثرة: الاستتار: أي يستأثر عليكم ويفضل عليكم غيركم بغير حق .

(٤) حديث عهد بجاهلية: كانوا قريب عهد بجاهلية . أي أن زمانهم قريب من زمان الكفر .

(٥) أجبرهم: أي أفعال معهم ما ينجر به خاطرهم وينسيهم مصيبتهم .

(٦) وسلك الأنصار شعباً: قال الخليل: الشعب هو ما انفرج عن بين جبلين .

(٧) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣٤ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلف قلوبهم حديث رقم: ١٣٣/١٠٥٩ ، وأحمد في فضائل الصحابة: ١٤٣١ ، وفي المسند: ١٦٥/٣ .

(٨) القالة: الكلام الرديء .

الحي من الأنصار منها شيء . قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد ؟) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)^(١).

قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فرده. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فاتاهم رسول ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (يا معشر الأنصار: ما قاله بلغتني عنكم، وجدة^(٢) وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة^(٣) فأغناكم الله، وأعداء فآلف الله بين قلوبكم !) قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل .

ثم قال: (ألا تحيوني يا معشر الأنصار ؟) قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل . قال ﷺ: (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ، ولصدقتم: آيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً^(٤) فنصرناك ، وطريداً فأويناك . وعائلاً فأسيناك^(٥) ؟

وجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٦) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلكت الأنصار شعباً: لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار)^(٧).

(١) الحظيرة: شبه الزرية التي تصنع للإبل والماشية لتمنعها ، وتكف عنها العوادي .

(٢) الموجدة: العتاب .

(٣) عالة: جمع عائل: الفقير .

(٤) مخذولاً: متروكاً .

(٥) آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٦) لعاعة: بقله خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٧) أخرجه أحمد: ٧٦/٣ - ٧٧ - ٨٩ ، ابن جرير: ٣٦٠/٢ ، ٣٦١ وعبدالرزاق في المصنف: ٦٤/١٧ ،

وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد: ٣٠/١٠ ، وأسانيدهم صحيحة ، ابن كثير في سيرته: ٦٧٨/٣ ،

٦٧٩ ، ابن هشام في السيرة: ٤٩٨/٢ - ٤٩٩ ، وسنده صحيح .

فوائد هذه القصة وعبرها :

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح فوائد نفيسة استخلصها من هذه الحادثة وما قال الرسول ﷺ للأنصار ، وما قالوا له ، أذكروا لعظيم نفعها ، وجزالة معانيها ، ولما احتوته في طياتها من الخير العظيم ، قال رحمه الله : وبعد شرحه حديث عبدالله بن زيد وبيانه للكثير من معانيه .

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم : إقامة الحجة على الخصم ، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه ، وحسن أدب الأنصار في تركهم المحاوره ، والمبالغة في الحياء ، وبين أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم .

وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم ، وأن الكبير ينه الصغير على ما يغفل عنه ، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق ، وفيه المعاتبه واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه ، والاعتذار والاعتراف .

وفيه علم من أعلام النبوة لقوله : « ستلقون بعدي أثرة » فكان كما قال . وقد قال الزهري في روايته عن أنس في آخر الحديث « قال أنس فلم يصبروا » وفيه أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض في مصارف الفياء ، وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة ، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك .

وفيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصاً أم عاماً ، وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة ، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنه لله ورسوله على الإطلاق ، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا ، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة ، والآخرة خير وأبقى ^(١) .

(١) فتح الباري : ٥٢ / ٨ .

١٩- عمرة النبي عليه السلام من الجعرانة :

وقد ذكر هذه العمرة أصحاب المغازي والسير مثل عروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة وابن إسحاق ، وابن هشام ، وابن حبان ، والواقدي ، وقد أنكره ابن عمر رضي الله عنه ، ونقل ذلك عنه مولاه نافع ، أخرج البخاري من طريق أيوب عن نافع قال : لم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ، ولو اعتمر لم يخف على عبدالله .

وأخرج مسلم من هذا الوجه عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر رضي الله عنهما عمرة رسول الله من الجعرانة ، فقال : لم يعتمر منها ، وهذا الذي نفاه قد أثبتته غيرهما والمثبت مقدم على النافي .

قال النووي : هذا محمول على نفي علمه ، أي أنه لم يعلم بذلك ، وقد ثبت أن النبي ﷺ اعتمر من الجعرانة ، والإثبات مقدم على النفي لما فيه من زيادة العلم ، وقد ذكر مسلم في كتاب الحج اعتمار النبي ﷺ من الجعرانة عام حنين من رواية أنس رضي الله عنه .

وحديث أنس أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي ، وقد ورد من حديث ابن عباس ، أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الترمذي ، ومن حديث جابر رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيمشي ، ومن حديث محرش الكعبي رواه أحمد والحميدي وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال الحافظ ابن كثير : قد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن ، والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلهم .

ووجه الخفاء في القضية ما جاء في حديث محرش الكعبي « أن رسول الله خرج ليلاً معتمراً ، فدخل مكة ليلاً ، ففضى عمرته ثم خرج من ليلته ، فأصبح بالجعرانة كبائت » إلى آخر الحديث ، وفيه : « ومن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس » .

٧١٧- من حديث أنس رضي الله عنه قال : « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين

في ذي القعدة ، وعمرة مع حجته » ^(١) .

٧١٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر ، عمرة الحديبية والثانية حين تواطوا على عمرة من قابل ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي قرن مع حجته » ^(٢) .

٧١٩- من حديث يعلى بن منبه رضي الله عنه قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ ، وهو بالجعرانة وعليه جبة ، وعليها خلوق ، أو قال: أثر صفرة ، فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي ؟ قال: وأنزل على النبي ﷺ الوحي ، فستر بثوب ، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺ ، وقد أنزل الوحي عليه ، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه ، فنظرت إليه ، فإذا له غطيط » قال « وأحسبه كغطيط البكر ، فلما سري عنه قال: (أين السائل عن العمرة ؟ اغسل عنك الصفرة ، أو قال أثر الخلوق ، واخلع عنك جبتك ، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك) .

قال: وأتى النبي ﷺ رجل قد عض رجلاً ، فانتزع يده ، فسقطت ثنيتا الذي عضه ، قال: فأبطلها النبي ﷺ ، وقال: (أردت أن تقضمه كما يقضم الفحل) ^(٣) .

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٤٨٣ ، أول غزوة الحديبية .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢٢١١ ، والترمذي: ٨١٦ ، في الحج باب ما جاء كم اعتمر النبي ﷺ ، وابن ماجه: ٣٠٠٣ ، في المناسك باب كم اعتمر النبي ﷺ ، وأبو داود: ١٩٩٣ ، في الحج باب العمرة ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب نزل القرآن بلسان قريش ، حديث رقم: ٤٩٨٥ ، مسلم في الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة ، وما لا يباح وييان تحريم الطيب عليه حديث رقم: ١١٨٠ .

المبحث الثالث: ابن اللتبية الأزدي وجمع الصدقات

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة ، ودخلت سنة تسع للهجرة بعث رسول الله ﷺ المصدقين ليأخذوا الصدقات من الأعراب ، وكان من بينهم ابن اللتبية الأزدي ، وله قصة في جمع الصدقة أسوقها هنا لطرافتها:

٧٢٠- من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: « استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزدي يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم ، قال: هذا لكم ، وهذا أهدي لي » ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال: (ما بال عامل أبعته فيقول: هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ، والذي نفس محمد بيده ، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بغيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر) ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ، ثم قال: (اللهم هل بلغت مرتين)^(١) .

المبحث الرابع: إسلام عدي بن حاتم الطائي

٧٢١- من حديث أبي عبيدة بن حذيفة بن عدي بن حاتم رضي الله عنه: قال أبو عبيدة: كنت أحدث عن عدي بن حاتم فقلت هذا عدي في ناحية الكوفة ، فلو أتيت ، فكنت أنا الذي أسمع منه ، فأتيته فقلت: إني كنت أحدث عنك حديثاً ، فأردت أن أكون أنا الذي أسمع منك . قال: لما بعث الله عز وجل النبي ﷺ فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم .

قال: فكرهت مكاني الذي أنا فيه حتى كنت له أشد كراهية له مني من حيث جئت ، قال: قلت: لأتينا هذا الرجل فوالله إن كان صادقاً فلاسمعن منه ، وإن كان كاذباً ما هو بضائري .

قال: فأتيته واستشرفني الناس وقالوا: عدي بن حاتم ، عدي بن حاتم ،

(١) أخرجه البخاري: في الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الشاء: أما بعد رقم: ٩٢٥ ، وانظر أرقام: ١٥٠٠ ، ٢٥٩٧ ، ٦٦٣٦ ، ٦٩٧٩ ، ٧١٧٤ ، ٧١٩٧ ، ومسلم في الإمارة ، باب محاسبة الإمام عماله رقم: ١٨٣٢ ، وأبو داود في الخراج والإمارة باب في هدايا العمال رقم: ٢٩٤٦ ، والبيهقي في السنن: ١٦ / ٧ ، ١٣٨ / ١٠ ، والحميدي في مسنده رقم: ٨٤٠ ، وأحمد في المسند: ٤٢٣ / ٥ ، ٤٣٢٤ .

قال: أظنه قال ثلاث مرار ، قال: فقال لي: (يا عدي بن حاتم أسلم تسلم) ، قال: قلت: إني من أهل دين . قال: (يا عدي بن حاتم أسلم تسلم) . قال: قلت: إني من أهل دين ، قالها ثلاثاً . قال: (أنا أعلم بدينك منك) . قال: قلت: أنت أعلم بديني مني ؟ قال: (نعم) قال: (أليس ترأس قومك ؟) قال: قلت: بلى . قال: فذكر محمد الركوسية قال كلمة التمسها يقيمها فتركها قال: (فإنه لا يحل في دينك المرباع) .

قال: فلما قالها ، تواضعت لها . قال: (وإني قد أرى أن مما يمنحك خصاصة تراها ممن حولي ، وأن الناس علينا إلباً واحداً هل تعرف مكان الحيرة ؟) قال: قلت: قد سمعت بها ولم آتها . قال: (لتوشكن الظعينة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة ، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز تفتح) ، قال: قلت: كسرى بن هرمز ؟ ، قال: (كسرى بن هرمز ثلاث مرات) ، (وليوشكن أن يبتغي من يقبل ماله منه صدقة فلا يجد) ، قال: فلقد رأيت اثنتين ، قد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالكعبة وكنت في الخيل التي أغارت على المدائن ، وأيم الله لتكونن الثالثة انه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه^(١) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٧٧/٤ - ٣٧٨ ، وإسناده حسن ، الحاكم: ٥١٨/٤ - ٥١٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٤٣/٥ ، وابن حبان كما في الإحسان: ٢٣٧/٨ ، رقم: ٦٦٤٤ ، وأورده ابن الأثير في أسد الغابة: ٨/٤ ، وجاء من طريق آخر من حديث سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي ، وأخرجه أحمد: ٣٧٨/٤ ، ابن هشام في السيرة: ٥٧٨/٢ - ٥٨١ ، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش ، وهو ثقة: ٢٠٨/٦ ، وقد جاء جزء من هذا الحديث السابق من حديث عدي بن حاتم ، وهو المتعلق ببشريات الرسول عليه السلام لعدي عن الحيرة وكنوز كسرى وفيض المال وقد أخرجه البخاري في الصحيح في المناقب باب علامات النبوة حديث رقم: ٣٥٩٥ ، وأحمد: ٢٥٧/٤ - ٣٧٩ .

الفصل العاشر

غزوة تبوك أو غزوة العسرة

١- ما تبوك :

تبوك اسم مشهور في القديم والحديث وقد وصفها ياقوت في معجم البلدان فقال: تبوك بالفتح ثم بالضم وواو ساكنة ، وكان موضعاً بين وادي القرى والشام ، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة .

وقال أبو زيد: « تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر ، نحو نصف طريق الشام ، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ ، وقال ياقوت: وتبوك تقع بين جبل حسمي وجبل شروري ، حسمي غربيها وشروري شرقيها ، وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة » .

٢- وقتها :

قال الحافظ في الفتح: « كانت غزوة تبوك في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف ، وعند ابن عائد من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر ، وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة » ^(١) .

وقد قال ابن إسحاق: « إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد ^(٢) له إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبة ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم » ^(٣) .

(١) فتح الباري: ١١١/٨ ، سيرة ابن كثير: ٤/٤ ، ابن هشام: ٥١٦/٢ ، زاد المعاد: ٥٢٦/٣ ، ابن سعد: ١٦٥/٢ ، ١٦٨ .

(٢) يصمد: يقصد .

(٣) سيرة ابن هشام: ٥١٦/٢ .

٣- لم سميت غزوة العسرة :

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ : « أي وقت العسرة والمراد جميع أوقات تلك الغزوة ، ولم يرد ساعة بعينها ، وقيل : ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة . والعسرة صعوبة الأمر .

قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء . قال الحسن: كانت العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم ، وكان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والإهالة المنتنة ، وكان نفر يخرجون ما معهم - إلا التمرات بينهم ، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمر فلاكها حتى جيد طعمها ، ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي على آخرهم ، فلا يبقى من التمرة إلا النواة . فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم . وقال عمر رضي الله عنه وقد سئل عن ساعة العسرة: خرجنا في قبط شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع من العطش ، وحتى إن الرجل لينحر بعيه ، فيعصر فرثه ، فيشربه ، ويجعل ما بقي على كبده . فقال أبو بكر: يا رسول الله ، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع لنا . قال: (أحب ذلك) ، قال: نعم ، فرفع يديه ، فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملأوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر .

وروى أبو هريرة وأبو سعيد قالوا: كنا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فأصاب الناس مجاعة وقالوا: يا رسول الله ، لو أذنت لنا ، فنحن نواضحنا، فاكلنا وادهنا. فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا) ، فجاء عمر وقال: يا رسول الله إن فعلوا قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، فادع الله عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة . قال: (نعم) ، ثم دعا بنطع فبسط ، ثم دعا بفضل الأزواد، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع النطع من ذلك شيء يسير .

قال أبو هريرة: فحزرتة فإذا هو قدر ربضة العنز، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: (خذوا في أوعيتكم) ، فآخذوا في أوعيتهم حتى والذي لا إله

إلا هو - ما بقي في العسكر وعاء إلا ملأوه ، وأكل القوم حتى شبعوا ، وفضلت
فضلة فقال النبي ﷺ : (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله لا يلقي الله
بهما عبد غير شاكٍ فيهما فيحجب عن الجنة) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه
ومعناه والحمد لله .

قال ابن عرفة : سمي جيش تبوك جيش العسرة لأن رسول الله ﷺ ندب
الناس إلى الغزو في حمارة القيظ ، فغلظ عليهم وعسر ، وكان إبان إبتياح
الثمرة ، قال : وإنما ضرب المثل بجيش العسرة لأن رسول الله ﷺ لم يغز قبله في
عدد مثله . لأن أصحابه يوم بدر كانوا ثلثمائة وبضعة عشر ، ويوم أحد سبعمائة ،
ويوم خيبر ألفاً وخمسمائة ، ويوم الفتح عشرة آلاف ، ويوم حنين اثني عشر ألفاً ،
وكان جيشه في غزوة تبوك ثلاثين ألفاً وزيادة ، وهي آخر مغازيه ﷺ .

وخرج رسول الله ﷺ في رجب ، وأقام بتبوك شعبان وأياماً من رمضان ،
وبث سراياه وصالح أقواماً على الجزية ، وفي هذه الغزاة خلف علياً على المدينة
فقال المنافقون : خلفه بغضاً له ، فخرج خلف النبي ﷺ وأخبره فقال عليه السلام
(أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) وبين أن قعوده بأمر النبي
ﷺ يوازى في الأجر خروجه معه ، لأن المدار على أمر الشارع .

وإنما قيل لها : غزوة تبوك لأن النبي ﷺ رأى قوماً من أصحابه ييكونون حسي
تبوك ، أي يدخلون فيه القدح ويحركونه ليخرج الماء ، فقال : (ما زلت تبكونها
بوكاً) فسميت تلك الغزوة غزوة تبوك « الحسي (بالكسر) ماتشفه الأرض من
الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته ، فتحفر عنه الرمل ، فتستخرجه وهو الإحشاء
قاله الجوهري » ^(١) .

٤- الإخبار عن وجهة الجيش :

كان من نهجه عليه الصلاة والسلام أنه إذا أراد أن يغزو منطقة أو قوماً ورى
عن المنطقة ، أو عن القوم بأنه يريد آخرين ، مثل أنه إذا كان يريد غزوة في
الشمال سأل عن منطقة في الجنوب من أجل أن يخفي حركته وحركة الجيش الذي
معه ، ومن أجل أن لا يفوت على جيش المسلمين عنصر المفاجأة الذي يكون في
كثير من الأحيان عنصراً أساسياً من عناصر هزيمة القوم الذين يراد غزوهم ، إلا أنه

(١) القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٨/٨ .

في هذه الغزوة أعلن عن وجهته التي يريد ، لأن العدو كثير ، والمسافة بعيدة ، والحر شديد ، فلا بد من الاستعداد والتزود .

٧٢٢- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا وري^(١) بغيرها ، حتى كانت غزوة تبوك ، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، استقبل سفيراً بعيداً ومفازاً^(٢) استقبل غزو عدد كثير ، فجلا^(٣) للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة^(٤) عدوهم ، أخبرهم بوجهه الذي يريد^(٥) .

٥- دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للتبرع لإعداد الجيش :

حث الرسول عليه الصلاة والسلام أغنياء الصحابة على التصديق ، وهو ما يسمى بلغة العصر التبرع - لتجهيز الجيش الإسلامي الضخم الذي احتشد للخروج مع النبي ﷺ وإكمال تموينه ، لأن بيت مال المسلمين بالمدينة ليس فيه ما يكفي لتموين وتجهيز هذا الجيش الكبير .

وما كاد الأغنياء وميسوري الحال من الصحابة يتبلغون نداء الرسول ﷺ الحاث على التصديق والتبرع لإكمال تجهيز الجيش الغازي هذا حتى تسابقوا إلى ميدان التبرع والتصدق طمعاً فيما عند الله تعالى من ثواب ، وكان التبرع من هؤلاء الكرام على أعلى مستويات السخاء فتم للرسول ﷺ جمع أموال عظيمة من المتصدقين في وقت قليل جداً ، تمكن بهذه الأموال من تموين الجيش وإكمال تجهيزه حيث وفر للجيش وسائل النقل ، والأسلحة ، والأكل لأفراد الذين لا يقدرّون على أن يوفرّوها لأنفسهم من مالهم الخاص .

وكان من أعظم هؤلاء جميعاً سخاء عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد ضرب الرقم القياسي في البذل والسخاء حين جاء بالمال الكثير لتجهيز المقاتلين

(١) وري: أوهم بغيرها .

(٢) المفاز: الفلاة التي لا ماء فيها .

(٣) جلا: أوضح لهم أمرهم .

(٤) الأهبة: أخذ ما يحتاجون إليه في سفرهم .

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب من أراد غزوة فوري بغيرها رقم: ٢٩٤٨ ، مسلم في التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه: ٢٧٦٩ ، وسيأتي مزيد في تخريجه عند ذكر قصة توبة كعب بن مالك وصاحبه ، فانظره هناك .

وتموينهم جعلت رسول الله ﷺ يُسرَّ جداً به ويرضى عنه ويدعوله ، فقد جاء :

٧٢٣- من حديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : « جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ : بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال : فصبها في حجر النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول : (ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً) ^(١) .

٧٢٤- وأما علة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى ، وقال : اللهم أنك قد أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسول الله ﷺ ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه ، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عرض .

ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : (أين المتصدق هذه الليلة ؟) فلم يبق أحد ، ثم قال : (أين المتصدق فليقم) فقام إليه فأخبره فقال رسول الله ﷺ : (أبشر فالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المقبلة) ^(٢) .

٦- لمز المنافقين للمتصدقين :

٧٢٥- من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : « لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رثاء فنزلت ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ ﴾ الآية ^(٣) .

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان بن عفان حديث رقم : ٣٧٠١ ، وقال : حسن غريب من هذا الوجه ، وأخرجه أحمد في المسند : ٦٣/٥ ، وإسناده حسن ، والحاكم : ١٠٢/٣ ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية : ٥٩/١ ، وله شواهد ذكرها الحافظ ابن كثير في السيرة : ٧/٤ ، من حديث عبدالرحمن بن خباب السلمي الذي أخرجه الترمذي : ٣٧٠١ ، وأحمد : ٢٧٥/٤ ، وفيه فرقة أبو طلحة لا يعرف ، وباقي رجاله ثقات . ومن حديث الأحنف بن قيس الذي أخرجه الطيالسي والنسائي : ٢٣٤/٦ .

وقال الحافظ في الإصابة : ٤٥٥/٢ ، وجاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان أنه لما حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيز جيش العسرة . ونقل الحافظ أيضاً في الفتح : ١١١/٨ ، شاهداً عن عمران بن حصين ، وعزاه إلى الطبراني . قلت : وفيه ضعف كما قال الهيثمي في المجمع : ١٩١/٦ : رواه الطبراني ، وفيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف .

(٢) حديث صحيح ورداً مستنداً وموصولاً كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : ٤٩٣/٢ ، من حديث مجمع بن جارية أو من حديث عمرو بن عوف وأبي عبيد بن جبر ، ومن حديث علة بن زيد نفسه .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ، باب سورة التوبة ، باب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في

٧- قصة أصحاب أبي موسى الأشعري :

٧٢٦- من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذا هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك ، فقلت: يا نبي الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال: (والله لا أحملكم على شيء) ، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ ، فلم ألبث إلا سوية إذ سمعت بلالاً ينادي: أي عبدالله بن قيس ، فأجبتة فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك .

فلما أتيتة قال: (خذ هذين القرنين لستة أبرة ابتاعهن حيثنذ من سعد - فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله - أو قال - إن رسول الله ﷺ - يحملكم على هؤلاء ، فاركبوهن) . فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء ، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أنني حدثكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ .

فقالوا لي: إنك عندنا لمصدق ، ولنفععلن ما أحببت ، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد ، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى ^(١) .

٨- متى خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة:

٧٢٧- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس ^(٢) .

الصدقات، حديث رقم: ٤٦٦٨ ، مسلم في الزكاة باب الحمل باجرة يتصدق بها ، والنهي الشديد عن تقيص المتصدق بقليل ، حديث رقم: ١٠١٨ ، ابن جرير في التفسير: ١٩٦/١٠ ، ابن حبان في الموارد حديث رقم: ١٤٣٣ .

(١) أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، حديث رقم: ٤٤١٥ ، مسلم في الإيمان ، باب نذب من حلف بيناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير حديث رقم: ١٦٤٩ ، البيهقي في دلائل النبوة: ٢١٦/٥ - ٢١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب من أراد غزوة فوري بغيرها ، ومن أحب الخروج يوم الخميس حديث رقم: ٢٩٥٠ ، والنسائي في الكبرى في السير كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١١١٤٣ .

٩- تشيع علي للنبي صلى الله عليه وسلم:

٧٢٨- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أن علياً رضي الله عنه خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع ، وعلي رضي الله عنه يبكي يقول: تخلفني مع الخوالم فقال: (أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة) ^(١) .

١٠- تخلف علي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم:

٧٢٩- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال: يا رسول الله ﷺ ، أتخلفني في النساء والصبيان ، فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي) ^(٢) .

١١- دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالبركة في ظهورهم:

٧٣٠- من حديث شريح بن عبيد « أن فضالة بن عبيد الأنصاري كان يقول: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك، فجهد بالظهر جهداً شديداً ^(٣) فشكوا إلى النبي ﷺ ما بظهرهم من الجهد ، فتحين بهم مضيقاً ^(٤) ، فسار النبي ﷺ فيه فقال: (مروا باسم الله) ، فمر الناس عليه بظهرهم ، فجعل ينفخ بظهرهم ^(٥) : (اللهم

(١) أخرجه أحمد: ١٧٠/١ ، وإسناده صحيح على شرط البخاري ، وقد تفرد أحمد في روايته تشيع علي للنبي ﷺ إلى ثنية الوداع .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة تبوك ، وهي غزوة العسرة ، حديث رقم: ٤٤١٦ ، وفي فضائل الصحابة ، باب مناقب علي ، فتح: ٢٢/٥ ، مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب ، حديث رقم: ٢٤٠٤ ، أحمد في المسند: ١٨٢/١ ، ابن أبي شعبة في المصنف رقم: ١٨٨٥٤ ، البيهقي في الدلائل: ٢٢٠/٥ من طرق عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص ، وأخرجه أحمد: ١٧٥/١ ، والبخاري في فضائل الصحابة: ٣٧٠٦ ، باب مناقب علي ، ومسلم: ٢٤٠٤ ، ما بعده بدون رقم ، وابن ماجه في المقدمة: ١١٥ باب فضل علي من طرق عن شعبة عن سعد بن إبراهيم قال سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ، وأخرجه أحمد : ١٧٠/١ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، الترمذي في المناقب: ٣٧٢٦ باب أنا دار الحكمة وعلي بابها من طرق عن سعد بن أبي وقاص .

(٣) جهد بالظهر جهداً شديداً: أي بلغت المشقة والتعب بالإبل أقصاها ، والمراد بالظهر هنا الإبل ، ولم يكن المشقة والتعب قاصراً على الظهر بل تناول رجال الجيش .

(٤) تحين بهم مضيقاً: أي قصد أن يسير بهم في مكان ضيق .

(٥) ينفخ بظهرهم: ينفخ على الإبل ، ويدعو بما جاء في الحديث .

احملهم عليها في سبيلك ، إنك تحمل على القوي والضعيف ^(١) ، وعلى الرطب واليابس في البر والبحر .

قال : فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمته ^(٢) قال فضالة : هذه دعوة النبي ﷺ على القوي والضعيف فما بال الرطب واليابس ، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرس في البحر ، فلما رأيت السفن وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي ﷺ ^(٣) .

١٢- نهيه صلى الله عليه وسلم عن شرب ماء ثمود :

٧٣١- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود ، الحجر ، واستقوا من بئرها ، واعتجنوا به ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها ، وأن يعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة » ^(٤) .

٧٣٢- ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً قال : « مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر ، فقال لنا رسول الله ﷺ : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم) ، ثم زجر ^(٥) فأسرع حتى خلفها » ^(٦) .

(١) على القوي والضعيف : معناه أن الدواب فيها القوي والضعيف ، والكل يحمل بقدرتك .

(٢) تنازعنا أزمته : جمع زمام وهو الخيط الذي يشد به أنف البعير ، ثم يشد إليه المقود والمعنى أن الإبل قوية حتى كانت تسرع في المسير ، فكنا نمنعها من السرعة الشديدة .

(٣) أخرجه أحمد في المسند : ٢٠/٦ ، وسنده جيد ليس فيه علة ، وأورده الهيثمي في المجمع : ١٩٣/٦ وقال : رواه الطبراني والبخاري ، وفيه يحيى بن عبدالله البجلي ، وهو ضعيف . قلت : وسند الإمام أحمد ليس فيه يحيى بن عبدالله البجلي ، والعجيب أن الحافظ الهيثمي لم يعزه للإمام أحمد مع أن رواية الإمام أحمد أجود سنداً ، وأكثر معنى ومتناً ، والظاهر أنه نسي ذلك . والله أعلم .

(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى : وإلى ثمود أخاهم صالحاً حديث رقم : ٣٣٧٩ ، ومسلم في صحيحه في الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، حديث رقم : ٤٠/٢٩٨٠ ، ص : ٢٢٨٦/٤ .

(٥) زجر : أي زجر ناقته ومعناه ساقها سوقاً شديداً حتى خلفها أي جاوز المساكن .

(٦) أخرجه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ ، حديث رقم : ٣٣٨١ ، ومسلم في الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، حديث رقم : ٢٩٨٠ / ٣٩ ، وأحمد في المسند : ٩/٢ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١٣٧ ، والبيهقي في الدلائل : ٢٣٤/٥ .

خطبته عليه الصلاة والسلام في الحجر من ديار ثمود:

٧٣٣- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: (لا تسألوا الآيات ، فقد سألتها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفج ^(١) ، وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ، ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله .)

قيل: من هو يا رسول الله ؟ قال: (هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه) ^(٢) .

١٣- دعاء النبي ﷺ بإمطار السماء وامتلأ أوعية الصحابة:

٧٣٤- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلمس الرجل ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع ، حتى أن كان الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقي على كبده .

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله ! إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: (أحب ذلك ؟) قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملاوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر ، فلم نجد لها جاوزت العسكر » ^(٣) .

(١) من هذا الفج: من هذا الوجه .

(٢) أخرجه أحمد في المستد: ٢٩٦/٤ ، وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح ، ولم يخرجوه ، وصححه الحاكم: ٣٤٠/٢ - ٣٤١ ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٩٤/٦ : رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحمد ورجال أحمد رجال الصحيح . قلت: وانظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨٤٤ ، وقد اقتصر الحافظ في الفتح على تحسينه فتح الباري: ٣٨١-٣٨٠/٦ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ١٩٤/٦ - ١٩٥ ، رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات ، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨٤١ ، وابن حبان موارد الظمان حديث رقم: ١٧٠٧ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢٣١/٥ ، وقال ابن كثير في السيرة: ١٦/٤ : إسناده جيد ، ولم يخرجوه من هذا الوجه ، قلت: الحديث حسن والله أعلم .

مقالة المنافق عند نزول المطر:

٧٣٥- قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل : « قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ، ومن عمه وفي عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله حين سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك هل بعد هذا شيء ! قال : سحابة مارة^(١) .

١٤- ضياع ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ومقالة المنافق ابن اللصيت :

قال ابن إسحاق : « ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم وكان عقيباً بديراً ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي ، وكان منافقاً .

٧٣٦- قال ابن إسحاق ، فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : « فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ ، فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : (إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونني بها) ، فذهبوا فجاءوا بها .

فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجبٌ من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذي قال زيد بن اللصيت ، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ : زيدٌ

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام : ٢٥٢٢/٢ ، وإسناده رجال ثقات ، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بني عبد الأشهل ، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة ، دلائل النبوة للبيهقي : ٢٣٢/٥ .

والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي ، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ^(١) ويقول: إليَّ عباد الله، إن في رحلي لداهية ، وما أشعر ، اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبنِي « ^(٢) .

١٥- دعاؤه عليه السلام بزيادة الطعام:

٧٣٧- من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري شك الأعمش قال: « لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا: يا رسول الله ! لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا ^(٣) فأكلنا وادهننا ، فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا) ، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ! إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله عز وجل أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله ﷺ: (نعم) .

فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمعوا على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم: (خذوا في أوعيتكم) ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضالة ، فقال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فحجب عن الجنة) ^(٤) .

١٦- إخباره عليه السلام بالإعصار وتحذيره الصحابة من القيام:

٧٣٨- من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول

(١) يجأ في عنقه: يطمته في عنقه .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام: ٥٢٣/٢ ، والطبري في تاريخه: ١٤٥/٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٢٣٢/٥ ، من طريق ابن إسحاق به ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وإسناده رجاله ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بني عبد الأشهل ، ومحمود بن لييد من صغار الصحابة فيكون الحديث صحيحاً .

(٣) نواضحنا: الأبل التي تتركب ويجلب عليها الماء .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث رقم: ٢٧ ، وقد ذكر عنده أيضاً دون شك في الصحابي الذي روى الحديث ، وإنما قال عنه أنه أبو هريرة ، ابن مندة في كتاب الإيمان حديث رقم: ٣٦ ، وقال: حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج ، وأحمد في المسند: ٤٢١/٢ ، ١١/٣ ، وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ١٩٦/٢١-١٩٧ ، رقم: ٤٢٦ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٢٢٩/٥ .

الله ﷺ في غزوة تبوك ، فاتينا وادي القرى ، على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ : (احرصوها) ^(١) ، فحرصناها ، وحرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق ^(٢) ، وقال للمرأة : (أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله عز وجل) ، فانطلقنا حتى قدمنا تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : (ستهب عليكم الليلة ريح شديدة ، فلا يقيم فيها أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله) .

فهب ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء ، وجاء رسول الله ابن العلماء صاحب إيليا ^(٣) .

١٧- قصة عين تبوك وازدياد الماء فيها:

٧٣٩- من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أبو الطفيل عامر بن واثلة « إن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك ، فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، قال: فأخر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ، ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال: (إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي) .

قال: فجبنا وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألها رسول الله ﷺ : (هل مستما من مائها شيئاً ؟) قالوا: نعم ، فسبهما ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً ، حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ : (يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناتاً) ^(٤) .

(١) احرصوها: الحرس: الحزر تقدير ما على النخل من الرطب ثمرأ .

(٢) الوسق: ٦٠ صاعاً .

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل باب في معجزاته ﷺ حديث رقم: ١٣٩٢ ، البخاري في الزكاة ، باب حرص التمر حديث رقم: ١٤٨١ ، وانظر أرقام: ١٨٧٢ ، ٣١٦١ ، ٣٧٩١ ، ٤٤٢٢ ، أحمد في المسند: ٤٢٤/٥ ، وابن أبي شيبة: ١٨٨٥٢ وأبو داود في الخراج والإمارة ، باب في إحياء الموات حديث رقم: ٣٠٧٩ ، والبيهقي: ١٢٢/٤ .

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب في معجزاته ﷺ ، حديث رقم: ٧٠٦ ، ١٧٨٤/٤ ، مالك في

٧٤٠- من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: « خرج النبي ﷺ يوم غزوة تبوك، فبلغه أن في الماء قلة ، فأمر منادياً ، فنادى في الناس أن لا يسبقني في الماء أحد فاتى الماء ، وقد سبقه قوم فلعنهم » ^(١) .

١٨- قصة المتخلفين بعذر ومشاركتهم للغازي في الأجر:

٧٤١- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة ، فقال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم) . قالوا: يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال: (وهم بالمدينة ، حبسهم العذر) ^(٢) .

١٩- قصة أبي خيثمة ولحوقه بالجيش في تبوك:

لم يتخلف أحد من المؤمنين الصادقين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من غير عذر ، سوى أربعة نفر ، كلهم من الأنصار ، لا عن شك وارتياب ، وإنما أدركهم الضعف البشري ، وأثر عليهم أكثر من غيرهم ، وهؤلاء هم: كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وأبو خيثمة .

أما أبو خيثمة فقد تغلب على ضعفه البشري أمام مغريات الحياة ، فسارع إلى اللحاق برسول الله ﷺ ، أما الثلاثة الآخرون ، فقد تخلفوا في المدينة وقعد بهم الضعف البشري يقولون كل يوم نلحق بالرسول ﷺ حتى انتهت مهمة الرسول في تبوك ، وعاد إلى المدينة فعاقبهم بالمقاطعة .

وستأتي قصتهم بزيادة تفصيل في مكانها إن شاء الله وكيف قبل الله توبتهم أما

الموطأ: ١٤٣/١ ، وأحمد في المسند: الفتح الرباني: ١٩٥/٢١ .

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٩٥/٦ ، رواه أحمد والبخاري بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠ ، حدثنا يحيى بن بكير حديث رقم: ٤٤٢٣ ، الجهاد باب من حبسه العذر عن الغزو حديث رقم: ٢٨٣٩ ، أبو داود في الجهاد باب الرخصة في القعود من العذر حديث رقم: ٢٥٠٨ ، وابن ماجه في الجهاد باب من حبسه العذر عن الجهاد حديث رقم: ٢٧٦٤ ، وأحمد في المسند: ١٠٣/٣ ، ١٠٦ ، ١٨٢ ، ٣٠٠ ، ٣٤١ ، ابن أبي شيبة: ١٨٨٥٦ ، ابن سعد: ١٢١/١/٢ ، وجاء من حديث جابر عند الإمام مسلم في الإمارة باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر حديث رقم: ١٩١١ ، دلائل النبوة البيهقي: ٢٦٧/٥ .

أبو خيثمة الذي هزم النفس الأمارة بالسوء ، وسحق الضعف البشري في نفسه فقد لحق بالرسول ﷺ ، وقد جاءت قصته مبسوبة عند ابن إسحاق في السيرة بدون إسناد ، وذكرها أيضاً عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قريباً من سياق ابن إسحاق في السيرة ^(١) ، وقد جاءت الإشارة إلى قصة أبي خيثمة في خلال حديث توبة كعب وصاحبيه الذي سيأتي ذكره لاحقاً ولكني سأجتزأ منه ما يتعلق بحال أبي خيثمة في هذا الموطن:

٧٤٢- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: «...» فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب ، فقال رسول الله ﷺ: (كن أبا خيثمة) ، فلذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون ^(٢).

٢٠- قصة قباء أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل:

بعث رسول الله ﷺ أثناء إقامته في تبوك خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، فأخذه خالد بن الوليد ، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد منه ، وبعث به إلى رسول الله ﷺ.

٧٤٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة من سندس ، فعجب الناس منها ، فقال: (والذي نفس محمد بيده ، إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا) ^(٣).

(١) سيرة ابن هشام: ٥٢٠/٢ - ٥٢١ ، ابن كثير في السيرة: ١٣/٤ - ١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه حديث رقم: ٢٧٦٩ ، وسيأتي مزيد من التخريج عند الحديث عن قصة كعب بن مالك .

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل سعد بن معاذ حديث رقم: ٢٤٦٩ ، أبو نعيم في الحلية: ١١٠/٧ ، وأحمد في المسند: ١١١/٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، والطبراني في الكبير: ١٥/٦ من طريق قتادة عن أنس ، وقد جاء من طريق آخر عن أنس عند الترمذي في اللباس باب ٣ حديث رقم: ١٧٢٣ ، والنسائي في السنن: ١٩٩/٨ ، وابن سعد: ١٣/٢/٣ ، وأحمد في فضائل الصحابة حديث رقم: ١٤٩٥ ، من طريق محمد بن عمرو عن واقد عن أنس .

وأخرجه أيضاً مسلم حديث رقم: ٢٤٦٨ ، والترمذي حديث رقم: ٣٨٤٧ ، المناقب باب مناقب سعد بن معاذ وابن سعد: ٤٣٥/٣ ، عن البراء بن عازب .

٢١- الخمس التي أعطيها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٧٤٤- من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى ، وانصرف إليهم ، فقال لهم: (لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي ، أما أنا ، فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر للمئ منه رعباً ، وأحلت لي الغنائم أكلها ، وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الأرض مساجد وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم ، والخامسة هي ما هي ؟ قيل لي: سل ، فإن كل نبي قد سأل ، فأخبرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ، ولمن شهد أن لا إله إلا الله)^(١) .

٢٢- قصة وفاة ذي البجادين ونزول الرسول ﷺ في قبره:

٧٤٥- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يحدث قال: (قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر ، فاتبعتها أنظر إليها .

قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبدالله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرة ، وأبو بكر وعمر يدلّياه ، وإذا هو يقول: (أدنيا إليّ أخاكما) فدلياها إليه ، فلما هياه لشقه ، قال: (اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه) . قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة »^(٢) . قال ابن هشام: وإنما سمي ذو البجادين لأنه كان يريد الإسلام ، فمنعه قومه ، وضيقوا عليه ، حتى خرج من بينهم ، وليس عليه إلا بجاد ، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنين فأتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسمي ذا البجادين^(٣) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢٢٢/٢ ، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ، رجاله ثقات كما جاء في الفتح الرباني: ٢٠٠/٢١ .

(٢) أخرجه ابن مندة من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود كما قال الحافظ في الإصابة: ٣٣٠/٢ ، ترجمه رقم: ٤٨٠ ، ونسبه الحافظ أيضاً إلى البغوي وأعله بالانقطاع . قلت: وسند ابن مندة جيد ، وقد أخرجه أيضاً ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن ابن مسعود إلا أن محمد بن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود: ٥٢٧/٢ - ٥٢٨ ، سيرة ابن هشام .

(٣) ابن كثير في السيرة: ٣٣/٤ ، سيرة ابن هشام: ٥٢٨/٢ .

٢٣- إرساله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم :

٧٤٦ - من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة) ، فقال رجل من القوم : وإن لم يقتل ؟ قال: وإن لم يقتل ، فانطلق الرجل به فوافق قيصر، وهو يأتي بيت المقدس قد جعل له بساط لا يمشي عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى.

فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق^(١) وأقرأه فقال: ما علمي في هذا الكتاب إلا كعلمك - فنادى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: إذا قدمت فأنتي فلما قدم أتاه فأمر قيصر بأبواب قصره ، فغلقت ثم أمر منادياً فنادى: ألا أن قيصر تبع محمداً وترك النصرانية .

فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا بقصره فقال لرسول الله ﷺ: قد ترى أني خائف على مملكتي ، ثم أمر منادياً فنادى: ألا أن قيصر قد رضى عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا ، فانصرفوا .

وكتب قيصر إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم ، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: (كذب عدو الله ، ليس بمسلم وهو على النصرانية) ، وقسم الدنانير «^(٢)» .

٧٤٧- قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى قال حدثني يحيى بن سليمان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال: « لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص ، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفند أو قرب ، فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى النبي ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ؟

فقال: بلى ، قدم رسول الله ﷺ تبوك ، فبعث دحية الكلبي إلى هرقل ،

(١) الجاثليق: مقدم الأساقفة عند النصارى .

(٢) أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمان حديث رقم: ١٦٢٨ ، وسنده صحيح .

فلما أن جاء كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم باباً فقال: « قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال ، يدعوني إلى أن أتبعه على دينه ، أو على أن أعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقي إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي فهلم تتبعه على دينه ، أو نعطيه ما لنا على أرضنا ، فنخروا نخرة^(١) رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم ، وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز ؟ فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفاهم^(٢) ولم يكذ ، وقال: قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم .

ثم دعا رجلاً من عرب تحيب كان على نصارى العرب فقال: ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاء بي ، فدفع إليّ هرقل كتاباً ، فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل فما ضيعت من حديثه فاحفظ له منه ثلاث خصال^(٣) انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إلي بشيء ، وانظر إذا قرأ كتابي ، فهل يذكر الليل ، وانظر في ظهره هل به شيء يريك .

فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالس بين ظهرائي أصحابه محتباً على الماء فقلت: أين صاحبكم ؟ قيل: ها هوذا ، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابي ، فوضعه في حجره ثم قال: (فمن أنت ؟) فقلت: أنا أحد تنوخ . قال: (هل لك في الإسلام الخفيفة ملة أبيك إبراهيم ؟) قلت: إني رسول قوم ، وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم ، فضحك وقال: (إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ، يا أختانوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه والله ممزق ملكه ، وكتبت إلى النجاشي^(٤) بصحيفة فحرقها والله ممزق^(٥) وممزق ملكه ، وكتبت إلى صاحبك

(١) نخروا: أي تكلموا كلام رجل واحد ، وكأنه كلام مع غضب ونفور حملهم على أن يخرجوا من برانسهم .

(٢) رفاهم: سكنهم ودعا لهم .

(٣) فما ضيعت من حديثه فاحفظ لي ثلاث خصال: أي مهما نسيت من شيء فاحفظ لي منه ثلاث خصال .

(٤) هذا نجاشي آخر غير النجاشي الذي أسلم ومات وصلى النبي ﷺ عليه .

بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير) .

قلت: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي وأخذت سهماً من جعيتي فكتبتها في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا: معاوية . فإذا في كتاب صاحبي تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: (سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار ؟) قال: فأخذت سهماً من جعيتي، فكتبته في جلد سيفي ، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: (إن لك حقاً ، وإنك رسول ، فلو وجدت عندنا جائزة جوّزناك بها إنا سفر ^(١) مرمّلون) .

قال: فناده رجل من طائفة الناس قال: أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجرني قلت: من صاحب الجائزة ؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله ﷺ: (أيكم ينزل هذا الرجل ؟) فقال فتى من الأنصار: أنا ، فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ فقال: (تعال يا أختنوخ) . فأقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه فحل حبوته ^(٢) عن ظهره وقال: (ههنا امض لما أمرت به) ، فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غصون أنكتف ^(٣) مثل المحجمة الضخمة أيلة ^{(٤)(٥)} .

٢٤- وفود ملك أيلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد جاء ذكر وفود ملك أيلة على رسول الله من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه الذي سبق جزء منه وسأورده هنا كله حتى يستقيم المعنى في ذلك .

٧٤٨- من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول

(٥) والله ممزقه: مذهب ملكه عنه .

(١) إنا سفر: أي مسافرون نفذ زادنا .

(٢) حل حبوته: القى برده كانت على ظهره .

(٣) غصون الكتف: مكاسر الجلد .

(٤) المحجمة الضخمة: الآلة التي يجتمع بها دم الحجامة عند المص.

(٥) أخرجه أحمد في المسند: ٤٤١/٣ - ٤٤٢ ، وقال ابن كثير في السيرة: ٢٧/٤ - ٢٩ ، هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد ، وأورده الهيثمي بنصه في المجمع وقال: رواه عبدالله ابن أحمد وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى ثقات ، ورجال عبدالله بن أحمد كذلك: ٢٣٤/٨ - ٢٣٦ ، انظر عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند: ٧٥/٤ ، أبو يعلى حديث رقم: ١٥٩٧ .

الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأه في حديقة لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه (احرصوا) فحرص القوم ، وحرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق ، وقال رسول الله ﷺ للمرأة: (أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله) .

قال فخرج حتى قدم تبوك فقال رسول الله ﷺ: (إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقوم فيها رجل ، فمن كان له بغير فليوثق عقاله) .

قال أبو حميد: فعقلناها ، فلما كان من الليل هبت علينا ريح شديدة ، فقام فيها رجل فالقته في جبل طيء .

ثم جاء رسول الله ﷺ ملك أيلة فأهدى لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء ، وكساه رسول الله ﷺ برداً ، وكتب له يجيرهم .

ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى فقال للمرأة: (كم جاءت حديثك) ، قالت: عشرة أوسق ، حرص رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ: (إني متعجل ، فمن أحب منكم أن يتعجل فليفعل) قال: فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة قال: (هذه طابة) فلما رأى أحداً قال: (هذا أحد يحبنا ونحبه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟) قلنا: بلى يا رسول الله قال: (خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كل دور الأنصار خير) ^(١) .

٢٥- مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بتبوك:

٧٤٩- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة) ^(٢) .

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٧٣٨ .

(٢) أخرجه في المسند: ٢٩٥/٣ ، عبد الرزاق في المصنف: ٤٣٣٥ ، وأبو داود في الصلاة باب إذا أقام بأرض العدو يقصر رقم: ١٢٣٥ ، وابن حبان كما في الإحسان: ١٨٣/٤ - ١٨٥ ، رقم: ٢٧٣٨ ، ٢٧٤١ ، البيهقي في السنن: ١٥٢/٣ ، ورجاله ثقات وصححه النووي على شرطهما وابن حزم وابن حبان انظر نصب الراية: ١٨٦/٢ ، وتلخيص الحبير: ٤٥/٢ .

٢٦- كيد المنافقين رسول الله والمسلمين:

أ- الاستهزاء بآيات الله وبرسوله وقراء المسلمين:

٧٥٠- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، لا أرغب بطوناً ، ولا أكذب السنة ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل في المجلس: كذبت ، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبدالله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ ، والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ، والنبي ﷺ يقول: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن)^(١) .

٧٥١- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (قال محشي بن حمير لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ينجو من أن ينزل فينا قرآن ، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا: فإن هم أنكروا وكنتموا فقل بلى: قد قلت كذا وكذا) .

فأدركهم فقال لهم ، فجاءوا يعتذرون ، فأنزل الله ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم ﴾ الآية فكان الذي عفا الله عنه محشي بن حمير ، فتسمى عبدالرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً ، وألا يعلم بمقتله ، فقتل باليامة لا يعلم مقتله ، ولا من قتله ، ولا يرى له أثر ولا عين^(٢) .

قلت: وقد كان هذا القول من محشي بن حمير بعدما قال أولئك قولتهم في قراء القرآن ، واستهزأوا بآيات الله تعالى ، فتأب الله عليه ، وغفر له ، والله أعلم .
ب - محاولة المنافقين اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم .

٧٥٢- من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: « لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: (إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد) ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: ٦٣/٤ ، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد ، والطبري في التفسير: ١٧٢/١٠ ، وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٢٥٤/٣ ، إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه ، وله شاهد حسن من حديث كعب ساورده تالياً له فانظره .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم: ٦٤/٤ ، وسنده حسن ، وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٢٥٤/٣ ، إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل ، فغشوا عماراً ، وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة (قد قد) .

حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي ، فلما هبط ورجع عمار قال: (يا عمار هل عرفت القوم ؟) قال: قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون ، فقال: (هل تدري ما أرادوا ؟) . قال: الله ورسوله أعلم . قال: (أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه) .

قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال: أربعة عشر رجلاً . فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر .

قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ^(١) .

٧٥٣- من حديث أبي الطفيل قال: « كان بين رجل من أهل العقبة ، وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ قال: فقال له القوم أخبره إذ سألك ، فقال كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم ، فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة ، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة فمشى ، فقال: (إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد) ، فوجد قوماً قد سبقوه ، فلعنهم يومئذ ^(٢) .

ج - إخبار النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بأسماء المنافقين:

٧٥٤- من حديث علقمة قال: « قدمت الشام فصليت ركعتين ، ثم قلت: اللهم يسر لي جليساً صالحاً ، فاتيت قوماً فجلست إليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى

(١) أخرجه في المسند: ٤٥٣/٥ ، ورجاله ثقات ، قال الهيثمي في المجمع: ١٩٥/٦ ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم: ١١/٢٧٩ .

جلس إلى جنبي ، قلت: من هذا ؟ قالوا: أبو الدرداء فقلت: إني دعوت الله أن يسر لي جليساً صالحاً ، فيسرك لي .

قال: ممن أنت ؟ قلت: من أهل الكوفة . قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة ؟ أوليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان ، يعني على لسان نبيه ﷺ ؟ أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره ؟ ثم قال: كيف يقرأ عبدالله ﴿ واللّيل إذا يَغشى ﴾ فقرأت عليه ﴿ واللّيل إذا يَغشى والنهار إذا تجلّى والذكر والأنثى ﴾ قال: والله لقد أقرأ فيها رسول الله ﷺ من فيه إلى في ^(١) .

٢٧- مقالة النبي هذه طابة-هذا أحد جبل يحبنا ونحبه:

٧٥٥- قد سبق من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه الإشارة إلى هذا: وأسوق هنا المقطع الخاص بهذه المقالة من حديثه رضي الله عنه قال: «... فقال رسول الله ﷺ (إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع ، ومن شاء فليمكث) ، فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: (هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه ...) ^(٢) .

٧٥٦- وقد أورد البخاري رحمه الله مختصراً عن أبي حميد قال: « أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: (هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه) أخرجه في كتاب المغازي باب ٨١ ، حدثنا يحيى بن بكير حديث رقم: ٤٤٢٢ .

٢٨- استقبال النبي صلى الله عليه وسلم عند ثنية الوداع :

٧٥٧- من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: « لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما حديث رقم: ٣٧٤٢ ، ٣٧٤٣ ، والنسائي في السنن الكبرى كما ذكر صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ١٠٩٥٦ ، وأحمد في المسند: ٤٤٩/٦ ، ٤٥٠ .

(٢) سبق بنصه وتخرجه حديث رقم: ٧٣٨ ، ٧٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب استقبال الغزاة الحديث: ٣٠٨٢ ، فتح الباري: ١٩١/٦ ، أبو داود في الجهاد في التلقي حديث رقم: ٢٧٥٩ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في تلقي الغائب إذا قدم حديث رقم: ١٧١٨ ، وأحمد في المسند: ٤٤٩/٣ ، والبيهقي: ١٧٥/٩ ، وقال الترمذي: حسن صحيح

٢٩- حديث الثلاثة الذين خلفوا:

٧٥٨- من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، إلا في غزوة تبوك ، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم ، على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة^(١) حين تواقنا على الإسلام^(٢) .

وما أحب أن لي بها مشهد بدر . وإن كانت بدر أذكر في الناس منها^(٣) .

وكان من خبري ، حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً^(٤) ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم^(٥) ، ليتأهبوا أهبة غزوهم^(٦) ، فأخبرهم بوجههم الذي يريد . والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد ، بذلك الديوان) .

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفي له ، مالم ينزل فيه وحي من الله عز وجل . وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال . فانا إليها أصعر^(٧) ، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت .

(١) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله الأنصار فيها على الإسلام . وإن يؤوه وينصروه ، والعقبة هي التي في طرف منى التي يضاف إليها جمرة العقبة . وكانت مرتين في سنتين .

(٢) تواقنا على الإسلام: تابعتنا عليه وتعاهدنا .

(٣) وإن كانت بدرأ أذكر: أي أشهر عند الناس بالفضيلة .

(٤) مفازاً: برية طويلة قليلة الماء يخاف فيها من الهلاك .

(٥) فجلا للمسلمين أمرهم: كشف وبينه وأوضحه .

(٦) ليتأهبوا: أهبة غزوهم: يسعوا له بما يحتاجون من زاد .

(٧) أصعر: أميل .

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازتي شيئاً ثم غدوت ، فرجعت ، ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا ، وتفارط الغزو^(١) . فهممت أن أرتحل فأدركهم ، فيا ليتني فعلت ، ثم لم يُقدّر ذلك لي .

فطفقت ، إذا خرجت في الناس ، بعد خروج رسول الله ﷺ ، يحزنني أني لا أرى لي أسوة ، إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق . أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً ، فقال ، وهو جالس في القوم بتبوك (ما فعل كعب بن مالك ؟) قال رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ، والنظر في عطفه^(٢) .

فقال له معاذ بن جبل : بش ما قلت . والله يا رسول الله ! ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ . فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً^(٣) يزول به السراب^(٤) فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه^(٥) المنافقون .

فقال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً^(٦) من تبوك ، حضرني بشي^(٧) ، فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بم أخرج من سخطه غداً؟ واستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي . فلما قيل لي : أن رسول الله ﷺ قد أظل قادمًا^(٨) زاح^(٩) عني الباطل . حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه^(١٠) .

(١) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا .

(٢) والنظر في عطفه: أي جانيه وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه .

(٣) مبيضاً: لابس البياض .

(٤) يزول به السراب: يتحرك وينهض ، والسراب هو ما يظهر للإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء .

(٥) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه .

(٦) توجه قافلاً: راجعاً .

(٧) حضرني بشي: حزني .

(٨) أظل قادمًا: أقبل ودنا قدمه كأنه ألقى على ظله .

(٩) زاح: زال .

(١٠) أجمعت صدقه: عزمته على صدقه .

وصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون . فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً . فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت .

فلما سلمت ، تبسم تبسم المغضب ثم قال : (تعال) فجئت أمشي حتى جلست بين يديه . فقال لي : (ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟) قال : قلت : يا رسول الله ! إني والله ! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً^(١) ولكني ، والله ! لقد علمت ، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن^(٢) الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه^(٣) إني لأرجو فيه عقي الله^(٤) . والله ! ما كان لي عذر ، والله ! ما كنت قط أقوى ، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال رسول الله ﷺ : (أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك) فقممت ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني . فقالوا لي : والله ! ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا . لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون . فقد كان كافيك ذنبك ، استغفار رسول الله ﷺ لك . قال فوالله ! ما زالوا يؤنبونني^(٥) حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي .

قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحد ؟ قالوا : نعم . لقيه معك رجلان ، قالوا مثل ما قلت ، فقليل لهما مثل ما قيل لك . قال : قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العامري ، وهلال بن أمية الواقفي قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأ ، فيهما أسوة . قال : فمضيت حين ذكروهما لي . قال : فاجتنبنا الناس ، وقال : تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض .

(١) أعطيت جدلاً : فصاحة وقوة في الكلام وبراعة ، بحيث أخرج عن عهده ما ينسب إلي إذا أردت .

(٢) ليوشكن : ليسرعن .

(٣) تجد علي فيه : تغضب .

(٤) إني لأرجو عقي الله : يعقبي خيراً ويثيبني عليه .

(٥) يؤنبونني : يلومونني أشد اللوم .

فما هي بالأرض التي أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحبائي فاستكانا ^(١) وقعدا في بيوتهما يكيان . وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ^(٢) . فكنت أخرج ، فأشهد الصلاة ، وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد . وآتي رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه ، وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي ! هل حرك شفتيه برد السلام ، أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت ^(٣) جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي . فسلمت عليه . فوالله ! ما رد علي السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك بالله ^(٤) هل تعلم أنني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت . فعدت فناشدته فسكت ، فعدت فناشدته . فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عينا ، وتوليت ، حتى تسورت الجدار .

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة ، إذا نبطي من نبط أهل الشام ^(٥) ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك قال : فطفق الناس يشيرون له إلي . حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان . وكنت كاتباً ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ^(٦) ، فالحق بنا نواسك . قال : فقلت : حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء . فتأيممت ^(٧) بها التور ، فسجرتها ^(٨) بها .

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبت الوحي ^(٩) ، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال : (إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك) ، قال :

(١) استكانا : خضعا .

(٢) أشب القوم وأجلدهم : أي أصغرم سنأ واقواهم .

(٣) حتى تسورت : علوت وصعدت السور وهو أعلاه .

(٤) أنشدك بالله : أسألك بالله .

(٥) نبطي من أهل الشام : فلاحو المعجم .

(٦) مضیعة : يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك .

(٧) فتأيممت : تيممت : قصدت .

(٨) فسجرتها : أحرقتها .

(٩) واستلبت الوحي : أبطل .

فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال: (لا ، بل اعتزلها فلا تقربنها) .

قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا . قال: فقلت لامراتي: الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ . فقالت له: يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال: (لا ، ولكن لا يقربنك) فقالت: إنه والله ! ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا .

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ . وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال فلبثت بذلك عشر ليال . فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا . قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا ، قد ضاقت عليّ نفسي ، وضافت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع^(١) يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر . قال: فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج .

قال: فأذن^(٢) رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس ييشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إليّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم قبلي . وأوفى الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته ييشرني ، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه بيشارته ، والله ! ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقت أتأمم^(٣) رسول الله ﷺ ، يتلقاني الناس فوجاً فوجاً^(٤) ، يهتفوني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك .

حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد ، وحوله الناس

(١) أوفى على سلع: صعد وارتفع عليه ، وسمع جبل بالمدينة معروف .

(٢) فأذن: الناس: أي أعلمهم .

(٣) أتأمم: أي أقصد .

(٤) فوجاً فوجاً: الفوج الجماعة .

فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني . والله ! ما قام رجل من المهاجرين غيره .

قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال : وهو يبرق وجهه من السرور ، ويقول : (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) قال : قلت : أمن عندك ؟ يا رسول الله ! أم من عند الله ؟ فقال : (لا بل من عند الله) وكان رسول الله ﷺ إذا استنار وجهه ، كان وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك .

قال فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أنخلع^(١) من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : (أمسك بعض مالك ، فهو خير لك) قال : فقلت : فلاني أمسك سهمي الذي بخير . قال ، وقلت : يا رسول الله ! إن الله إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت . قال فوالله ! ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه^(٢) الله في صدق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، أحسن مما أبلاني الله به . والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ﴾^(٣) حتى بلغ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾^(٤) .

قال كعب : والله ما أنعم الله علي من نعمة قط ، بعد إذ هداني للإسلام ، أعظم في نفسي ، من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ، شر ما قال لأحد ،

(١) أنخلع من مالي : أتصدق .

(٢) أبلاه الله : أنعم عليه .

(٣) سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) سورة التوبة : ١١٩ .

وقال الله: ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ، يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ ^(١).

قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة . عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ ، وليس الذي ذكر الله عما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا ^(٢) ، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه ^(٣).

فوائد قصة الذين خلفوا:

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث في توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، فوائد جمة ذكر كثيراً منها ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ، وذكر ابن حجر العسقلاني في الفتح فصلاً مفيداً كثير الفوائد .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ١٢٣/٨ - ١٢٤ ، ما نصه: « وفي قصة كعب من الفوائد غير ما تقدم (يعني في أثناء شرح الحديث):

جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب ، وجواز الغزو في الشهر الحرام ، والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره ، وإن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم التفير ولحق اللوم بكل فرد لو تخلف .

وقال السهيلي: إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية

(١) سورة التوبة / ٩٥ - ٩٦ .

(٢) إرجاؤه أمرنا: تأخيره أمرنا .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي ، باب حديث كعب بن مالك حديث رقم: ٤٤١٨ ، مسلم في التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه حديث رقم: ٢٧٦٩ ، أبو داود في الأيمان والنذور حديث رقم: ٣٣٢١ ، باب فيمن نذر أن يتصدق بماله ، وأحمد في المسند: ٤٥٦/٣ - ٤٥٩ ، النسائي في الطلاق باب الحقني بأهلك: ١٥٢/٦ ، باختصار اقتصر فيه على قوله الحقني بأهلك وما فيها ، عبد الرزاق في المصنف: ٩٧٤٤ ، ابن أبي شيبة في المصنف رقم: ١٨٨٥٣ ، ابن هشام في السيرة: ٥٣١/٢ ، ابن جرير في التفسير: ٥٨/١١ ، ابن أبي حاتم: ١٠٥/٤ ، ابن كثير في السيرة: ٤٢/٤ - ٤٨ . البيهقي في دلائل النبوة: ٢٧٣/٥ - ٢٧٩ ، السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٧/٣ ، وقد أورده البخاري بعدة أرقام في مواطن متعددة: رقم: ٢٧٥٧ ، ٢٩٤٧ ، ٢٩٤٨ ، ٢٩٤٩ ، ٢٩٥٠ ، ٣٥٥٦ ، ٣٨٨٩ ، ٣٩٥١ ، ٤٦٧٣ ، ٤٦٧٦ ، ٤٦٧٧ ، ٤٦٧٨ ، ٦٢٥٥ ، ٦٦٩٠ ، ٧٢٢٥ .

لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين ، لأنهم بايعوا على ذلك ومصدق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة ، لأنها كالنكث لبيعتهم ، كذا قال ابن بطال . قال السهيلي: ولا أعرف له وجهاً غير الذي قال .

قلت: وقد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره ولعله أقعد ، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ الآية . وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبي ﷺ ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف قطعاً ، وفيها أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه ، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة .

وفيها ترك قتل المنافقين ، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة . وأجاب من أجازه بأن الترك كان في زمن النبي ﷺ لمصلحة التأليف على الإسلام .

وفيها عظم أمر المعصية ، وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالا حراماً ، ولا سفكوا دمأ حراماً ولا أفسدوا في الأرض ، أصابهم ما سمعتم وضاعت عليهم الأرض بما رحبت ، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر) .

وفيها أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين ، وجواز اخبار المرء عن تقصيره ، وتفريطه ، وعن سبب ذلك وما آل إليه أمره تحذيراً ويضمه لغيره ، وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة ، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره ، وفضل أهل بدر والعقبة ، والحلف للتأكيد من غير استحلاف ، والتورية عن المقصد ، ورد الغيبة . وجواز ترك وطء الزوجة مدة .

وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ، ولا يسوف بها لئلا يحرمها كما قال تعالى ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ ومثله قوله تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ ونسال الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته ، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته .

وفيهما جواز تمنى ما فات من الخير ، وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة ، وجواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن حمية الله ورسوله ، وفيهما جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد وهم الطاعن أو غلظه .

وفيهما أن المستحب للقادم أن يكون على وضوء ، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه ، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه ، والحكم الظاهر ، وقبول المعاذير واستحباب بكاء العاصي أسفاً على ما فاته من الخير ، وفيها إجراء الأحكام على الظاهر ، ووكول السرائر إلى الله تعالى ، وفيها ترك السلام على من أذنب ، وجواز هجره أكثر من ثلاث ، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً ، وأن القسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ولا يختص بالسرور . ومعاينة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره ، وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب .

وفيهما العمل بمفهوم اللقب إذا حفته قرينة ، لقوله ﷺ لما حدثه كعب (أما هذا فقد صدق) فإنه يشعر بأن من سواه كذب ، لكن ليس على عمومته في حق كل أحد سواه ، لأن مرارة وهلال أيضاً قد صدقا فيختص الكذب بمن حلف واعتذر لا بمن اعترف ، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب ، وآخر من كذب للعقاب الطويل ، وفي الحديث الصحيح (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا ، وإذا أراد به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه) وقيل إنما غلظ في حق هؤلاء الثلاثة لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ وقول الأنصار:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفيهما تبريد حر المصيبة بالناسي بالنظير ، وفيها عظم مقدار الصدق في القول والفعل ، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به ، وأن من عوقب بالهجر يعذر عن التخلف عن صلاة الجماعة ، لأن مرارة وهلالاً لم يخرجها من بيوتهما تلك المدة ، وفيها سقوط السلام على المهجور عمن سلم عليه ، إذ لو كان واجباً لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السلام ، وفيها جواز دخول المرء

دار جاره أو صديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه .

وفيها أن قول المرء الله ورسوله أعلم ، ليس بخطاب ولا كلام ولا يحث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم ينو به مكالمته دائماً ، وإنما قال أبو قتادة ذلك لما ألح عليه كعب ، وإلا فقد تقدم أن رسول ملك غسان لما سأل عن كعب ، جعل الناس يشيرون له إلى كعب ، ولا يتكلمون بقولهم مثلاً هذا كعب مبالغة في هجره والإعراض عنه .

وفيها أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها ، وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب ، وخدمة المرأة زوجها ، والاحتياط لمجانبة ما يخشى الوقوع فيه ، وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة .

وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة وتهنئة من تجددت له نعمة ، والقيام إليه إذا أقبل ، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما يسر أتباعه ، ومشروعية العارية ، ومصافحة القادم والقيام له ، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به ، واستحباب الصدقة عند التوبة ، وأن من نذر الصدقة بكل ما له لم يلزمه إخراجه جميعه » .

الفصل الحادي عشر

الأحداث من غزوة تبوك إلى حجة الوداع

١- قدوم وفد ثقيف:

أ- تاريخ قدومهم:

قال ابن إسحاق: « قدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف » ^(١).

وقد قال موسى بن عقبة: إن قدوم وفد ثقيف إنما كان بعد حجة أبي بكر الصديق ، وتبعه على ذلك البيهقي في الدلائل ^(٢).

ولكن الحافظ ابن كثير استبعد ذلك فقال: « وهذا بعيد، والصحيح أن ذلك كان قبل حجة أبي بكر كما ذكره ابن إسحاق والله أعلم » ^(٣).

ب - شرطهم الذي طلبوه من رسول الله ﷺ:

٧٥٩- من حديث وهب قال سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت ، قال: « اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: (سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا) » ^(٤).

ج - طلب عثمان بن أبي العاص من الرسول عليه السلام أن يجعله إمام قومه:

٧٦٠- من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: « قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي فقال: (أنت إمامهم ، واقتد بأضعفهم ، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً) » ^(٥).

(١) سيرة ابن كثير: ٥٣/٤ .

(٢) دلائل النبوة: ٣٠٤/٥ .

(٣) سيرة ابن كثير: ٥٤/٤ ، سيرة ابن هشام: ٥٣٧/٢ .

(٤) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في خبر الطائف حديث: ٣٠٢٥ ، وأحمد في المسند: ٢١٨/٤ ، وسنده حسن .

(٥) أخرجه أحمد في المسند: ٢١٧/٤ ، وأبو داود في الصلاة باب أخذ الأجر على التأذين حديث: ٥٣١ ، والنسائي في الأذان باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجراً: ٢٣/٢ ، ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب من أم قوماً فليخفف حديث رقم: ٩٨٧ ، وإسناده صحيح .

د - شكوى عثمان بن أبي العاص من اعتراض الشيطان له في صلاته :

٧٦١- من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : « قلت : يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي ، قال : فقال : (ذاك شيطان يقال له : خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتقل عن يسارك ثلاثاً) ، قال : ففعلت فأذهب الله عني » ^(١) .

٧٦٢- ومن حديث عثمان بن أبي العاص أيضاً قال : (لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف ، جعل يعرض لي شيء في صلاتي ، حتى ما أدري ما أصلي ، فلما رأيت ذلك ، ورحلت إلى رسول الله ﷺ فقال : (ابن أبي العاص ؟) قلت : نعم ! يا رسول الله ! قال : (ما جاء بك ؟) قلت : يا رسول الله ! عرض لي شيء في صلواتي ، حتى ما أدري ما أصلي .

قال : (ذاك الشيطان . أدنه) فدنوت منه . فجلست على صدور قدمي . قال : فضرب صدري بيده ، وتقل في فمي ، وقال : (اخرج . عدو الله) ففعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال : (الحق بعملك) قال : فقال عثمان : فلعمري ! ما أحسبه خالطني بعد) ^(٢) .

٢- وفاة عبدالله بن أبي رأس المنافقين :

أ- مرضه وذهاب النبي لعيادته :

٧٦٣- من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : « دخلت مع رسول الله ﷺ على عبدالله بن أبي في مرضه نعوذه ، فقال له النبي ﷺ : (قد كنت أنهاك من حب يهود) ، فقال : عبدالله : « فقد بغضهم أسعد بن زرارة فمه » ^(٣) .

وقد جاء عند أحمد (فمات) وجاء في لفظ أبي داود زيادة (فلما مات

(١) أخرجه مسلم في السلام باب التعموذ من شيطان الوسوسة في الصلاة حديث رقم : ٢٢٠٣ ، أحمد في المسند : ٢١٦/٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الطب باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه حديث رقم : ٣٥٤٨ ، وهو مما انفرد ابن ماجه به ، قال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات .

(٣) فمه : يعني أنه يريد القول أن أسعد بن زرارة قد أبغض يهود فما دفع عنه بغضهم الموت ، وكان يريد أنه لا يضر حبه ، ولا ينفع بغضهم ، ولو نفع بغضهم لما مات أسعد بن زرارة ، وهذا من قلة فهمه وقصور نظره على أن الضرر والنفع هو الموت أو الخلاص منه .

أنا ابنه فقال: يا رسول الله إن عبدالله بن أبي قد مات ، فاعطني قميصك أكفنه فيه ، فترع رسول الله ﷺ قميصه فاعطاه إياه ^(١) .

ب - سبب كسوته بقميص النبي صلى الله عليه وسلم :

٧٦٤- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « لما كان العباس بن عبد المطلب بالمدينة ، طلبت الأنصار ثوباً يكسونه ، فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه ، إلا قميص عبدالله بن أبي فكسوه إياه » ^(٢) .

وفي لفظ آخر « لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب ، فنظر النبي ﷺ له قميصاً ، فوجدوا قميص عبدالله بن أبي يقدر عليه ، فكساه النبي ﷺ إياه ، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه » .

قال ابن عينة: كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد، فأحب أن يكافئه.

ج - مجيء النبي إلى قبر عبدالله بن أبي ونفثه عليه من ريقه :

٧٦٥- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « أتى النبي ﷺ عبدالله بن أبي بعدما دفن ، فأخرجه فنثف فيه من ريقه ، وألبسه قميصه » ^(٣) .

د - صلاة النبي على عبدالله بن أبي ومحاولة عمر منعه :

٧٦٦- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لما توفي عبدالله بن أبي ، جاء ابن سلول ، جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فاعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه .

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ . فقال: يا رسول الله ! تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنما خيرني الله فقال:)

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز باب في العيادة حديث: ٣٠٩٤ ، وسكت عنه والمنذري ، ورواه ابن إسحاق فقال: حدثني الزهري عن عروة عن أسامة فالحديث صحيح ، لأن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث سيرة ابن كثير: ٦٤/٤ ، وقد أخرجه أحمد كما في الفتح الرباني: ٢١١/٢١ .

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب الكسوة للأسارى حديث رقم: ٣٠٠٨ ، فتح الباري: ١٤٤/٦ .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف ، ومن كفن بغير قميص حديث رقم: ١٢٧٠ ، مسلم في كتاب صفات المنافقين حديث رقم: ٢٧٧٣ ، وأحمد كما في الفتح الرباني: ٢١٠/٢١ .

«استغفر لهم أولاً تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴿ ١ ﴾ ، وسأزيده على سبعين (قال : إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فانزل الله عز وجل : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ « (١) (٢) .

٣- إمارة أبي بكر رضي الله عنه في العام التاسع على الحج :

قال ابن إسحاق رحمه الله : « ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوال وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين « (٣) .

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضي الله عنه بعد أبي بكر الصديق ليكون معه ، ويتولى علي بن نفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ لكونه ابن عمه من عصبته .

أ- في أي شهر كان بعث أبي بكر :

قال الحافظ في الفتح : « ذكر ابن سعد وغيره بإسناد صحيح ، عن مجاهد : أن حجة أبي بكر وقعت في ذي القعدة ، ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الإكليل ، ومن عدا هذين إما مصرح بأن حجة أبي بكر كانت في ذي الحجة - كالدودي ، وبه جزم من المفسرين الرماني والثعلبي والماوردي وتبعهم جماعة - وإما ساكت .

والمعتمد ما قاله مجاهد وبه جزم الأزرق ويؤيده أن ابن إسحاق صرح أن النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج ، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة ، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله أعلم « (٤) .

(١) ٩ التوبة : ٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري في الجناز باب الكفن في القميص حديث رقم : ١٢٦٩ ، وفي التفسير ، تفسير سورة التوبة باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الحديث : ٤٦٧٠ ، ومسلم في صفات المنافقين حديث رقم : ٢٧٧٤ ، وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني : ٢١٠/٢١ .

(٣) ابن هشام في السيرة : ٥٤٣/٢ .

(٤) فتح الباري : ٨٢/٨ .

ب - بم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً :

٧٦٧- قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنه قال: « لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقم للناس الحج ، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال: (لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي) .

ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له: (اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته) .

فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقه رسول الله ﷺ العضاء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق ، قال أمير أم مأمور ؟ فقال: بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ ، فقال: « أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته) ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى مآمنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد مدة فهو إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله ﷺ « ^(١) .

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٥٤٥/٢ - ٥٤٦ ، وهو مرسل ولكن له شواهد يتقوى بها ذكرها ابن كثير رحمه الله في السيرة: ٧٢٠-٧٢١/٤ ، ومن هذه الشواهد ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد: ٢٩٩/٢ ، الترمذي في تفسير القرآن سورة التوبة حديث: ٣٠٩١ ، وقال حديث حسن غريب ، ومنها ما جاء عن أبي هريرة وسياطي تخريجه لاحقاً ، ومنها ما جاء عن علي من حديث زيد بن يسع وسياطي تخريجه أيضاً ، وقد ذكر أيضاً ابن كثير في التفسير: ٣٣٢/٢ - ٣٣٤ ، كثيراً من هذه الشواهد فانظرها هناك فالحديث بهذه الشواهد حسن والله أعلم . وله شاهد أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد ، وقال الترمذي فيه حسن غريب .

٧٦٨- ومن حديث زيد بن يثيع قال: « سألت علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: (بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا)^(١) .

٧٦٩- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ ، قبل حجة الوداع في رھط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان »^(٢) .

قال ابن شھاب: « فكان حميد بن عبدالرحمن يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر ، من أجل حديث أبي هريرة ... » .

والمعروف أن المنادي هو علي بن أبي طالب فكيف أمر أبو بكر رضي الله عنه أبا هريرة ومن معه بالتأذين بهذه الأمور ، قال الطحاوي في مشكل الآثار « هذا مشكل لأن الأخبار في هذه القصة تدل على أن النبي ﷺ كان بعث أبا بكر بذلك، ثم اتبعه علياً فأمره أن يؤذن ، فكيف يبعث أبو بكر أبا هريرة ومن معه بالتأذين مع صرف الأمر عنه في ذلك إلى علي ؟ ثم أجاب بما حاصله: أن أبا بكر رضي الله عنه كان الأمير على الناس في تلك الحجة بلا خلاف ، وكان علي هو المأمور بالتأذين بذلك ، وكان علياً لم يطق التأذين بذلك وحده ، واحتاج إلى من يعينه على ذلك ، فأرسل معه أبو بكر أبا هريرة وغيره ليساعدوه على ذلك»^(٣) .

(١) أخرجه الحميدي في مسنده رقم: ٤٨ ، وأحمد في المسند: ٧٩/١ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في كراهية الطواف عرياناً حديث رقم: ٨٧١ - ٨٧٢ ، وفي التفسير باب ومن سورة التوبة حديث رقم: ٣٠٩٢ ، والدارمي في المناسك باب لا يطوف بالبيت عريان: ٦٨/٢ ، وسنده صحيح ، وحسنه الترمذي، وأخرجه أبو يعلى: ٤٥٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب ما يستر العورة حديث رقم: ٣٦٩ ، الحج باب لا يطوف بالبيت عريان حديث رقم: ٣١٧٧ ، وفي التفسير في تفسير سورة براءة الأحاديث: ٤٦٥٥ ، ٤٦٥٦ ، ٤٦٥٧ ، وفي المغازي في باب حج أبي بكر حديث رقم: ٤٣٦٣ ، مسلم في الحج باب لا يحج البيت مشرك حديث رقم: ١٣٤٧ ، أبو داود في المناسك باب يوم الحج الأكبر حديث رقم: ١٩٤٦ ، النسائي في المناسك باب قوله عز وجل خذوا زيتكم عند كل مسجد: ٢٣٤/٥ .

(٣) فتح الباري: ٣١٨/٨ .

٤- وفد بني تميم:

بعد غزوة تبوك تمت كلمة الله تبارك وتعالى في شبه الجزيرة العربية كلها، وأمن الرسول ﷺ والمسلمون معه من كل عادية عليهم ، ما استقر المسلمون في المدينة ، حتى بدأت القبائل العربية تتوافد على المدينة معلنة الإسلام ، ومتبعة الهدى الذي جاء به سيد الأولين والآخرين ، وسأذكر قصص هذه الوفود التي صح إسناد قدومها على سيدنا محمد لنتلمس من أحداثها العبرة والعظة ، ومن هذه الوفود كان وفد بني تميم:

٧٧٠- من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: « دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب ، فاتاه ناس من بني تميم فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) . قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم) . قالوا: قد قبلنا يا رسول الله .

قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر . قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض) ، فنأدى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين . فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أنني كنت تركتها «^(١) .

٧٧١- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهم من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: (هم أشد أمتي على الدجال) . وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: (اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل) . وجاءت صدقاتهم فقال: (وهذه صدقات قوم أو قومي) «^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ حديث رقم: ٣١٩١ ، ٣١٩٠ ، وجاء عند البخاري أيضاً في المغازي حديث رقم: ٤٣٦٥ ، وحديث رقم: ٤٣٨٦ وفي التوحيد حديث رقم: ٧٤١٨ ، والترمذي في المناقب باب مناقب ثقيف وبني حنيفة رقم: ٣٩٥١ ، وقال حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٠٨٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قال ابن إسحاق غزوة عبيدة بن حصن حديث رقم: ٤٣٦٦ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وجميم ودوس وطيء حديث رقم: ٢٥٢٥ .

٥- وفد بني عامر

أ- مقاتلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

٧٧٢- من حديث مطرف بن عبدالله بن الشخير رضي الله عنهما عن أبيه: (أنه وفد إلى النبي ﷺ في رهط من بني عامر قال: فأتيناه فسلمنا عليه ، فقلنا: أنت ولينا ، وأنت سيدنا ، وأنت أطول علينا (قال يونس) وأنت أطول علينا طولاً ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً ، وأنت الجفنة الغراء ، فقال: قولوا: (قولكم ولا يستجرنكم الشيطان) قال وربما قال: (ولا يستهوينكم)^(١) .

ب - عامر بن الطفيل ومقولته الفاسدة للرسول عليه الصلاة والسلام:

قد سبق ذكر عامر بن الطفيل أثناء الحديث عن غزوة بئر معونة وأنه الذي تولى كبر قتل القراء السبعين ، والغدر بهم ، ثم لم يكفه هذا العمل ، فجاء في وفد بني عامر يتهدد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فابتلاه الله تعالى بغدة في رقبته ، مات على أثرها .

٧٧٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أن النبي ﷺ بعث خاله - أخ لأم سليم - في سبعين راكباً . وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف ، « ألف أشقر وألف شقراء » فطعن عامر في بيت « امرأة من بني فلان » أم فلان ، فقال: غدة كغدة (البعير) البكر ، في بيت امرأة من آل بني فلان ، اثتوني بفرسي . فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرام أخو أم سليم ، وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان ، قال: كونا قريباً حتى آتيهم ... » فذكر قصة القراء في بئر معونة^(٢) .

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب باب في كراهية التماذج حديث رقم: ٤٨٠٦ ، والنسائي في اليوم والليلة ذكر اختلاف الأخبار في قوله القاتل سيدنا وسيدى حديث رقم: ٢٤٦ ، وأخرجه أحمد في المسند: ٢٥/٤ ، وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان حديث رقم: ٤٠٩١ وأحمد في المسند: ٢١٠/٣ .

٦- وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر:

٧٧٤- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد - والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم - فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فقال له الرجل: ابن عبدالمطلب . فقال له النبي ﷺ: (قد أجبتك) .

فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سأتلك فمشدد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك .

فقال: (سل عما بدا لك) . فقال: أسألك بربك ورب من قبلك ، الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال: (اللهم نعم) .

قال: أنشدك بالله ، الله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم واللييلة ؟ قال: (اللهم نعم) .

قال: أنشدك بالله ، الله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال: اللهم نعم .

قال: أنشدك بالله . الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها في فقرائنا ؟ فقال النبي ﷺ: (اللهم نعم) .

فقال الرجل: آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر «^(١)» .

٧٧٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعثت بنو سعد بن بكر ، ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه وأناخ بغيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ: (أنا ابن

(١) أخرجه البخاري في العلم باب ما جاء في العلم وقوله تعالى ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ حديث: ٦٣ ، مسلم في الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام حديث رقم: ١٢ ، النسائي في الصوم باب وجوب الصوم صفحة: ١٢٢/٤ - ١٢٣ ، أبو داود في الصلاة باب في المشرك يدخل المسجد حديث رقم: ٤٨٦ ، باختصار ، ابن ماجه في الصلاة باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها حديث رقم: ١٤٠٢ .

عبدالمطلب (، قال: محمد ؟ قال: (نعم) ، فقال: ابن عبدالمطلب إنني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك ، قال: (لا أجد في نفسي فسل ما بذلك) ، قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال: (نعم) .

قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك آله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت أبائنا يعبدون معه ؟ قال: (اللهم نعم) .

قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال: (اللهم نعم) .

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة ، والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص .

قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيره ، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: (إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة) ، قال: فأتى إلى بعيره ، فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى ، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام ، اتق الجنون .

قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله - عز وجل - قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه ، قال فوالله ما أمسي من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، قال: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوفاء قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة ^(١) واللفظ لأحمد .

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد حديث رقم: ٤٨٧ مختصراً ، وأحمد في المسند: ٢٦٤/١ ، والحاكم في المستدرک: ٥٥٠٥٤/٣ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وابن سعد في الطبقات: ٢٩٩/١ ، ابن هشام في السيرة: ٥٧٣/٢ - ٥٧٥ ، وسنده حسن صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث .

٧- وفد عبد القيس

أ- إخبار النبي بطلوعهم قبل أن يصلوا:

٧٧٩- من حديث مزينة العصري رضي الله عنه قال: « بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: (سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق) ، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً ، فقال: من القوم ؟ قالو: من بني عبد القيس ، قال: فما أقدمكم هذه البلاد أنجارة ؟ قالوا: لا ، قال: أما أن النبي قد ذكركم آنفاً فقال خيراً ، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه ، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم فمَنهم من مشى إليه ومنهم من هروا ، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ ، فأخذوا بيده فقبلوها .

وتخلف الأشج في الركاب حتى أناخها ، وجمع متاع القوم ، ثم جاء عيشي حتى أخذ بيد الرسول ﷺ فقبلها ، فقال له النبي ﷺ: (إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله) ، فقال: جبل جبلت عليه أم تخلقاً مني ؟ قال: (بل جبل) قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله » ^(١) .

ب - قصة الجارود العبد في إسلامه وسؤاله عن الضالة كيف حالها:

٧٧٧- من حديث الجارود العبد قال: « أتيت النبي ﷺ أبايعه فقلت له: على أنني إن تركت ديني ودخلت في دينك لا يعذبني الله في الآخرة ؟ قال: (نعم) وقد سألت النبي عن ضالة الإبل والماشية » ^(٢) .

٧٧٨- من حديث الجارود أن رسول الله ﷺ قال: (ضالة ^(٣) المسلم حرق ^(٤) النار) ^(٥) .

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم: ٦٨٥٠ ، وقال الهيثمي: ٥٨٧ ، باختصار ، وأبو يعلى رقم: ٦٨٥٠ ، وقال الهيثمي: ٣٨٨/٩ ، رواه الطبراني وأبو يعلى ، ورجالهما ثقات ، وفي بعضهم اختلاف ، قلت: والحديث إسناده جيد واليهيقي في الدلائل: ٣٢٧/٥ .

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند رقم: ٩١٨ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٢/١ رواه أبو يعلى ورجاله ثقات ، قلت رجال أبو يعلى رجال الصحيح .

(٣) الضالة: الضائعة والمعنى من أخذ ضائعة مسلم ليملكها أدت إلى إحراقه بالنار وقال القاضي: أرادوا أنها حرق النار لمن آواها ولم يعرفها: أو قصد الخيانة فيها .

(٤) حرق: للهب .

(٥) أخرجه أحمد: ٨٠/٥ ، الدارمي في البيوع باب في الضالة: ٢٦٥-٢٦٦ ، الترمذي في الأشربة باب في النهي عن الشرب قائماً: ١٨٨٢ ، وابن حبان برقم: ١١٧٠ موارد ، وأبو يعلى في المسند رقم: ٩١٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٦٧/٤ رواه أحمد والطبراني بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح ، ويشهد له حديث أبي هريرة عند البزار كما قال الهيثمي في المجمع: ١٦٧/٤ ، ورجاله رجال

ج - ترحيب النبي بوفد عبد القيس وتفقيهم :

٧٧٩- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ (من الوفد ؟ أو من القوم ؟) قالوا : ربيعة قال : (مرحباً بالقوم ^(١) أو بالوفد غير خزايا ولا الندامي) ^(٢) .

قال : فقالوا : يا رسول الله ! إنا نأتيك من شقة بعيدة ^(٣) ، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل ^(٤) نخبر به من وراءنا ، ندخل به الجنة . قال : فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع . قال : (أمرهم بالإيمان بالله وحده) ، وقال : (هل تدرؤن ما الإيمان بالله ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمساً من المغنم « ونهاهم عن الدباء ^(٥) ، والختم ^(٦) ، والمزفت ^(٧) ، وربما قال النقيير ^(٨) ، أو المقير وقال : احفظوه وأخبروا به من وراءكم) ^(٩) .

الصحيح .

وحديث عبدالله بن الشخير عند ابن ماجه في اللقطة باب ضالة الإبل والبقر والغنم وقال البوصيري في الزوائد : وإسناده صحيح ورجاله ثقات ، فالحديث بذلك حسن وقد صححه ابن حبان .

- (١) مرحباً بالقوم : صادفت رجلاً وسعة .
- (٢) غير خزايا ولا الندامي : معناه أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد ولا أصابكم أسار ولا سبأ ولا ما أشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تدمون .
- (٣) شقة بعيدة : السفر البعيد ، قيل المسافة البعيدة .
- (٤) أمر فصل : البين الواضح الذي يفصل به المراد .
- (٥) الدباء : القرقع اليايس أي الوعاء منه .
- (٦) الختم : أصبح الأقوال فيها : الجرار الخضر ، وهي جرار كان يحمل فيها الخمر .
- (٧) والمزفت : الأوعية التي فيها الزفت .
- (٨) النقيير : جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ، ثم يموت .

المقير : هو الزفت المطلي بالقار .

وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهى عن الابتذال فيها ، وهو أن يجعل الماء في حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلوا ويشرب ، وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حراماً نجساً .

- (٩) أخرجه البخاري في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان : ٥٣ ، وفي العلم : ٨٧ ، وفي مراقب الصلاة : ٥٢٣ ، وفي الزكاة : ١٣٩٨ ، وفي فرض الخمس : ٣٠٩٥ ، وفي المناقب : ٣٥١٠ ، وفي المغازي : ٤٣٦٩ ، وفي الأدب : ٦١٧٦ ، وفي أخبار الأحاد : ٧٢٦٦ ، وفي التوحيد : ٧٥٥٦ ، وسلم في الإيمان حديث رقم : ١٧ ، وأبو داود في الأشربة باب في الأوعية حديث : ٣٦٩٢ ، والترمذي في

قلت: وفي رواية أبي سعيد الخدري زيادة طريفة :

٧٨٠- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « إن أناساً من عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله إنا حي من ربيعة ، وبيننا وبينك كفار مضر ، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، إذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله ﷺ: (عبد القيس أمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ؛ اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم وأنهاكم عن أربع ؛ عن الدباء ، والحتم ، والمزفت والنقيير) ، قالوا: يا نبي الله؟ ما علمك بالنقيير ؟ قال: (بلى جذع تقرونه ، فتقذفون فيه القطيعاء ^(١)) (أو قال من الثمر) ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه ، حتى إن أحدكم أو إن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف) قال وفي القوم رجل أصابته جراحه كذلك ، قال: وكنت أخبئها حياةً من رسول الله ﷺ .

فقلت: فقيم نشرب يا رسول الله ؟ قال: (في أسقية الأدم ، التي يلاث على أفواهها) ^(٢) قالوا: يا رسول الله ! إن أرضنا كثيرة الجرذان ، ولا تبقى بها أسقية الأدم ، فقال النبي ﷺ: (وإن أكلتها الجرذان وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان) قال ، وقال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة) ^(٣) .

الإيمان: ٢٦١٤ ، والنسائي في الإيمان باب أداء الخمس: ١٢٠/٨ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٢٣/٤ ، وعبد الرزاق في المصنف: ١٦٩٢٧ ، وأحمد في المسند: ٢٢٨/١ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤ ، والطبراني بـرقم: ٧١٤ ، والبيهقي: ٣٠٠/٨ ، ٣٠٣/٨ وابن خزيمة: ٢٢٤٦ من طرق عن ابن عباس .

(١) القطيعاء: نوع من الثمر صغار

(٢) أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها: الأدم جمع إديم وهو الجلد الذي تم دباغه ، ومعنى يلاث على أفواهها: يلف الخيط على أفواهها ويربط بها .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين حديث رقم: ١٨ ، والبيهقي في السنن: ١٠٤/١٠ ، ١٩٤ ، وفي الدلائل: ٣٢٥/٥ ، ٣٢٦ ، من طريقين حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: حدثنا من لقي الوفد الذين قدموا على رسول الله من عبد القيس قال سعيد: وذكر قتادة أبو نضرة عن أبي سعيد . وأخرجه أحمد: ٩٥/٣ ومسلم في الأشربة باب النهي عن الانتباز في المزفت حديث: ١٩٩٦ ، ٤٥ ، من طرق عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، وأخرجه مسلم: ١٩٩٦ ، ٤٥ ، والنسائي في الأشربة باب النهي عن نبذ الدباء والحتم والنقيير: ٣٠٦/٨ من طريقين عن المثني بن سعيد عن أبي المتوكل عن أبي سعيد .

د - أشج عبدالقيس وخصال الإيمان :

٧٨١- من حديث أشج عبدالقيس قال: قال النبي ﷺ: (إن فيك لخلقين يحبهما الله) قلت: وما هما يا رسول الله ؟ قال: (الحلم والحياء) قلت: قديماً كان أو حديثاً ؟

قال: (قديماً) قلت: الحمد لله الذين جبلني على خلقين أحبهما الله ^(١) .

هـ - تأخير الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة السنة البعدية للظهر :

٧٨٢- من حديث كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن أزهري رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها فقالوا: « اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر ، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما ، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنها ، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها .

قال كريب: فدخلت على عائشة رضي الله عنها ، فبلغتها ما أرسلوني ، فقالت: سل أم سلمة ، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها . فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني إلى عائشة .

فقالت أم سلمة: سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما ، وإنه صلى العصر ، ثم دخل علي وعندني نسوة من بني حرام من الأنصار فصلاهما ، فأرسلنا إليه الخادم فقلت: قومي إلى جنبه فقلولي: تقول أم سلمة يا رسول الله ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين ، فأراك تصليهما ، فإن أشار بيده فاستأخري ففعلت الجارية ، فأشار بيده فاستأخرت عنه .

فلما انصرف قال: (يا بنت أبي أمية ، سألت عن الركعتين بعد العصر ، إنه أتاني أناس من عبدالقيس بالإسلام من قومهم ، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان) ^(٢) .

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٢٠٥/٤ ، ٢٠٦ ، والبخاري في الأدب المفرد: ٥٨٤ وابن أبي شيبة : ٢٠٢/١٢ ، وابن سعد: ٥٥٨/٥ ، والنسائي في فضائل الصحابة: ٢٠١ ، وفي الكبرى كما في التحفة: ٥١٣/٨ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٨٧/٩ - ٣٨٨ ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن ابن أبي بكرة لم يدرك الأشج ، وسنده صحيح وقد سبق هذا المعنى في حديث أبي سعيد الخدري ، ومن حديث مزينة المصري ، ومن حديث ابن عباس من رواية ثانية في نفس الموضع المذكور آنفاً ، وقد جاء أيضاً من حديث الزارع العبدي عن أحمد بسند حسن .

(٢) أخرجه البخاري في السهو باب إذا كلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع حديث: ١٢٢٣ ، وفي المغازي باب وقد عبدالقيس حديث رقم: ٤٣٧٠ ، ومسلم في كتاب صلاة المسافر وقصرها باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي ﷺ بعد العصر حديث رقم: ٨٣٤ ، وأبو داود في الصلاة باب الصلاة بعد العصر حديث رقم: ١٢٧٣ .

و- أول جمعة جمعت بعد جمعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم:

٧٨٣- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « إن أول جمعة جمعت - بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين » ^(١).

ز- قصة الرجل المصروع وشفأؤه على يد الرسول عليه الصلاة والسلام:

٧٨٤- من حديث الزارع بن عامر ، ويقال ابن عمرو العبدى ، وكان في وفد عبدالقيس قال: « أتيت رسول الله ﷺ والأشج المنذر بن عامر ومعهم رجل مصاب فانتهوا إلى رسول الله ﷺ . فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم ، فأتوا رسول الله ﷺ فقبلوا يده ، ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عيبته ، ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه ، فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسول الله ﷺ .

فقال: (يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله ؛ الحلم والأناة) فقال: يا رسول الله أنا تخلقتكما أو جبلني الله عليهما ؟ فقال: (بل الله جبلك عليهما) قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله عز وجل ورسوله .

فقال الزارع: يا رسول الله إن معي خالاً لي مصاباً ، فادع الله له ، فقال: (أين هو ؟ اتنني به) قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج ، البسته ثوبيه ، وأتيته ، فأخذ من رداءه يرفعهما حتى رأينا بياض أبطه ، ثم ضرب بظهره فقال: (اخرج عدو الله) ، فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن حديث رقم: ٨٩٢ ، والمغازي باب وفد عبدالقيس حديث رقم: ٤٣٧١ ، أبو داود في الصلاة باب الجمعة في القرى حديث: ١٠٦٨

(٢) أخرجه أحمد في المسند كما أشار إلى ذلك ابن كثير في السيرة: ٨٩/٤ - ٩٠ . قلت: وهذا الحديث سقط من نسخة المسند المطبوعة ، وذكره ابن حجر في المسند المعتبر: ٧٢٥٥ ، وأخرجه أبو داود الطيالسي كما أشار إلى ذلك ابن الأثير في أسد الغابة ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم: ٥٣١٣ ، ٥٣١٤ والبخاري في الأدب المفرد رقم: ٩٧٥ ، وأخرج أبو داود في الأدب باب في قبلة الجسد حديث رقم: ٥٢٢٥ ، بعضه بنفس الإسناد ، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود حديث رقم: ٥٠٦٢ . وأخرج هذا الحديث أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة وقال: ولا أعلم للزارع غيره ، وذكر أبو عمر النعمي: أن كنيته أبو الوازع ، وأن له ابناً يسمى الزارع وبه كان يكنى ، وأن حديثه عند البصريين ، وأن حديثه هذا حسن .

٨- وفد بني حنيفة وخبر مسيلمة:

قد سبق حديث ثمامة بن أثال الحنفي قبل فتح مكة:

أ- مقدم الوفد ومقولة النبي صلى الله عليه وسلم لمسيلمة:

٧٨٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها في بشر كثير من قومه ، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يجيبك عني) ، ثم انصرف عنه .

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: (وإنني لأراك الذي أريت فيه ما أريت) ، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحى إلي في المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطاراً ، فأولتهما كذايين يخرجان من بعدي: أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة)^(١) .

ب - رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في مسيلمة والأسود العنسي:

٧٨٦- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما أنا نائم أتيت بخزائن الأرض ، فوضع في كفي سواران من ذهب ، فكبرا علي ، فأوحى إلي أن أنفخهما ، فنفختهما ، فذهبا ، فأولتهما الكذايين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة)^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال حديث رقم: ٤٣٧٣ ، ٤٣٧٤ ، ومسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ حديث رقم: ٢٢٧٣ ، ٢٢٧٤ ، وما جاء عن أبي هريرة في الحديث فقد أخرجه الشيخان كما سبق ذكره والترمذي ، في الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو حديث: ٢٢٩٢ ، وقال: حديث حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف حديث رقم: ١٣٥٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال حديث رقم: ٤٣٧٥ ، ومسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ حديث رقم: ٢٢٧٤ ، ٢٢ ، والترمذي في الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو حديث: ٢٢٩٢ ، وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ١٣٥٧٤ .

ج - ارتداد مسيلمة وادعاؤه النبوة وإرساله الرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

٧٨٧- من حديث نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ كتاب مسيلمة الكذاب قال للرسولين: (فما تقولان أنتما) ، قالوا: نقول كما قال ، فقال رسول الله ﷺ: (والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)^(١) .

٧٨٨- عن حارثة بن مضرب أنه أتى عبدالله فقال: (ما بيني وبين أحد من العرب ، حنة وإنني مررت بمسجد لبني حنيفة ، فإذا هم يؤمنون بمسيلمة ، فأرسل إليهم عبدالله ، فجاء بهم فاستتابهم غير ابن النواحة قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لولا أنك رسول لضربت عنقك) فأنت اليوم لست برسول ، فأمر قرظة بن كعب فضرب عنقه في السوق ، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى ابن النواحة قتيلاً بالسوق »^(٢) .

د - لحوق أبي رجاء العطاردي بمسيلمة:

٧٨٩- من حديث أبي رجاء العطاردي قال: « كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه ، وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طقنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة ، فلا ندع رمحاً فيه حديدة ، ولا سهم فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب . وقال أبو رجاء: كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاماً أرعى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذاب »^(٣) .

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤٨٧/٣ ، وأبو داود في سننه في الجهاد باب في الرسل حديث رقم: ٢٧٦١ ، والبيهقي في السنن: ٢١١/٩ ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في الجهاد باب في الرسل حديث: ٢٧٦٢ ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٩١٩٦ ، وأحمد في المسند، ٣٩٠/١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، وابن حبان رقم: ١٦٢٩ ، موارد ، والبيهقي في السنن : ٢١١/٩ ، ٢١٢ ، والبزار : ٢٧١/٢ ، رقم: ١٦٨١ ، والدارمي: ٢٣٥/٢ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٣١٧/٣ ، بإسناد صحيح عن ابن مسعود ، وقد أورده الطيالسي في مسنده: ٢٣٨/١ ، حديث رقم: ١١٦٢ وهو عنده بلفظ مختلف وقال الهيثمي في المجمع: ٣١٤/٥ : رواه أبو داود باختصار وأحمد والبزار ، وأبو يعلى مطولاً وإسناده حسن .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة رقم: ٤٣٧٦ - ٤٣٧٧ .

٩- قدوم وفد الأشعرين:

أ- ارتجاز القوم عند قدومهم وفرحهم بلقاء الرسول عليه الصلاة والسلام:

٧٩٠- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: (يقدم عليكم أقوامٌ هم أرق منكم قلباً) قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه » (١) .

وقد سبق ذكر قدوم أبي موسى الأشعري مع قدوم جعفر من الحبشة في أثناء غزوة خيبر ، ويحتمل أنه عاد إلى قومه ثم عاد بهم في وفد الأشعرين إلى رسول الله ﷺ .

ب - مدح النبي صلى الله عليه وسلم لهم:

٧٩١- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ: (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم) (٢) .

٧٩٢- ومن حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: « بينما نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: (يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض ، فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله ، فسكت . قال: ولا نحن يا رسول الله ؟ فسكت قال: ولا نحن يا رسول الله ؟ فقال في الثالثة: كلمة ضعيفة: (إلا أنتم) (٣) .

ج - قبولهم البشري ورفض بني تميم لها:

٧٩٣- من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (جاءت بنو تميم إلى

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١٠٥/٣ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٥١ ، ٢٦٢ ، وإسناده صحيح ، والبيهقي في الدلائل: ٣٥١/٥ ، وأبو يعلى رقم: ٣٨٤٥ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن حديث رقم: ٤٣٨٨ ، ومسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن حديث رقم: ٥٢ ، الشافعي في المسند: ص: ٢٨٢ ، والترمذي في المناقب باب في فضل اليمن حديث رقم: ٣٩٣٥ ، وأحمد في المسند: ٢/٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٨٠ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨٨ ، ٥٠٢ ، ٥٤١ ، وابن منده في الإيمان حديث: ٤٣٨ ، والدولابي في الكنى: ٢٧١/١ ، والبخاري في التاريخ الكبير: ١٥٨/١ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٨٤/٤ ، ورواه الطبراني رقم: ٤٧٠٢ ، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥٥/١٠ . رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن .

رسول الله ﷺ فقال: (أبشروا يا بني تميم) ، قالوا: أما إذا بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول الله ﷺ ، فجاء ناس من أهل اليمن ، فقال النبي ﷺ: (اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم) ، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله)^(١) .

د - أهل اليمن مقر الإيمان ونجد مطلع قرن الشيطان:

٧٩٤- من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: « أن النبي ﷺ قال: (الإيمان ها هنا - وأشار إلى اليمن ، والجفاء وغلظ القلب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر) »^(٢) .

١٠- وفد مزينة:

٧٩٥- من حديث النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: (قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة ، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره ، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده ، فقال النبي ﷺ لعمر: (زدوهم) فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر وما أراها تغني عنهم شيئاً ، فقال: انطلق فزودهم ، فانطلق بنا إلى عليّة له ، فإذا فيها ثمر مثل البكر الأورق ، فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم ، قال: وكنت أنا في آخر القوم ، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرّة ، وقد احتمل منه أربعمائة رجل »^(٣) .

١١- وفد دوس:

أ- دعاء النبي بأن يهديهم الله:

٧٩٦- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « جاء الطفيل بن عمرو إلى

(١) قد سبق تخريجه حديث رقم: ٧٧٠ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن حديث رقم: ٤٣٨٧ ، مسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن حديث رقم: ٥١ ، وأحمد في المسند: ٢٣٥/٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، وابن منده في الإيمان حديث رقم: ٤٢٧ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٤٤٥/٥ ، ورجاله ثقات وسنده حسن وقد جاء من حديث دكين بن سعيد المزني ، أخرجه الطبراني رقم: ٤٧٠٢ ، وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٣٣٣ ، وفي الخلية: ٣٦٥/١ ، وأحمد في المسند: ١٧٤/٤ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٠٥/٨ رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وروى أبو داود طرفاً منه »

ورواه أبو داود مختصراً برقم: ٥٢٣٨ ، وابن حبان موارد: ٢١٥١ ، والحميدي رقم: ٨٩٣ ، والبخاري في التاريخ الكبير: ٢٥٥/٣ - ٢٥٦ ، قلت: وإسناده صحيح.

النبي ﷺ فقال: (إن دوساً قد هلكت ، عصت وأبت ، فادع الله عليهم » .
فقال: (اللهم اهد دوساً واثت بهم) ^(١) .

ب - قصة غلام أبي هريرة:

٧٩٧- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت

وابق غلام لي في الطريق ، فلما قدمت على النبي ﷺ فبايعته فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي النبي ﷺ: « يا أبا هريرة ، هذا غلامك ، فقلت: هو لوجه الله فاعتقته » ^(٢) .

١٢- وفد نجران:

٧٩٨- من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: « جاء العاقب والسيد صاحباً بنجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل ، فوالله لئن كان نبياً فلاعنتنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالاً: إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً . فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين) ، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح) ، فلما قام قال رسول الله ﷺ: (هذا أمين هذه الأمة) » ^(٣) .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ، حديث رقم: ٤٣٩٢ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء حديث رقم: ٢٥٢٤ ، والشافعي في مسنده ، ص: ١٨٢ ، والطبراني في الكبير: ٣٩١/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو وحديث رقم: ٤٣٩٣ .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح حديث رقم: ٣٧٤٥ ، وفي المغازي باب قصة أهل نجران: ٤٣٨٠ ، و ٤٣٨١ ، وفي الأحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد: ٧٢٥٤ ، مسلم في الفضائل باب فضل أبي عبيدة حديث: ٢٤٢٠ ، والترمذي في المناقب: ٣٧٥٩ ، وابن ماجه في المقدمة حديث: ١٣٥ ، وأحمد في المسند: ٣٩٨/٥ ، ٤٠٠ ، والطيالسي: ١٥٩/٢ ، وأبو نعيم في الحلية: ١٧٦/٧ ، عن حذيفة، والحاكم: ٢٦٧/٣ ، وأحمد: ٤١١/١ ، والفسوي: ٤٨٨/١ ، عن ابن مسعود .

١٣- وفد كندة مع الأشعث بن قيس :

٧٩٩- من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه : قال : « أتيت رسول الله ﷺ في وفد كندة ولا يروني إلا أفضلهم ، فقلت : يا رسول الله ! أستم منا ؟ فقال : (نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ، ولا ننتفي من أينا) .

قال : فكان الأشعث بن قيس يقول : لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش ، من النضر بن كنانة إلا جلده الحد » ^(١) .

قصة ولد الأشعث بن قيس :

٨٠٠- من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : « قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة ، فقال لي : هل لك من ولد ، قلت : غلامٌ وُلِدَ لي في مخرجي إليك من ابنه جمد ، ولوددت أن مكانه شبع القوم .

قال : (لا تقولن ذلك فإن فيهم قرعة عين وأجرأ إذا قبضوا ، ثم ولئن قلت ذاك إنهم لمجنة محزنة ، إنهم لمجنة محزنة) ^(٢) .

١٤- وفد همذان :

وسياتي لهؤلاء القوم ذكر عند حديثنا عن إرسال النبي ﷺ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الله عز وجل برقم : ٨٠٨ ، فليُنظر هناك .

١٥- وفد عمان والبحرين :

٨٠١- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « قال لي رسول الله ﷺ : (لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا ، وهكذا ، ثلاثاً) فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى :

(١) أخرجه أحمد : ٢١١/٥ ، ٢١٢ ، وابن ماجه في كتاب الحدود باب من نفى رجلاً من قبيلة حديث : ٢٦١٢ ، وإسناد ابن ماجه قوي ، وصححه البوصيري في الزوائد ، وقد سبق برقم : ٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٢١١/٥ ، وتفرد به ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم : ٦٤٧ ، والحاكم في المستدرک : ٢٣٩/٤ ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن جيد الإسناد كما قال ابن كثير في السيرة : ١٤٢/٤ .

من كان له عند النبي ﷺ دين أو عدة فليأتني . قال جابر: فجئت أبا بكر فاخبرته أن النبي ﷺ قال: (لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا) (ثلاثاً) قال: فأعطاني .

قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ، ثم أتيته فلم يعطني ، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني . فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني . فإما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني - قال: أقلت تبخل عني ؟ وأي داء أدوا من البخل ؟ قالها ثلاثاً . ما منعك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك « ^(١) .

وعن عمرو بن محمد بن علي سمعت جابر بن عبد الله يقول: « جئته فقال لي أبو بكر: عدها ، فعدتها فوجدتها خمسمائة ، فقال: خذ مثلها مرتين » .

١٦ - قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم:

٨٠٢ - من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ مر بسوق ذي المجاز ، وأنا في بياعة لي ، فمرّ وعليه حلة حمراء فسمعتة يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه ، وهو يقول: (يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب ، فقلت من هذا ؟ فقيل: هذا غلام من بني عبدالمطلب .

فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة ومعنا ظعينة لنا حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينما نحن قعود وإذ أتانا رجل عليه ثوبان ، فسلم علينا فقال: (من أين القوم) ، فقلنا: من الربذة ، ومعنا جمل أحمر فقال: (تبيعوني هذا الجمل) ، فقلنا: نعم . فقال: (بكم ؟) فقلنا: بكذا وكذا صاعاً من تمر ، قال: (أخذته وما أستقصي) ، فأخذ بخطام الجمل ، فذهب به حتى تواري في حيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض: تعرفون الرجل فلم يكن منا أحد يعرفه . فلام القوم بعضهم بعضاً ، فقالوا: تعطون جملكم من لا تعرفون .

فقال الظعينة: فلا تلاوموا فلقد رأينا وجه رجل لا يغدر بكم ، ما رأيتم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب قصه عمان والبحرين حديث رقم: ٤٣٨٣ ، ومسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا . وكثرة عطائه حديث رقم: ٢٣١٤ .

شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشي أتانا رجل فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أنتم الذين جشتم من الربذة » ، قلنا: نعم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم ، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا، فاكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا .

ثم قدمنا المدينة من الغد فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر فسمعته يقول: (يد المعطي العليا ، وابدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك) ، وثم رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية ، فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال: (لا تجني أم ولد على ولد ، لا تجني أم ولد على ولد) وهذا لفظ الحاكم ^(١) .

١٧- وفد بني أسد:

٨٠٣ - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قدم على النبي ﷺ وفد بني أسد فتكلموا فأبانوا ، فقالوا: يا رسول الله ، قاتلتك مضر كلها ولم نقاتلك ، ولسنا بأقلهم عدداً ولا أقلهم شوكة . وصلنا رحمك ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر حيث سمع كلامهم: (أيتكلمون هكذا ؟) قال: يا رسول الله ، إن فقهم لقليل ، وإن الشيطان لينطق على لسانهم » ^(٢) .

(١) أخرجه ابن ماجه في الديات باب لا يجني أحد على أحد رقم: ٢٦٧٠ ، وقال البوصيري في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات وهو مختصر عنده وأخرج النسائي في الزكاة باب أيتهما اليد العليا: ٦١/٥ وفي القسامة: ٥٥/٨ ، مقطوعاً منه . وهو وخطبه على المنبر وقوله اليد العليا ...) والبيهقي في الدلائل: ٣٨١/٥ ، والطبراني في الكبير: ٨١٧٥ ، والدارقطني: ٤٥٤٤/٣ ، وابن أبي شيبه: ٣٠٠/١٤ ، والحاكم في المستدرک: ٦١١/٢ ، ٦١٢ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وسنده صحيح كما قال .

(٢) أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح: ٢٣٦٣ ، والبزار كما نقله ابن كثير في تفسيره ، وانظر الدر المنثور: ١٠٠/٦ ، وقد عزاه إلى النسائي والبزار وابن مردويه عن ابن عباس ، وهو في السنن الكبرى للنسائي كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٥٥٧٦ .

١٨- قدوم جرير بن عبدالله البجلي :

أ - مقالة النبي فيه حين قدم عليه :

٨٠٤- من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال : « لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي ثم حللت عييتي ثم لبست حلتي ، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب فرماني الناس بالحدق ، فقلت لجليسي : يا عبدالله هل ذكرني رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ذكرك بأحسن الذكر ، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال : (يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يمن ، ألا أن على وجهه مسحة ملك) .

قال جرير : فحمدت الله - عز وجل - على ما أبلاني » ^(١) .

ب - تبسم الرسول صلى الله عليه وسلم له كلما رآه :

٨٠٥- من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال : « ما حجبتني عنه رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيي إلا تبسم » ^(٢) .

ج - سريته لتخريب ذي الخلصة

٨٠٦ - من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : « قال لي رسول الله ﷺ : (ألا تريخني من ذي الخلصة ؟) فقلت : بلى . فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمر ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري وقال : (اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهدياً) . قال : فما وقعت عن فرس بعد . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخشع وبجيلة فيه نصب تعبد ، يقال له الكعبة .

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٣٥٦/٤ - ٣٦٠ - ٣٦٤ ، وإسناده صحيح ، والطبراني في الكبير رقم : ٢٢٥٨ ، ٢٤٨٣ ، ٢٤٩٨ ، والحميدي في مسنده رقم : ٨٠٠ ، وإسنادهما صحيح ، وقال ابن كثير في السيرة : ١٤٩/٤ - ١٥٠ ، وهذا على شرط الصحيحين ، وأشار إلى أن النسائي قد أخرجه في سننه ، وقال الهيثمي في المجمع : ٣٧٢/٩ ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار وإسناد كبير رجاله رجال الصحيح وأخرجه الزوار رقم : ٣٦٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٣٥٨/٤ - ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، البخاري في مناقب الأنصار باب ذكر جرير بن عبدالله البجلي حديث رقم : ٣٨٢٢ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل جرير بن عبدالله حديث رقم : ٢٤٧٥ ، وابن ماجه في المقدمة فضل جرير بن عبدالله حديث : ١٥٩ ، والترمذي في المناقب باب مناقب جرير بن عبدالله حديث : ٣٨٢٠ ، وقال حسن صحيح ، والطبراني في الكبير رقم : ٢٢٢٣-٢٢٢٤ ، والحميدي : ٣٥٠/٢ .

قال: فاتاها فحرقها بالنار وكسرها . قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، ف قيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال: فينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك . قال: فكسرها وشهد ، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك . فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، قال فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات^(١) .

١٩- قدوم تميم الداري وإخباره عن الدجال والجساسة:

٨٠٧- من حديث فاطمة بن قيس: قال عامر بن شراحيل الشعبي: إنه سأل فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس ، وكانت من المهاجرات الأول . فقال: حدثيني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، لا تسديه إلى أحد غيره ، فقالت: « لئن شئت لأفعلن ، فقال لها: أجل . حدثيني .

فقالت: نكحت ابن المغيرة ، وهو من خيار شباب قريش يومئذ ، فأصيب^(٢) في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيىب خطبني عبدالرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد ، وكنت قد حدثت ، أن رسول الله ﷺ قال: (من أحبني فليحب أسامة) فلما كلمني رسول الله ﷺ ، قلت: أمري بيدك ، فأنكحني من شئت .

فقال: (انتقلي إلى أم شريك) ، وأم شريك امرأة غنية ، من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان ، فقلت: سأفعل.

فقال: (لا تفعلي ، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم) وهو

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذي الخلصة الأحاديث رقم: ٤٣٥٥ ، ٤٣٥٦ ، ٤٣٥٧ ، وانظر أرقام: ٣٠٢٠ ، ٣٠٣٦ ، ٣٠٧٦ ، ٣٨٢٣ ، ٦٠٨٩ ، ٦٣٣٣ . مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل جرير بن عبدالله حديث: ٢٤٧٦ ، والحميدي في مسنده رقم: ٨٠١ ، والطبراني في الكبير رقم: ٢٢٥٢-٢٢٥٧ ، وأحمد في المسند: ٣٦٢/٤ ، ٢٦٠ ، ٣٦٥ ، وأبو داود برقم: ٢٢٧٢ .

(٢) فأصيب في أول الجهاد: قال العلماء: ليس معناه أنه قتل في الجهاد مع النبي ﷺ وتأيت بذلك ، إنما تأيت بطلاقه البائن .

رجل من بني فهر ، فهر قریش ، وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلت إليه .
فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي ، منادي رسول الله ﷺ ينادي : الصلاة
جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله ﷺ . فكنيت في صف
النساء التي تلي ظهور القوم . فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على
المنبر وهو يضحك . فقال : (ليلزم كل إنسان مصلاه) ثم قال : (أتدرون لم
جمعتكم ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : (إني والله ، ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة . ولكن جمعتكم ، لأن
تيمماً الداري كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي
كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية ، مع ثلاثين
رجلاً من لحم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرفثوا إلى جزيرة
في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة ^(١) . فدخلوا الجزيرة ،
فلقيتهم دابة أهلك ^(٢) كثير الشعر . لا يدرون ما قبله من دبره ، من كثرة الشعر .

فقالوا : ويلك ! ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . قالوا : وما الجساسة .
قالت : أيها القوم ! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير . فإنه إلى خبركم
بالأشواق ^(٣) . قال : لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها ^(٤) أن تكون شيطانة ، قال :
فانطلقنا سراعاً . حتى دخلنا الدير . فإذا فيه أعظم إنسان ^(٥) رأيناه قط خلقاً ،
وأشد وثاقاً . مجموعة يده إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه ، بالحديد .

قلنا : ويلك ؟ ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟
قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين
اغتمل ^(٦) ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في
أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة أهلك كثير الشعر ، لا ندري ما قبله من دبره

(١) أقرب السفينة : جمع قارب وهي السفن الصغيرة تكون مع الكبيرة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء
حوادثهم .

(٢) أهلك : غليظ الشعر كثيره .

(٣) فإنه إلى خبركم بالأشواق : شديد الأشواق إليه أي إلى خبركم .

(٤) فرقنا منها : خفنا .

(٥) أعظم إنسان : أي أكبره جثة .

(٦) اغتمل : هاج وجاوز حده المعتاد .

من كثرة الشعر . فقلنا . ويلك ! ما أنت ! فقالت : أنا الجساسة . قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . فاقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبروني عن نخل بيسان ^(١) . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألکم عن نخلها ، هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر .

قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال : أخبروني عن عين زغر ^(٢) قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم . هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما أن ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإني مخبركم عني : إني أنا المسيح . وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة . غير مكة وطيبة ^(٣) . فهما محرمتان عليّ كلتاها . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منها ، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً ^(٤) يصدني عنها . وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها) قالت : قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر (هذه طيبة ، هذه طيبة) يعني المدينة « (ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟)

قال الناس : نعم (فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة . إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل

(١) نخل بيسان : وهي قرية بالشام شمال فلسطين .

(٢) عين زغر : هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام .

(٣) طيبة : المدينة .

(٤) صلتاً : مسلولاً .

المشرق، ما هو ^(١) ، من قبل المشرق ، ما هو ، من قبل المشرق ، ما هو (وأوماً بيده إلى المشرق . قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ) ^(٢) .

٢٠ - رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن:

أ - إرسال علي وخالد إلى همدان:

٨٠٨ - من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: (إن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فاقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - فأمره أن يقفل خالداً إلى رجل كان ممن يم مع خالد ، ومن أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي . فلما دنونا من القوم خرجوا لنا فصلى بنا علي ثم صفنا صفاً واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جمعاً ، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال: (السلام على همدان السلام على همدان) ^(٣) .

ب - إرسال معاذ وأبي موسى إلى اليمن:

٨٠٩ - من حديث أبي موسى الأشعري قال: (أقبلت إلى النبي ﷺ ومعني رجلان من الأشعرين أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي ، وكلاهما سأل العمل ، والنبي ﷺ يستاك ، فقال: (ما تقول يا أبا موسى ، أو يا عبدالله بن قيس ؟) قلت: والذي بعثك بالحق ما أظعناني على ما في أنفسهما ، وما شعرت أنهما يطلبان العمل ، وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت ، قال: (لن

(١) ما هو: قال القاضي: لفظه ما هو زائدة ، صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه في جهة الشرق .

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراف الساعة باب قصة الجساسة حديث: ٢٩٤٢ ، والترمذي في الفتن باب: ٦٦ ، حديث: ٢٢٥٣ ، وقال: حسن صحيح غريب ، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم حديث: ٤٠٧٤ ، وأبو داود في الملاحم باب في خبر الجساسة الأحاديث رقم: ٤٣٢٥ ، ٤٣٢٦ ، ٤٣٢٧ ، والنسائي في الكبرى ، كما في تحفة الأشراف رقم: ١٨٠٢٤ ، وأحمد في المسند: ٣٧٣/٦ ، ٣٧٤ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع الحديث ثم: ٤٣٤٩ .

نستعمل أولاً نستعمل على عملنا من أرادته، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس (فبعثه على اليمن ، ثم أتبعه معاذ بن جبل .

قال: فلما قدم عليه معاذ قال: انزل وألقى له وسادة ، وإذا رجل عنده موثق قال: ما هذا ؟ قال ؟ كان يهودياً فأسلم ، ثم رجع إلى دينه دين السوء ، قال: لا أجلس حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله، قال: نعم اجلس ، قال: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات فأمر به فقتل ، ثم تذاكرا قيام الليل ، فقال معاذ: أما أنا فأنام وأقوم ، أو أقوم وأنا ، وأرجو في نومتي ، ما أرجو في قومتي (^(١)) .

ومن لفظ آخر ما نصه « بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ إلى اليمن فقال: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا) . فقال أبو موسى: يا نبي الله إن أرضنا فيها شراب من الشعير: المزر ، وشراب من العسل: البتع . فقال: (كل مسكر حرام) . فانطلقا .

فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن ؟ قال: قائماً وقاعداً وعلى راحلتي، واتفوقه تفوقاً . قال: أما أنا فأنام وأقوم ، فأحتسب نومتي ، كما أحتسب قومتي .

وضرب فسطاطاً فجعللا يتزاوران فزار معاذ أبا موسى فاذا رجل موثق فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد . قال معاذ: لأضربن عنقه » .

ج - وصية الرسول لمعاذ عليه رضوان الله :

٨١٠ - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حيث بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ،

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع أحاديث: ٤٣٤١ - ٤٣٤٢ ، ٤٣٤٤ ، ٤٣٤٥ ، وفي الأدب باب يسروا ولا تعسروا حديث: ٦١٢٤ ، وفي الأحكام: ٧١٧٢ ، ومسلم في الأشربة: ١٧٣٣ وابن ماجه في الأشربة: ٣٣٩١ ، والدارمي في الأشربة باب ما قيل في المسكر: ١١٣/٢ ، وأحمد في المسند: ٤/٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤١٧ .

واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينه وبين الله حجاب (^(١)) .

د - إخبار النبي لمعاذ بأنه لن يراه :

٨١١ - من حديث عاصم بن حميد السكوني رضي الله عنه « أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ، فخرج النبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ ، قال : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري (فبكى معاذ خاشعاً لفراق النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : (لا تبك يا معاذ ، البكاء ، أو إن البكاء من الشيطان) (^(٢)) .

(١) أخرجه في المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع حديث رقم : ٤٣٤٧ ، وفي الزكاة باب في وجوب الزكاة حديث : ٧٤٠ ، ومسلم في الايمان باب الدعاء إلى الشهادين وشرائع الإسلام حديث رقم : ١٩ ، والترمذي في الزكاة باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة حديث رقم : ٦٢٥ ، وأبو داود في زكاة السائمة حديث : ١٥٨٤ ، والنسائي في الزكاة باب وجوب الزكاة : ٤-٢/٥ ، وابن ماجه في الزكاة باب فرض الزكاة حديث رقم : ١٧٨٣ ، وابن أبي شيبة : ٥/٤ ، والبيهقي : ٩٦/٤ ، ١٠١ وأبو عبيد في الأموال : ١٠٨٤ ، وأحمد في المسند : ٢٣٣/١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند : ٢٣٥/٥ ورجاله ثقات وسنده جيد ، والطبراني في الكبير : ١٢٠/٢٠ ، وابن حبان كما في الإحسان : ٢٠/٢ رقم : ٦٤٦ ، وقال الهيثمي في المجمع : ٢٣١/١٠ - ٢٣٢ ، بعد عزوه للطبراني : إسناده جيد ، ابن كثير في السيرة : ١٩٣/٤ ، دلائل النبوة البيهقي : ٤٠٤/٥ - ٤٠٥ .